

# السلفية

في

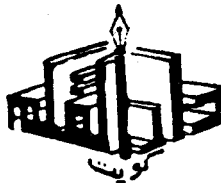
المجتمعات المعاصرة

د. محمد فتيحي عثمان

كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود

الرياض



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

دار القلم - الكويت - شارع السور - عمارة السور  
ص . ب ٢٠١٤٦ - هاتف ٤٢٥١٦٠ - برقياً توزيمكو

## سورة الذل الاخ الحجة

### « السلفية » فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة

« ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون . وما كان الناس الا امة واحدة فاختلثوا ، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون » ( يونس / ١٨-١٩ ) .

قال ابن كثير ( المتوفى فى ٧٧٤ هـ ) فى تفسير الآيتين من سورة يونس : « ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتهم عند الله ، فأخبر تعالى أنها لا تضر ولا تنفع ولا تملك شيئا ولا يقع شيء مما يزعمون فيها ولا يكون هذا أبدا . . . ثم أخبر تعالى أن هذا الشرك حادث فى الناس ، كائن بعد أن لم يكن ، وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد وهو الاسلام . قال ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ثم وقع الاختلاف بين الناس وعبدت الأصنام والانداد والأوثان فبعث الله الرسل بآياته وبياناته وحججه البالغة وبراهينه الدامغة ( ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة ) . . . وقوله ( ولولا كلمة سبقت من ربك - الآية : أى لولا ما تقدم من الله تعالى أنه لا يعذب أحد الا بعد قيام الحجة عليه ، وأنه أجل الخلق الى أجل معدود ، لقضى بينهم فيما اختلفوا فيه فأسعد المؤمنين وأعنت الكافرين » ( ج ٢ من تفسير ابن كثير دار احياء الكتب العربية بالقاهرة . ص ٤١١ ) .

وقد نزل القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم الذى أرسل الى البشر كافة يذكر الناس بالتوحيد الخالص والحنيفية الصافية ووجوب نبذ الشركاء والشفعاء وكل ما اتخذوا من دون الله من أولياء « أتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلا ما تذكرون » ( الأعراف / ٣ ) ، « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق ، فاعبد الله مخلصا له الدين . الا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار » ( الزمر / ٢-٣ ) . . . قال ابن كثير فى تفسير الآية السابقة من سورة الزمر : « . . . ( الا ليقربونا الى الله زلفى ) : أى ليشفوا لنا ويقربونا عنده منزلة ،

ولهذا كانوا يقولون فى تلبيتهم اذا حجوا فى جاهليتهم ( لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك ) . وهذه الشبهة هى التى أعتمدها المشركون فى قديم الدهر وحديثه ، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهى عنها ، والدعوة الى افراد العبادة لله وحده لا شريك له ، وأن هذا شئ اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضى به بل ابغضه ونهى عنه : ( ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) ( وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون ) . وأخير أن الملائكة التى فى السموات من الملائكة المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده الا باذنه لمن ارتضى ، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عنهم بغير اذنهم فيما أحبه الملوك وأحبوه ، ( فلا تضربوا لله الأمثال ) - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . . . ( سبحانه هو الله الواحد القهار ) : أى تعالى وتنزهه وتقدس عن أن يكون له ولد فانه الواحد الأحد الفرد الصمد الذى كل شئ عبد لديه فقير اليه ، وهو الغنى عما سواه ، قد قهر الأشياء فدانت وذلت وخضعت ، تبارك وتعالى عما يقول الظالمون الجاحدون علوا كبيرا » ( ج ٤ ص ٤٥ ) .

### حقيقة السلفية

لقد استجاب سلف هذه الأمة لدعوة القرآن الى التوحيد الخالص فى عبادة الله والاستعانة به ، وجددوا ما كان عليه رسل الله وأنبيائه أجمعون وكل أتباعهم المؤمنون . . . فكانت عقيدة السلف فى أيسر تعريف لها وبيان لمضمونها هى هذا التوحيد الخالص الذى جاء به رسل الله وأنبيائه جميعا ، توحيدا كاملا محكما لا يتعارض فيه قول مع قول ، ولا قول مع فعل ، ولا فعل مع فعل « فان الاخلاص والتوكل جماع صلاح الخاصة والعامة ، كما أمرنا أن نقول فى صلاتنا : ( اياك نعبد و اياك نستعين ) - فهاتان الكلمتان قد قيل أنهما تجمعان معانى الكتب المنزلة من السماء » وقد أمر الله بعبادته والتوكل عليه فى مواضع عدة من كتابه منها قوله تعالى فى الفاتحة : ( اياك نعبد و اياك نستعين ) «وعلم القرآن جمع فى الفاتحة ، وعلم الفاتحة فى هذين الأصلين: عبادة الله والتوكل عليه» (١) « وجماع الدين أصلان : لا نعبد الا الله ، ولا نعبد

(١) ابن تيمية : جامع الرسائل بتحقيق محمد رشاد سالم - المجموعة الأولى - القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م - ص ٨٢ ، ٩١ .

**الا بما شرع لا نعبد** كما قال تعالى ( فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ) • وذلك تحقيق الشهادتين : شهادة أن لا اله الا الله وشهادة أن محمدا رسول الله ، ففي الأولى الا نعبد الا اياه ، وفي الثانية أن محمدا هو رسوله المبلغ عنه فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره • وقد بين لنا ما نعبد الله به ، ونهانا عن محدثات الأمور وأخبارها ضلالة • قال تعالى ( بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) • وكما أننا مأمورون أن لا نخاف الا الله ولا نتوكل الا على الله ولا نرغب الا الى الله وأن لا نستعين الا بالله وأن لا تكون عبادتنا الا لله ، فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ونطيعه ونتأسى به فالحلال ما حله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه • قال تعالى : ( ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون ) ، **فجعل الايتاء لله وللرسول كما قال** ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم منه فانتهوا ) ، **وجعل التوكل على الله وحده** بقوله ( وقالوا حسبنا الله ) ولم يقل ورسوله ، كما قال في وصف الصحابة رضى الله عنهم فى الآية الأخرى ( الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ) ••• ثم قال : ( سيؤتينا الله من فضله ورسوله ) - **فجعل الايتاء لله وللرسول** وقدم ذكر الفضل لله لأن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وله الفضل على رسوله وعلى المؤمنين • وقال ( انا الى الله راغبون ) **فجعل الرغبة الى الله وحده** ، كما فى قوله ( فاذا فرغت فانصب • والى ربك فارغب ) • وقال النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس ( اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله ) والقرآن يدل على مثل هذا فى غير موضع • **فجعل العبادة والخشية والتقوى لله وجعل الطاعة والمحبة لله ورسوله** ، كما فى قول نوح عليه السلام : ( أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ) ، وقوله ( ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقوه فأولئك هم الفائزون ) وأمثال ذلك • فالرسول أمرنا بعبادته وحده والرغبة اليه والتوكل عليه ، وطاعته والطاعة لهم • فأضل الشيطان النصارى وأشباههم فاشركوا بالله وعصوا الرسول ، فاتخذوا أحيارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم ، فجعلا يرغبون اليهم ويتوكلون عليهم ويسألونهم مع عصيتهم لأمرهم ومخالفتهم لسننتهم ، وهدى الله المؤمنين المخلصين لله أهل الصراط المستقيم ، الذين عرفوا الحق وأتبعوه فلم يكونوا من المغضوب عليهم

ولا الضالين ، فأخلصوا دينهم لله وأسلموا وجوههم لله وأنابوا الى ربهم ، واحبوه ورجوه وخانوه وسألوه ورجبوا اليه وفوضوا أمورهم اليه وتوكلوا عليه وأطاعوا رسله وعزروه ووقروهم وأحبوهم ووالوهم وأتبعوهم واقتفوا آثارهم واهتدوا بمنارهم . وذلك هو دين الاسلام الذى بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل ، وهو الدين الذى لا يقبل من أحد دينا الا اياه ، وهو حقيقة العبادة لرب العالمين . فنسأل الله العظيم أن يثبتنا عليه ويكمله لنا ويميتنا عليه وسائر اخواننا المسلمين » ( ١ ) .

### معنى السلفية :

فليست عقيدة السلف رضى الله عنهم الا ما أمر الله به من توحيده . وافراده بالربوبية والالوهية ، والاتجاه اليه وحده سبحانه فى النية والعمل ، وهو التوحيد الذى بعث به الله كل نبي ورسول وأنزله فى كل كتاب . . . . . فهى « السلفية » وهى « الحنيفية » وهى « فطرة الله التى فطر الناس عليها » « ضرب لكم مثلا من أنفسم ، هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسم ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون . بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم ، فمن يهدى من أضل الله ، وما لهم من نصرين ، فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون . منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين . من السذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، كل حزب بما لديهم فرحون » ( الروم / ٢٨ - ٣٢ ) ، « قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تدعون من دون الله ، ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم ، وأمرت أن أكون من المؤمنين ، وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله ما ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذن من الظالمين . وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا رد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده . وهو الغفور الرحيم ، قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل » ( يونس / ١٠٤ - ١٠٨ ) « قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما

(١) ابن تيمية : العبودية - تقديم وتعليق عبد الرحمن البانى - ط ٤

**ملة ابراهيم حنيفا** وما كان من المشركين . قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له ، وبذلك امرت وانا اول المسلمين . قل اغير الله ابغى ربا وهو رب كل شىء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ، ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تاختفون ، ( الأنعام / ١٦١ - ١٦٤ ) . يقول شيخ الاسلام تقى الدين احمد بن تيمية رحمه الله ( المتوفى سنة ٧٢٨هـ ) ، « ورأس الاسلام مطاقا شهادة أن لا اله الا الله وبها بعث جميع الرسل كما قال تعالى ( ولقد بعثنا فى كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوث ) وقال تعالى ( وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون ) ، وقال عن الخليل ( وان قال ابراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون . الا الذى فطرنى فانه سيهدين . وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ) . . . . . وذكر عن رسله كنعون وهود وصالح وغيرهم أنهم قالوا لقومهم ( اعبدوا الله ما نكم من اله غيره ) ، وقال عن أهل الكهف ( انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم ان قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا ان شططا ) الى قوله ( فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ) وقد قال سبحانه ( ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ) - ذكر ذلك فى موضعين من كتابه . وقد بين فى كتابه الشرك بالملائكة والشرك بالأنبياء والشرك بالكواكب والشرك بالأصنام ، وأصل الشرك الشرك بالشيطان . . . . . فبين أن اتخاذ الملائكة والنبين أربابا كفر . ومعلوم أن أحدا من الخلق لم يزعم أن الأنبياء والأحبار والرهبان والمسيح بن مريم شاركوا الله فى خلق السموات والأرض ، بل ولا زعم أحد من الناس أن العالم له صانعان متكافئان فى الصفات والأفعال ، بل ولا أثبت أحد من بنى آدم الها مساويا لله فى جميع صفاته ، بل عامة المشركين بالله مقرون بأنه ليس شريكه مثله ، بل عامتهم يقرون أن الشريك مملوك له : سواء أكان ملكا أو نبيا أو كوكبا أو صنما ، كما كان مشركو العرب يقولون فى تلبيتهم : ( لبيك لا شريك لك . الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك ) فأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوحيد وقال : ( لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ) . . . . . وقد أخبر سبحانه عن المشركين من اقرارهم بأن الله خالق المخلوقات ما بينه فى كتابه ( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله . . . ) ، وقال تعالى ( قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون ) - الى قوله ( فأنى تسحرون ) ، ثم قوله ( ما اتخذ الله من

ولد وما كان معه من اله ، اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون) وقال (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) ٠٠٠ ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يخالفونه فى هذا ، بل كانوا يقولون بأن الله خالق كل شىء ، حتى أنهم كانوا يقولون بالقدر أيضا ، وهم مع هذا مشركون ٠ فقد تبين أن ليس فى العالم من ينازع فى أصل هذا الشرك ٠٠٠ والكلام الآن مع المشركين بالله المقرين بوجوده ، فان هذا التوحيد الذى قرروه (أى المتكلمون ) لا ينازعهم فيه هؤلاء المشركون ، بل يقولون به مع أنهم مشركون وكما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع ، وكما علم بالاضطرار من دين الاسلام ٠٠٠ وليس المراد بالاله هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين ، حيث ظن أن الالهية هى القدرة على الاختراع دون غيره وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا اله الا هو ، فان المشركين كانوا يقولون بهذا وهم مشركون كما تقدم بيانه ٠ بل الاله الحق هو الذى يستحق أن يعبد فهو اله بمعنى ما لوه ٠٠٠ والتوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له ، والاشراك أن تجعل مع الله الها آخر ، وأذن تبين أن غاية ما يقرره هؤلاء النظار (أى المتكلمون ) أهل الاثبات للقدر المنتسبون الى السنة انما هو توحيد الربوبية وأن الله رب كل شىء ، ومع هذا فالمشركون كانوا مقرين بذلك مع أنهم مشركون ، وكذلك طوائف من أهل التصوف والمتسبين للمعرفة والتحقيق والتوحيد غاية ما عندهم من التوحيد هو شهود هذا التوحيد ، وأن يشهد أن الله رب كل شىء ومليكه وخالقه لاسيما اذا غاب العارف بموجوده عن وجوده وبمشهوده عن شهوده وبمعروفه عن معرفته ، ودخل فى فناء توحيد الربوبية بحيث يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل ، فهذا عندهم هو الغاية التى لا غاية وراءها ، ومعلوم أن هذا هو تحقيق ما أقر به المشركون من التوحيد ، ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلما فضلا عن أن يكون وليا لله أو من سادات الأولياء ٠٠٠ وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة ! فهؤلاء المتصوفون الذين يشهدون الحقيقة الكونية مع اعراضهم عن الأمر والنهى شر من القدرية والمعتزلة ونحوهم ، أولئك يشبهون المجوس وهؤلاء يشبهون المشركين الذين قالوا ( لو شاء الله ما أشركنا ولا آبأؤنا ولا حرمنا من شىء ) والمشركين أشركوا من المجوس ٠ فهذا أصل عظيم على المسلم أن يعرفه ، فانه أصل الاسلام الذى يتميز به أصل الايمان من أصل الكفر : وهو الايمان بالوحدانية والرسالة - شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وقد وقع كثير



من الناس فى الاخلال بحقيقة هذين الأصليين أو أحدهما مع ظنه انه فى غاية التحقيق والتوحيد والعلم والمعرفة ، فاقرار المشرك بأن الله رب كل شىء ومليكه وخالقه ، لا يتجيه من عذاب الله ان لم يقروا به اقراره بأنه لا اله الا الله فلا يستحق العبادة احد الا هو ، وأن محمدا رسول الله فيجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر . فلا بد من الكلام فى هذين الأصليين :

**الأصل الأول توحيد الالهية** فانه سبحانه أخبر عن المشركين بأنهم أثبتوا وسائط بينهم وبين الله يدعونهم ويتخذونهم شفعاء بدون اذن الله ، قال تعالى ( ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات والأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون ) - فأخبر أن هؤلاء الذين اتخذوا هؤلاء شفعاء مشركون . . . . . ومن تحقيق التوحيد أن يعلم أن الله تعالى أثبت له حقا لا يشركه فيه مخلوق كالعبادة والتوكل والخوف والخشية والتقوى . . . . .

**الأصل الثانى : حق الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعلىنا** أن نؤمن به ونطيعه ونتبعه ونرضيه ونحبه ونسلم لحكمه . . . . . قال تعالى ( من يطع الرسول فقد أطاع الله ) . . . . . وقال تعالى ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ) . . . . . ولابد فى عبادته من أصليين : أحدهما اخلاص الدين له ، والثانى: موافقة أمره الذى بعث به رسله ، ولهذا كان عمر بن الخطاب يقول فى دعائه : اللهم اجعل عملى كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا ، وقال الفضيل بن عياض فى قوله تعالى ( ليلوكم أيكم أحسن عملا ) : أخلصه وأصوبه ، قالوا يا ابا على ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : اذا كان العمل خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا - والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة . ولهذا ذم الله المشركين فى القرآن على اتباع ما شرع لهم شركاؤهم من الدين مالم يأذن به الله من عبادة غيره ، وفعل مالم يشرعه من الدين ، كما قال تعالى ( أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ) ، كما ذمهم على أنهم حرموا مالم يحرمه الله ، والدين الحق أنه لا حرام الا ما حرمه الله ولا دين الا ما شرعه ، ثم ان الناس فى عبادته واستعانته على أربعة أقسام : فالؤمنون المتقون هم له وبه يعبدونه ويستعينونه ، وطائفة تعبده من غير استعانة ولا صبر فتجده عند أحدهم تحريا للطاعة والورع ولزوم

السنة لكن ليس لهم توكل واستعانة وصبر بل فيهم عجز وجزع ، وطائفة فيهم استعانة وتوكل وصبر من غير استقامة على الأمر ولا متابعة للسنة فقد يمكن أحدهم ويكون له نوع من الحال باطنا وظاهرا ويعطى من المكاشفات والتأثيرات مالم يعطه الصنف ( السابق ) ولكن لا عاقبة له فانه ليس من المتقين والعاقبة للتقوى ٠٠٠٠ وشر الأقسام من لا يعبده ولا يستعينه ، فهو لا يشهد أن علمه لله ولا أنه بالله ٠ فالمعتزلة ونحوهم - من القدرية الذين أنكروا القدر - هم فى تعظيم الأمر والنهى والوعد والوعيد خير من هؤلاء الجبرية القدرية الذين يعرضون عن الشرع والأمر والنهى ، والصوفية هم فى القدر ومشاهدة توحيد الربوبية خير من المعتزلة ، لكن فيهم من فيه نوع بدع مع اعراض عن بعض الأمر والنهى والوعد والوعيد حتى يجعلوا الغاية هى مشاهدة توحيد الربوبية والفناء فى ذلك ويصيرون أيضا معتزلين لجماعة المسلمين وسنتهم فهم معتزلة من هذا الوجه وقد يكون ما وقعوا فيه من البدعة شرا من بدعة أولئك المعتزلة وكلتا الطائفتين نشأت من البصرة ، وإنما دين الله ما بعث به رسله وأنزل به كتبه وهو الصراط المستقيم ، وهو طريقة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خير القرون وأفضل الأمة وأكرم الخلق على الله تعالى بعد النبيين قال تعالى ( والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ) ٠٠٠٠ وكان عبد الله بن مسعود يقول : من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فان الحى لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم واقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بدينهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم ٠٠٠ وقد قال عبد الله بن مسعود : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وخط حوله خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال : هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ ( وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ) ٠ وقد أمرنا سبحانه أن نقول فى صلاتنا ( اهدنا الصراط المستقيم ٠ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ) ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم ( اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون ) ، وذلك أن اليهود عرفوا الحقيق ولم يتبعوه والنصارى عبدوا الله بغير علم ٠ ولهذا كان يقال : تعودا بالله من فتنة العالم الفاجر والعايد الجاهل فان فتنتهما فتنة لكل مفتون ٠٠٠٠ فنسأل الله العظيم أن يهدينا وسائر اخواننا صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعم الله

عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا « (١)

**السلفية ٠٠٠ دعوة موافقة لكل عصر ، ( ومعاصرة ) دائما :**

تلكم هي عقيدة السلف رضوان الله عليهم ، أو هي عقيدة التوحيد كما جاء بها رسل الله وأنبيأؤه ونزلت بها كتبه ، تنزع عن الناس اصرارهم والأغلال التي كانت عليهم ، فلا عبودية الا لله ، ولا طاعة الا لأمره وفقا لما جاء به رسوله صلوات الله عليه « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجيونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » ( الأعراف / ١٥٧ ) .

ولا غرو أن تكون الدعوة الى الاقتداء بالسلف هي دعوة متجددة دوما ، وهي على ذلك دعوة ملائمة لعصرنا ولكل عصر ، لأنها تربط المؤمنين بالينابيع الصافية ، وتسقط عنهم رواسب القرون والأجيال من ابتداع البشر ، وتعيدهم الى كتاب الله المحكم المبين وسنة رسوله البيضاء النقية « قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ، وان تخفيوه تهتدوا ، وما على الرسول الا البلاغ المبين » ( النور / ٥٤ ) .

فالدعوة السلفية موافقة لكل زمان على الدوام ، لأنها تهدر كل ما لم يأت به رب الناس الذي برأ النفوس ويعلم خفاياها ومكنون نزعاتها وأنزل ما يزيها ويهديها للتي هي اقوم ، وكل انسان يؤخذ من قوله ويترك الا المعصوم صلوات الله عليه ٠٠٠٠ وهكذا يتحرر المؤمنون في كل عصر من ركام جمعه الهوى والتقليد عبر القرون ، وخيم على القلوب والعقول جيلا بعد جيل .

ومن ثم كانت كل دعوة مخلصمة الى تجديد أمر هذا الدين ، تلح على توثيق عرى المؤمنين بمصدرية الخالدين : كتاب الله وسنة رسوله ٠٠٠٠ ولا تحاول بحال من أن توهن هذه العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، مما قد يتصوره البعض من لفظ ( تجديد ) وبخاصة أتباع الديانات الأخرى والسذنين

---

(١) ابن تيمية : الرسالة التدمرية - طبعة كلية الشريعة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - الرياض ١٣٩٦ هـ ص ١١٣ - ١٢٩ ، ١٤٣ - ١٤٧

الفوا الاصلاح والتجديد على منهج ما لدى هؤلاء الأتباع ٠٠٠ ان فى العبودية الخالصة لله ، والرجوع الى الكتاب والسنة وحدهما لمعرفة ما أمر به الله وما نهى عنه ، تحريراً للعقل والنفس ، للفرد والجماعة : « قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد ان هدانا الله ، كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران ، له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا ، قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين » ( الأنعام / ٧١ ) .

وماذا يريد المعاصرون أكثر من هذا التحرر الفكرى النفسى ، الفردى الجماعى ، الذى يأتى به افراد الله بالألوهية والربوبية . يقول سبحانه فى النعى على اليهود والنصارى واتخاذهم من دون الله أولياء يطيعونهم طاعتهم ربهم أو أكثر « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون » ( التوبة / ٣١ ) .

نقل ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية من سورة التوبة ما رواه الامام احمد والترمذى وابن جرير من طريق عدى بن حاتم أنه لما بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فر الى الشام وكان قد تنصر فى الجاهلية ، فأسرت اخته وجماعة من قومه ثم من رسول الله صلوات الله عليه وسلامه على أخته وأعطاهما فرجعت الى أخيها فرغبتة فى الاسلام وفى القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عدى الى المدينة وكان رئيسا فى قومه طيء وأبوه حاتم الطائى المشهور بالكرم ، فتحدث الناس بقدومه فدخل على رسول الله عليه الصلاة والسلام عدى وفى عنقه صليب من فضة وهو يقرأ الآية ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ) قال : « فقلت انهم لم يعبدوهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم - فتلك عبادتهم اياهم » ( ج ٢ ص ٣٤٨ ) .

فبالتوحيد الصحيح يتحرر المؤمن من متابعة كل ذى سطوة من البشر ، يقول تعالى « ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » ( النساء / ٥٩ ) ويذكر ابن القيم رحمه الله فى بيان معنى هذه الآية « فأمر الله بطاعته وطاعة رسوله ، وأعاد الفعل ( أطيعوا ) اعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر

به على الكتاب ٠٠٠٠ ولم يأمر بطاعة أولى الأمر استقلالا ، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم ضمن طاعة الرسول ايذانا بأنهم انما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول» (١) .

يقول ابن تيمية رحمه الله : « كل محبة لا تكون لله فهي باطلة ، وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل ، فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله ، ولا يكون لله الا ما أحبه الله ورسوله وهو المشروع ٠٠٠ وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ) وقال ( انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى ) ٠٠٠٠ وهذا الأصل هو أصل الدين ، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب واليه دعا الرسول وعليه جاهد . والشرك غالب على النفوس ، وهو كما جاء فى الحديث ( هو فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل ) ٠٠٠ وكثيرا ما يخالط النفوس عن الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له واخلاص دينها له ٠٠٠ وعن كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ( ما ذئبان جائعان أرسلا فى زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه ) - قال الترمذى : حديث حسن صحيح . فبين صلى الله عليه وسلم أن الحرص على المال والشرف فى افساد الدين لا ينقص عن افساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم . وذلك بين فان الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص ، وذلك ان القلب اذا ذاق حلوة عبوديته لله ومحبته له لم يكن شىء أحب اليه من ذلك حتى يقدمه عليه ، وبذلك يصرف عن أهل الاخلاص لله السوء والفحشاء كما قال تعالى ( كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ) ٠٠٠٠ بخلاف القلب الذى لم يخلص لله فان فيه طلبا وارادة وحبا مطلقا ، فيهوى كل ما يسنح له ويتشبث بما يهواه ٠٠٠٠ فتارة تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة فيبقى أسيرا عبدا ٠٠٠ وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة ، فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة ويستعبده من يثنى عليه بالباطل ويعادى من يذمه ولو بالحق . وتارة يستعبده الدرهم والدينار ، وأمثال ذلك من الأمور التى تستعبد القلوب والقلوب تهواها ، فيتخذ الله هواه ويتبع هواه بغير هدى من الله ، ومن لم يكن خالصا لله بحيث يكون الله أحب اليه من كل ما سواه ويكون ذليلا له خاضعا استعبدته الكائنات واستولت على قلبه الشياطين وكان من الغاوين اخوان الشياطين وصار فيه من السوء والفحشاء ما لا يعلمه الا

(١) ابن القيم : اعلام الموقعين - المطبعة المنيرية بالقاهرة - ج ١ ص ٣٩

الله . وهذا أمر ضرورى لا حيلة فيه ، فالقلب ان لم يكن حنيفا مقبلا على الله  
 معرضا عما سواه كان مشركا ٠٠٠٠ ، وينقل ابن تيمية حديث رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد  
 القطيفة ، تعس عبد الخميصة ٠٠٠ ان أعطى رضى واذا منع سخط » ثم يقول  
 « وهكذا حال من كان متعلقا برئاسة أو بصورة ونحو ذلك من أهواء نفسه ،  
 ان حصل له رضى وان لم يحصل له سخط . فهذا عبد ما يهواه من ذلك ، وهو  
 رقيق له ، اذ الرق والعبودية فى الحقيقة هو رق القلب وعبوديته فما  
 استرق القلب واستعبده فالقلب عبده ٠٠٠٠ فالعبد لابد له من رزق وهو  
 محتاج الى ذلك ، فاذا طلب رزقه من الله صار عبدا لله فقيرا اليه واذا طلبه  
 من مخلوق صار عبدا لذلك المخلوق فقيرا اليه ، ولهذا كانت مسألة المخلوق  
 محرمة فى الأصل وانما أبيحت للضرورة ٠٠٠٠ وكلما قوى طمع العبد فى  
 فضل الله ورحمته لقضاء حاجته ودفع ضرورته قويت عبوديته له وحرية  
 مما سواه ، فكما أن طمعه فى المخلوق يوجب عبوديته له فياسه منه يوجب غنى  
 قلبه عنه ٠٠٠٠ واعراض قلبه عن الطلب من الله والرجاء له يوجب انصراف  
 قلبه عن العبودية لله ، لا سيما من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق بحيث  
 يكون قلبه معتمدا اما على رئاسته وجنوده وأتباعه ومماليكه واما على أهله  
 وأصدقائه واما على أمواله وذخائره واما على ساداته وكبريائه كمالكه وملكه  
 وشيخه ومخدومه وغيرهم ممن هو قد مات أو يموت ، وقد قال تعالى ( وتوكل  
 على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا ) . وكل  
 من علق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه أو أن يهدوه خضع قلبه لهم  
 وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك ، وان كان فى الظاهر أميرا لهم مدبرا  
 لأمرهم متصرفا بهم ٠٠٠٠ واما اذا كان القلب - الذى هو ملك الجسم -  
 رقيقا مستعبدا متيما لغير الله ، فهذا هو الذل والأسر المحض والعبودية الذليلة  
 لما استعبد القلب ٠٠٠٠ فالحرية حرية القلب والعبودية عبودية القلب كما أن  
 الغنى غنى النفس ، قال النبى صلى الله عليه وسلم ( ليس الغنى عن كثرة  
 العرض وانما الغنى غنى النفس ٠٠٠٠ قال تعالى ( ان الصلاة تنهى عن  
 الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ) ، فان الصلاة فيها دفع مكروه وهو  
 الفحشاء والمنكر وفيها تحصيل محبوب وهو ذكر الله ، وحصول هذا المحبوب  
 أكبر من دفع ذلك المكروه ٠٠٠٠ وكذلك طالب الرئاسة والعلو فى الأرض قلبه  
 رقيق لمن يعينه عليها ولو كان فى الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم فهو فى الحقيقة  
 يرجوهم ويخافهم فيبذل لهم الأموال والولايات ويعفو عما يجترحونه ليطيعوه

ويعينوه ٠٠٠٠ والتحقيق أن كلاهما فيه عبودية للآخر ، وكلاهما تارك لحقيقة عبادة الله ٠ واذ كان تعاونهما على العلو فى الأرض بغير الحق كانا بمنزلة المتعاونين على الفاحشة أو قطع الطريق ، فكل واحد من الشخصين ، لهواه الذى استعبده واسترقه مستعبد للآخر ٠ وهكذا أيضا طالب المال ، فان ذلك المال يستعبده ويسترقه « (١) » ٠

فماذا ينشد دعاة الاصلاح فى كل زمان ومكان ، أقوى من هذا التحرير للنفس من داخلها وأعماقها عن طريق تصحيح الاعتقاد والايان ؟؟ ان التحرير بكلمات تقال وفكر يصاغ وقوانين يكتبها البشر للبشر هيئات أن يبلغ ما تبلغه العقيدة الصحيحة التى تنفتت العبودية لله فى أعماق الأعماق ، فتفتت معها التحرر من كل الأغيار والشركاء والأنداد ، وتقتل جراثيم الانقياد لشيء من هؤلاء ٠٠٠٠ وهذه نقطة البدء وحجر الأساس لكل دعوة للاصلاح والتصحيح ٠

لهذا كانت العقيدة الصحيحة التى يقتدى فيها بالسلف الصالح هى رأس الأمر وعموده فى كل دعوة لتجديد أمر هذا الدين وانهاض أمته ، فليس كل رجوع الى الأصل رجعية مذمومة مثلما يدين الفكر الغربى الذى يحذر الرجوع الى سيطرة الكهنوت والكنيسة ٠٠٠٠ ان الأمر على العكس تماما فى دين الاسلام ، فالرجوع الى الأصل ينقى ما أفرخته الأهواء والأوهام والتقاليد على مر الأجيال وفى مختلف البيئات ، ويعيد الدين غضا طريا مستمدا من ينبوعه النقى الصافى من الأكدار !

وهكذا اتخذت كل دعوة معاصرة مخلصا للاصلاح « السلفية » أساسا ومنطقا ٠٠٠٠ فالعقيدة السلفية الصحيحة تطلق القوى والطاقات وتخلص الانسان من العبودية للانسان ٠٠٠٠ وما أصدق ريعى بن عامر حين دخل على رستم قائد الفرس - كما روى الطبرى فى خبر ابتداء أمر (القادسية) (٢) سنة ١٤ هـ « فسأله ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا والله جاء بنا ، لنخرج من شاء : من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ٠ فأرسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليه ٠٠٠٠ » ٠

(١) ابن تيمية : العبودية ص ٨٧ - ١٠١ ، ١٣٧ - ١٤٢

(٢) تاريخ الطبرى - أخبار سنة ١٤ هـ ( ابتداء أمر القادسية )

والعقيدة السلفية الصحيحة كما تنفى الاستسلام والانقياد والخضوع  
بغير حق ، تنفى السلبية والتواكل وهجر الدنيا واعتزال الخلق . . . . . فالتركز  
المشروع غير التواكل المذموم ، وانما يعبد الله بالأمر بالمعروف والنهي عن  
المنكر ومخالطة الناس وتحمل أذاهم ، ويتقى الله فى التعامل مع خلقه ، وتبتنى  
الآخرة فى السعى والعمل بهذه الدنيا « ومن عبادته وطاعته الأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر بحسب الامكان والجهاد فى سبيله لأهل الكفر والنفاق ،  
فيجتهدون فى اقامة دينه مستعينين به رافعين مزيلين بذلك ما قدر من السيئات  
دافعين بذلك ما قد يخاف من آثار ذلك ، كما يزيل الانسان الجوع الحاضر  
بالأكل ويدفع به الجوع المستقبل ، وكذلك اذا آن أو ان البرد دفعه باللباس ،  
وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروه . كما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم :  
يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقى نتقى بها :  
هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال : هى من قدر الله . وفى الحديث : ان الدعاء  
والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والأرض . فهذا حال المؤمن بالله  
ورسوله العابدين لله ، وكل ذلك من العبادة . وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة  
الكونية - وهى ربوبيته تعالى لكل شىء - ويجعلون ذلك مانعا من اتباع أمره  
الدينى الشرعى على مراتب من الضلال فغلاتهم يجعلون ذلك مطلقا عاما  
فيحتجون بالقدر فى كل ما يخالفون الشريعة ، وقول هؤلاء شر من قول اليهود  
والنصارى وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا ( لو شاء الله ما أشركنا  
ولا آباءنا ولا حرمنا من شىء ) وقالوا ( لو شاء الرحمن ما عبدناهم ) .  
وهؤلاء من أعظم أهل الأرض تناقضا ، بل كل من احتج بالقدر فانه متناقض !  
فانه لا يمكن أن يقر كل آدمى على ما يفعل ، فلا بد اذا ظلمه ظالم أو ظلم  
الناس ظالم وسعى فى الأرض بالفساد أن يدفع هذا القدر وأن يعاقب الظالم  
بما يكف عدوانه وعدوان أمثاله ، فيقال له : ان كان القدر حجة فدع كل واحد  
يفعل ما يشاء بك وبغيرك وان لم يكن حجة بطل أصل قولك . . . . . وأصحاب  
هذا القول الذين يحتجون بالحقيقة الكونية لا يطردون هذا القول ولا  
يلتزمونه ، وانما هم يتبعون آراءهم وأهواءهم : كما قال فيهم بعض العلماء :  
انت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى ، أى مذهب وافق هواك تمذهبت  
به !! . . . . . وقد يقولون : من شهد الارادة سقط عنه التكليف ، ويزعمون أن  
الخضر سقط عنه التكليف لشهوده الارادة ، فهؤلاء يفرقون بين العمامة  
والخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية فشهدوا أن الله خالق أفعال العباد  
وأنه مريد ومدبر لجميع الكائنات ، وقد يفرقون بين من يعلم ذلك علما وبين



من يراه شهودا فلا يسقطون التكليف عن يؤمن بذلك ويعلمه فقط ولكن يسقطونه عن يشهده فلا يرى لنفسه فعلا أصلا ، وهؤلاء يجعلون الجبر واثبات القدر مانعا من التكليف على هذا الوجه ٠٠٠٠ ثم المعتزلة أثبتت الأمر والنهي الشرعيين دون القضاء والقدر اللذين هما إرادة الله العامة وخلقة لأفعال العباد ، وهؤلاء أثبتوا القضاء والقدر ونفوا الأمر والنهي فى حق من شهد القدر ان لم يمكنهم نفى ذلك مطلقا . وقول هؤلاء شر من قول المعتزلة ، لهذا لم يكن فى السلف من هؤلاء أحد . وهؤلاء يجعلون الأمر والنهي للمجبوبين الذين لم يشهدوا هذه الحقيقة الكونية ، ولهذا يجعلون من وصل الى شهود هذه الحقيقة يسقط عنه الأمر والنهي ويقولون انه صار من الخاصة ، وربما تأولوا على ذلك قوله تعالى ( واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ) - فاليقين عندهم هو معرفة هذه الحقيقة . وقول هؤلاء كفر صريح ، وان وقع فيه طوائف لم يعلموا أنه كفر ، فانه قد علم بالاضطرار من دين الاسلام أن الأمر والنهي لازمان لكل عبد ما دام عقله حاضرا الى أن يموت لا يسقطان عنه لا بشهوده القدر ولا بغير ذلك . فمن لم يعرف ذلك عرفه وبين له ٠٠٠ وقد كثرت مثل هذه المقالات فى المستأخرين ، وأما المتقدمون من هذه الأمة فلم تكن هذه المقالات معروفة فيهم وهذه المقالات هى محادة لله ورسوله ومعادة له وصد عن سبيله ومشاقة له وتكذيب لرسله ومضاده له فى حكمه ، وان كان من يقول هذه المقالات قد يجهل ذلك ويعتقد أن هذا الذى هو عليه هو طريق الرسول وطريق أولياء الله المحققين فهو فى ذلك بمنزلة من يعتقد أن الصلاة لاتجب عليه لاستغنائها بما حصل له من الأحوال القلبية أو أن الخمر حلال له لكونه من الخواص الذين لا يضرهم شرب الخمر أو أن الفاحشة حلال له لأنه صار كالبحر لا تكدره الذنوب - ونحو ذلك !! ٠٠٠ وهؤلاء قد يسمون ما أحدثوه من البدع حقيقة ، كما يسمون ما يشهدون من القدر حقيقة ، وطريق الحقيقة عندهم هو السلوك الذى لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه ولكن بما يراه وينوقه ويجده فى قلبه مع ما فيه من غفلة عن الله جل وعلا ٠٠٠ وأصل ضلال من ضل هو بتقدير قياسه على النص المنزل من عند الله وتقديم اتباع الهوى على اتباع أمر الله ، فإن الذوق والوجد ونحو ذلك هو بحسب ما يحبه العبد ويهواه ، فكل محب له ذوقه ووجد بحسب محبته وهواه . فأهل الايمان لهم من الذوق والوجد مثل ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فى الحديث الصحيح : ( ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ، ومن كان يكره أن يرجع فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى

للنار) ٠٠٠ وأما أهل الكفر والبدع والشهوات فكل بحسبه • قيل لسفيان ابن عيينة : ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم ؟ فقال : أنسيت قوله تعالى ( وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم ) - أو نحو هذا من الكلام ٠٠٠ ولهذا يميل هؤلاء ويغرمون بسماع الشعر والأصوات التى تهيج المحبة المطلقة التى لا تختص بأهل الإيمان بل يشترك فيها محب الرحمن ومحب الأوثان ومحب الصليبان ومحب الأوطان ومحب الاخوان ومحب المردان ومحب النسوان ، وهؤلاء الذين يتبعون أذواقهم ومواجيدهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة • فالمخالف لما بعث الله به رسوله من عبادته وحده وطاعته وطاعة رسوله لا يكون متبعا لدين شرعه الله أبدا • بل يكون متبعا لهواه بغير هدى من الله ، قال تعالى ( أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ) • ومن هؤلاء طائفة هم أعلاهم عندهم قدرا مستمسكون بما اختاروا بهوهم من الدين فى أداء الفرائض المشهورة ، واجتناب المحرمات المشهورة ، لكن يضلون بترك ما أمروا به من الأسباب التى هى عبادة ، ظانين أن العارفا إذا شهد القدر أعرض عن ذلك ، مثل من يجعل التوكل منهم أو الدعاء منهم من مقامات العامة دون الخاصة بناء على أن من شهد القدر علم أن ما قدر سيكون فلا حاجة به الى ذلك ، وهذا ضلال مبين • فان الله قدر الأشياء بأسبابها كما قدر السعادة والشقاوة بأسبابها • فكل ما أمر الله به عبادته من الأسباب فهو عبادة ، والتوكل مقرون بالعبادة كما فى قوله تعالى ( فاعبده وتوكل عليه ) • ومعهم طائفة قد تترك المستحبات من الأعمال دون الواجبات فتتقص بقدر ذلك • ومنهم ومعهم طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة ، مثل مكاشفة ، واستجابة دعوة مخالفة للعادة ونحو ذلك ، فيشتغل أحدهم بهذه الأمور عما أمر به من العبادة والشكر ونحو ذلك • فهذه الأمور ونحوها كثيرا ما تعرض لأهل السلوك والتوجه وإنما ينجو العبد منها بملازمة أمر الله الذى بعث به رسوله فى كل وقت ، كما قال الزهري : كان من مضى من سلفنا يقول ( الاعتصام بالسنة نجا ) ، وذلك أن السنة كما قال مالك رحمه الله : مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ! • فما كان من البدع فى الدين التى ليست فى الكتاب ولا فى صحيح السنة ، فأنها - وان قالها وعمل بها من عمل - ليست مشروعة ، فان الله لا يحبها ولا رسوله فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح ، ( ١ ) •

( ١ ) ابن تيمية : العبودية ص ٦١ - ٧٥ •

هذه عقيدة السلف في حقيقتها الصافية وآثارها الإيجابية النافعة في صلاح النفس واصلاح الخلق ، تطلق طاقات العقل والنفس والبدن وفقا لأمر الله وابتغاء مرضاته ورجاء مثوبته ، ولا تقطع الانسان من الدنيا ولا تعزله عن الناس ، وانما تقيم التوازن الرشيد باقامة ميزان القسط بين الغاية والوسيلة ، كما يقول تعالى « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتتوء بالعصبة أوى القوة ، ان قال له قومه لا تفرح ، ان الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولاتنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين ، قال : انما أوتيته على علم عندى ، أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ، ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون» (القصص / ٧٦-٧٨) : يقول ابن خلدون « واعلم أن الدنيا كلها وأحوالها عند الشارع مطية للآخرة ، ومن فقد المطية فقد الوصول . وليس مراده فيما ينهى عنه أو يذمه من أفعال البشر أو يندب الى تركه اهماله بالكلية أو اقتناعه من أصله وتعطيل القوى التى ينشأ عليها بالكلية ، انما قصده تصريفها فى أغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تعيد المقاصد كلها وتتحد الوجهة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه ) . فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعه من الانسان فانه لو زالت منه قوة الغضب لفقد منه الانتصار للحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله ، وانما يذم الغضب للشيطان والأغراض الذميمة ، فاذا كان الغضب لذلك كان مذموما واذا كان الغضب فى الله ولله كان ممدوحا وهو من شمائله صلى الله عليه وسلم . وكذا ذم الشهوات أيضا ليس المراد ابطالها بالكلية . . . وانما المراد تصريفها فيما أبيض له باشماله على المصالح ليكون الانسان عبدا متصرفا طوع الأوامر » (١) وهكذا يملك المرء شهواته لكن لا تملكه ولا يفقدها تماما ، انما يوجهها ويعليها ويجعل هواه تبعاً لأمر الله ورسوله .

(١) ابن خلدون : المقدمة (وهى الجزء الأول من تاريخه) - ط ٣ بيروت

١٩٦٧ م ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

## السلفية : رجوع - الى هدى السلف منذ عهد الرسالة :

واعتماد السلف وعملهم اللذان ينبغي أن نهتدى بهديهما قائم منذ بلغ رسول الله صلوات الله عليه دعوته وتبعه عليها صحابته « خير القرون وأفضل الأمة وأكرم الخلق على الله تعالى بعد النبيين » كما تقدم من قول ابن تيمية فى رسالته التدمرية « وأبر هذه الأمة قلوبا وأعماقهم علما وأقلهم تكلفا » - كما نقل ابن تيمية عن عبد الله بن مسعود . وقد تتابع على اعتقاد السلف وعملهم الصالحون من هذه الأمة خاصتهم وعامتهم ، فعرف عنهم التوحيد فى العلم والقول ، والتوحيد فى القصد والارادة والعمل ، فكان توحيدهم مكتملا فيه الهدى والاسوة والقترة لكل من جاء بعدهم ، ولم يبتدع ذلك أو يخترعه ابن تيمية أو ابن عبد الوهاب ، وإنما التزموا ما تعاقب عليهم السلف الصالح فى القرون المتوالية « وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها اثبات ما أثبتته - الله - من الصفات غير تكليف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل . . . . . ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف عن قوله تعالى ( الرحمن على العرش استوى ) قالوا : الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب وعلى الرسول البلاغ وعلينا الايمان » (١) . يقول ابن كثير عن قوله تعالى « ثم استوى على العرش » الذى تضمنه الآية « ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل والنهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » ( الأعراف / ٥٤ ) : « فالناس فى هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها ، وإنما نسلك فى هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثورى والليث بن سعد والشافعى وأحمد واسحق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا - وهو امرارها كما جاءت من غير تكليف ولا تشبيه ولا تعطيل . والظاهر المتبادر الى أنهان المشبهين منفى عن الله فان الله لا يشبهه شىء من خلقه ( ليس كمثلته شىء وهو السميع البصير ) ، بل الأمر كما قال الأئمة : منهم نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخارى قال : ( من شبه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ) . وليس فيما وصف الله نفسه ولا رسوله تشبيه ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه

(١) ابن تيمية : الرسالة التدمرية ص ٧ ، ٦٢ .

الذى يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى »  
( ج ٢ ص ٢٢٠ ) .

وقبل ابن تيمية ( المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ) بقرون وبالتالي قبل محمد بن عبد الوهاب بقرون أكثر وزمن أبعد - كتب أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصرى الحنفى المنسوب الى قرية ( طحا ) من صعيد مصر والمتوفى سنة ٢٢١ هـ كتابه فى العقيدة السلفية المعروف « بالطحاوية » ، وصاحبه كان شافعيًا وهو ابن اخت المزنى صاحب الشافعى ، ثم تحول الطحاوى الى الحنفية . وقد شرح كتابه فى العقيدة السلفية صدر الدين على بن محمد بن أبى العز - وهو حنفى أيضا كان قاضى القضاة بدمشق والقاهرة وتوفى سنة ٧٩٢ هـ . وشرح الطحاوى مصدر جليل فى العقيدة السلفية ومرجع أساسى لطلاب العلم وان كان الكاتب والشارح من أتباع مذهب أبى حنيفة ، فقد كان اعتقاد السلف نهج الأئمة جميعًا وتابعيهم باحسان وقد طبع الكتاب أولا على نفقة عبد العزيز ال سعود مؤسس هذه الدولة ، ثم طبعته أخيرا كلية الشريعة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية . وقد أجمل الكتاب مباحث التوحيد « أحدها : الكلام فى الصفات ، والثانى : توحيد الربوبية وبيان أن الله وحده خالق كل شىء ، والثالث توحيد الالهية وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له » ثم يذكر أن « التوحيد الذى دعت اليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان : توحيد فى الإثبات والمعرفة - أى اثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ليس كمثل شىء كما أخبر عن نفسه ، وتوحيد الطلب والقصد . . . . . وغالب سور القرآن متضمن لنوعى التوحيد ، بل كل سورة فى القرآن » . وأوضح الكتاب أن « التوحيد الذى دعت اليه الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الالهية المتضمن توحيد الربوبية وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، فان المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وأن خالق السموات والأرض واحد . . . . . ولم يكونوا يعتقدون فى الأصنام أنها مشاركة لله فى خلق العالم ، بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركى الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم ، تارة يعتقدون أن هذه تماثيل قوم صالحين ويتخذونهم شفعاء ويتوسلون بهم الى الله . . . . . وفى الصحيحين أنه صلوات الله وسلامه عليه ذكر فى مرض موته كنيسة بأرض الحبشة وذكر من حسننها وتصاوير فيها قال ( ان أولئك اذا مات فىهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك التصاوير ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة ) وفى صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يموت بخمس

( ان كان قبلكم يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد ، فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك ) ومن أسباب الشرك عبادة الكواكب ٠٠٠ وكذلك الشرك بالملائكة والجن واتخاذ الأصنام لهم ٠ وهؤلاء كانوا مقرين بالصانع وأنه ليس للعالم صانعان ٠٠٠ فعلم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الالهية الذى يتضمن توحيد الربوبية » ( ١ ) ٠

### صور من انحراف الاعتقاد والسلوك :

وهذا الكتاب الجليل كما يجلى الحق يبرز الباطل ، وكما يأمر بالمعروف ينهى عن المنكر ، فهو يكشف أصحاب الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة ويصورهم للعيان صوراً فاضحة معبرة ، فهم أنواع « نوع منهم أهل تلبيس وكذب وخداع الذين يظهر أحدهم طاعة الجن له أو يدعى الحال من أهل المحال من المشائخ النصابين والفقراء الكذابين والطرقية المكارين ، فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التى تردعهم وأمثالهم ٠ وقد يكون فى هؤلاء من يستحق القتل كمن يدعى النبوة بمثل هذه الخزعبلات أو يطلب تغيير شىء من الشريعة ونحو ذلك ٠٠٠ ونوع منهم بالأحوال الشيطانية والتصوف ومخاطبته رجال الغيب وأن لهم خوارق تقتضى أنهم أولياء الله ، وكان من هؤلاء من يعين المشركين على المسلمين ويقول أن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين لكون المسلمين قد عصوا ! ، وهؤلاء فى الحقيقة اخوان المشركين ٠٠٠ ويقول بعض الناس : الفقراء يسلم اليهم حالهم ، وهذا كلام باطل بل الواجب عرض أفعالهم وأحوالهم على الشريعة المحمدية فما وافقها قبل وما خالفها رد كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ( من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ) وفى رواية ( من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ) ٠ فلا طريقة الا طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا حقيقة الا حقيقته ولا شريعة الا شريعته ولا عقيدة الا عقيدته ، ولا يصل أحد من الخلق بعده الى الله ورضوانه وجنته وكرامته

---

(١) « شرح الطحاوية » وهو شرح صدر الدين على بن على بن محمد ابن أبى العز الحنفى لكتاب أبى جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصرى وكان شافعيًا وتحول للحنفية - تحقيق أحمد محمد شاكر - طبعة كلية الشريعة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - الرياض سنة ١٣٥٦ هـ ص ٢٣ ، ٢٦ - ٢٨ ، ٣٥ ٠

الا بمتابعته باطنا وظاهرا ، ومن لم يكن له مصدقا فيما أخبر ملتزما لطاعته فيما أمر في الأمور الباطنة التي في القلوب والأعمال الظاهرة التي على الأبدان، لم يكن مؤمنا فضلا عن أن يكون وليا لله تعالى ، ولو طار في الهواء ومشى على الماء وأنفق من الغيب وأخرج الذهب من الخشب ، ولو حصل له من الخوارق ما عسى أن يحصل فانه لا يكون مع تركه الفعل المأمور وعمل المحظور الا من أهل الأحوال الشيطانية ٠٠٠ فمن اعتقد في بعض البله مع تركه لمتابعة الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله أنه من أولياء الله ويفضله على متبعي طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو ضال مبتدع مخطئ في اعتقاده ٠٠٠ قال موسى ابن عبد الأعلى الصوفى : قلت للشافعى : ان صاحبنا الليث يقول : اذ رأيتم الرجل يمشى على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة . فقال الشافعى : ٠٠٠ بل اذا رأيتم الرجل يمشى على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب ٠٠٠ والطائفة الملامية وهم الذين يفعلون ما يلامون عليه ويقولون نحن متبعون في الباطن ٠٠ ردوا باطلهم بباطل آخر ! ٠٠٠ وأما الذين يتعبدون بالرياضات والخلوات ويتركون الجمع والجماعات فهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ٠٠٠ وأما من يتعلق بقصة موسى مع الخضر في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدنى الذى يدعيه بعض من عدم التوفيق فهو ملحد زنديق «(١)

وانما تهدف كل نهضة حاضرة أو ماضية أو مستقبله أن تخلص الأمة من (البلة) وأتباعهم ، ومن البلاهة والضلالة ، وأن تحرر العقول والنفوس وتطلق طاقات الانسان في الفكر الرشيد الايجابى والعمل الصالح البناء ٠٠٠ فلا غرو أن تكون الدعوة السلفية في كل عصر هي أمل الشفاء من الأسقام والأوهام ، والسبيل لتحطيم الأصار والأغلال ، والنهوض والمسير قدما نحو الأمام الرجوع الى الكتاب والسنة والاهتداء بسلف الأمة هو ضمان المسير الى مستقبل أفضل ٠٠٠ وهكذا تكون السلفية دعوة معاصرة دائما ٠٠٠ وكما قيل بحق : ان أصدق العبودية (لله) هو أعلى درجات الحرية (بالنسبة للانسان) !

وإذا كان التقليد في أحكام الفروع بغير دليل اكتفاء بورودها في كتب المذهب ابطال للعقل وانحراف عن المصدر الأصيل للشرع ، فكيف بالتقليد في أصول الدين وعقيدته ؟ ٠٠٠ وإذا كان زيغ ( الخاصة ) من المتكلمين والفلاسفة

(١) شرح الطحاوية ص ٤٥٧ - ٤٦٣

محدود الأثر والنطاق ، فكيف يزيغ المتصوفة وسدنة الأضرحة وهم منتشرون بين العامة ويجتذبون الكثيرين من مختلف المستويات الاجتماعية والثقافية ٠٠٤٩ لا عجب أن اختص دعاة السلفية هؤلاء بالانكار ، وحرصوا على بيان حقيقة بدعهم الفكرية والسلوكية أمام الناس ، وبراعة الاسلام الصحيح من أوهامهم واهوائهم وضلالتهم وأباطيلهم ٠٠٠

ان المؤمن يعبد الله ، وتجمع لله وتوحده له سبحانه بالربوبية والالهية الاتجاه اليه جل وعلا بمشاعر الرجاء والخوف والمحبة معا لا ينفصل أحدها عن الآخر ، « ولهذا قيل : ( من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجىء ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حرورى ) ( أى من الخوارج ان كان أول تجمع لهم بحروراء قرب الكوفة ) ، ومن عبده بالحب فهو زنديق ، ومن عبده بالخوف والرجاء والحب فهو مؤمن موحد) ٠ وذلك أن الحب الذى ليس معه رجاء ولا خوف يبعث النفس على اتباع هواها ، وصاحبه انما يحب فى الحقيقة نفسه وقد اتخذ الهه هواه - فلهذا كان زنديقا ٠ ومن هنا دخلت الملاحدة الباطنية كالمقائلين بوحدة الوجود ، فان هؤلاء سلوكهم عن هوى ومحبة فقط ليس معه رجاء ولا خوف ، ولهذا يتنوعون ٠٠٠ ( كل حزب بما لديهم فرحون ) ٠ وهم ( أى بعضهم ) فى الحقيقة ينكرون محبة الله ، ولكن يقولون : الحكمة هى التشبه به ، ولهذا كان ابن عربى ( أبو بكر محى الدين محمد بن على بن محمد الحاتمى الطائى ٥٦٠ - ٦٣٨ هـ ) يجعل الولى لله هو المتشبه به فى التخلق بأسمائه وينكر اللذة بالمشاهدة والخطاب ٠٠٠ لأنها على صلة مشاهدة وجود مطلق ولا لذة فيها ٠ ووقع بينه وبينها شهاب الدين السهروردى (أبى حفص عمر بن محمد بن عبد الله ابن عموية من شيوخ الصوفية وفقهاء الشافعية وصاحب كتاب ( عوارف المعارف ٥٢٩ - ٦٣٢ هـ وهو غير السهروردى المقتول ) منازعة : هل حين يتجلى لهم يخاطبهم ؟ فأثبت شهاب الدين ذلك كما جاءت به الآثار ، وأنكر ذلك ابن عربى وقال : مسكين هذا السهروردى ، نحن نقول له عن تجلى الذات وهو يقول عن تجلى الصفات ! « (١) ٠

---

(١) ابن تيمية - جامع الرسائل بتحقيق محمد رشاد سالم - المجموعة



ومن أصدق من الله قيلا إذ يقول فى محكم تنزيله « فماذا بعد الحق  
 إلا الضلال ، فأنى تصرفون » ! (يونس / ٢٢) ويجيب ابن تيمية عن حال الحلاج  
 الحسين بن منصور ( قتل سنة بضع وثلاثمائة للهجرة ) : هل كان صديقا  
 أو زنديقا ؟ وهو الذى غلا وغلافه أناس افتتنوا به فكريا ، منهم معاصرون  
 غربيون قد يكونون ارتأوا فى قوله بالحلول مسمه من زعمهم تجسد الله  
 فى المسيح - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، وارتأوا فى قتله وصلبه تكرارا  
 لما حدث للمسيح بزعمهم أيضا ، وعلى رأسهم المستشرق الفرنسى المعروف  
 لويس ما سينيون ٠٠٠ يقول ابن تيمية فى جلاء وهو الذى استقر فى يقينه  
 صراط الله المستقيم لاعوج فيه ، وعقيدة السلف بيضاء نقية « ٠٠٠ لم يكن من  
 أولياء الله المتقين ، بل كان له عبادات ورياضات ومجاهدات بعضها شيطاني  
 وبعضها نفسانى ، وبعضها مرافق للشريعة من وجه دون وجه - فلبس الحق  
 بالباطل ٠٠٠ وذكر أبو عبد الرحمن السلمى فى ( طبقات الصوفية ) أن كثيرا  
 من المشايخ نموه وانكروا عليه ولم يعدوه من مشايخ الطريق وأكثرهم حط  
 عليه ، وممن ذمه وحط عليه أبو القاسم الجنيد ، ولم يقتل فى حياة الجنيد ٠٠  
 فان الجنيد توفى سنة ثمان وتسعين ومائتين والحلاج قتل سنة بضع وثلاثمائة  
 ٠٠٠ وأولياء الله العالمون بحال الحلاج فليس واحد منهم يعظمه ، ولهذا لم  
 يذكره القشيري فى مشايخ رسالته وان كان قد ذكر من كلامه كلمات  
 استحسناها ٠٠٠ وكان عمرو بن عثمان ( المكي ) يذكر أنه كافر ويقول : كنت  
 معه فسمع قارئاً يقرأ القرآن فقال : أقدر أن أصنف مثل هذا القرآن أو نحو هذا  
 الكلام ! وكان يظهر عند كل قوم ما يستجلبهم الى تعظيمه فيظهر عن أهل السنة  
 أنه سنى وعند أهل الشيعة أنه شيعى ، ويلبس لباس الزهاد تارة ولباس الاجناد  
 تارة ٠٠ فكل من خرج عن الكتاب والسنة كان له حال من مكاشفة أو تأثير فانه  
 صاحب حال نفسانى أو شيطاني ، وان لم يكن له حال بل هو يقتبى بأصحاب  
 الأحوال فهو صاحب حال بهتانى ٠٠٠ ومن اعتمد على مكاشفته التى هى  
 من أخبار الجن كان كذبه أكثر من صدقه ٠٠٠ وكلما بعدوا عن الله ورسوله  
 صلى الله عليه وسلم قربوا من الشيطان ٠٠٠ ولم يميز بين الأحوال الرحمانية  
 والنفسانية اشتبه عليه الحق بالباطل « (١) .

(١) المصدر السابق ص ١٨٧ - ١٩٩ . وانظر كيف ميز ابن تيمية رحمه  
 الله وأجزل مثوبته بين أصحاب الحال (النفسانى) وأصحاب الحال (الشيطاني)،  
 فللنفس طاقة تؤدى رياضتها وتنميتها الى تقويتها كما تؤدى رياضة البدن الى  
 قوته ، ولو لم تتبع صاحبها الشيطان أو يعبده ٠٠ ومثل هذه الرياضة وثمارها

وابن تيمية يكشف الاعتقاد فى ( الحلول ) أو ( الاتحاد ) الذى يؤمن به بعض المتصوفة ويستتهى آخرين وان لم يدركوا أبعاده ونتائج ، وهو يهتك ستره ويجلى حقيقته لمن حجبت عنهم ، ويبرز كفر العارفين به المصرين عليه .

**فالاتحادية « يقولون ان وجود الخالق هو وجود الخلق ، وحتى يصرحون بأن يغوث ويعوق ونسرا وغيرها من الأصنام هو وجودها وجود الله وأنها عبدت بحق ، وكذلك (العجل) عبد بحق ، وأن موسى أنكر على هارون من نهيه عن عبادة العجل ، وأن فرعون كان صادقا فى قوله أنا ربكم الأعلى - وأنه عين الحق ، وأن العبد اذا دعا الله تعالى فعين الداعى عين المجيب ، وأن العالم هويته ليس وراء العالم وجود أصلا ٠٠٠ وهم مع هذا الكفر والتعطيل الذى هو شر من قول اليهود والنصارى ، يدعون أن هذا العلم ليس الا خاتم الرسل وخاتم الأولياء الذى يدعونه ، وأن خاتم الأنبياء انما يرى هذا العالم من مشكاة خاتم الأولياء ، وأن خاتم الأولياء يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به الى خاتم الأنبياء ، وهو فى الشرع مع موافقته له فى الظاهر مشكاة فى الباطن ، ولا يحتاج أن يكون متبعا للرسول لا فى الظاهر ولا فى الباطن ٠٠ ولم يعلموا أن أفضل الأولياء من هذه الأمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى - وهم السالفون من الأولياء لا الآخرون ، ان فضل الأولياء على قدر اتباعهم للأنبياء واستفادتهم منهم علما وعملا ٠ وهؤلاء الملاحدة يدعون أن الولى يأخذ من الله بلا واسطة والنبى يأخذ بواسطة - وهذا جهل منهم ، فان الولى عليه أن يتبع النبى ، ويعرض كل ماله من محادثة والهام على ما جاء به النبى فان وافقه والا رده ان ليس هو بمعصوم فيما يقضى له ٠ وقد يلبسون على بعض الناس بدعواهم أن ولاية النبى أفضل من نبوته ، وهذا مع أنه ضلال فليس هو مقصودهم ، فهو مع ضلالهم فيما ظنوه من خاتم الأولياء ومرتبته يختلفون فى عينه بحسب الظن وما تهوى الأنفس لتنازعهم فى تعيين القطب الفرد الغوث**

---

غير ما تتجه اليه العقيدة القويمية والدين الصحيح ، فالاسلام ينمى طاقات الانسان متكاملة متوازنة متساندة ، ويوجهها الوجهة الصحيحة بعبادة الله عز وجل وطاعته ، ومن ثم تستثمر هذه الطاقات وتنفق لصالح الفرد والجماعة ، ولا تكون مجرد ( لذة ) أو ( متعة ) ذهنية أو نفسية للفرد ، لا ينتفع منها فى حياته العملية ولا تساير طاقات الانسان الأخرى وتتفاعل وتتعاون معها ويشد بعضها بعضا ، كما لا ينتفع بهذه الرياضة النفسية الفردية المجتمع ولا تؤثر فيه ولا توجه لصالحه .

الجامع ونحو ذلك من المراتب التى يدعونها - وهى معلومة البطلان بالشرع والعقل ، ثم يتنازعون فى عين الموصوف بها ٠٠٠٠ » (١) .

فهل يقبل عقل تظهر فيه نعمة الله بحقيقة فمعنى العقل الذى كرم رب العالمين الانسان به ، مثل هذا التخليط والضلال والكفر ؟؟ وهل يرفض العقل والنقل تأليه المسيح - وهو نبي مرسل عليه السلام ، ليقبل تأليه أى انسان من البشر ؟؟ ٠٠٠٠ الحق أن ذلك مرفوض من ذوى الأسباب الذى يتفكرون ويعقلون ويفقهون فى كل زمان ، وهو مرفوض من العقل المعاصر بطبيعة الحال الذى يزعم لنفسه اتباع آفاق المعرفة واستبانة مناهجها وتضاعف أدواتها ووسائلها ٠٠٠٠ فعقيدة السلف رضوان الله عليهم هى المقبولة عقلا ، المتفقة مع الكتاب والسنة نقلا ٠٠٠٠ وعقيدة السلف الصحيحة هى الكفيلة باقناع المعاصرين مثلما أقنعت السالفين السابقين بإحسان ، وهى التى تنقض أباطيل الطرقيين القبوريين فتأتى عليها وتخلص العقول والنفوس من أغلالها وكابوسها وظلماتها ، وتكشف كيف التبس الحق بالباطل فأدى الى الضلال البعيد والكفر « ٠٠٠ طائفة من النساك والعباد يزعمون فى بعض المشايخ أو فيمن يقولون أنه ولى الله أنه لا يذنب ، وربما عينوا بعض المشايخ وزعموا أنه لم يكن لأحدهم ذنب ، وربما قال بعضهم : النبى معصوم والولى محفوظ ! ومن غالبية هؤلاء من يعتقد فى بعض المشايخ من الالهية والنبوة ما اعتقدته الغالية فى على ، ويزعم أن الشيخ يخلق ويرزق ويدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ، ويعبده ويدعوه كما يعبد الله ، ويقول : كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان فانى لا أريده ، ويذبح الذبائح باسمه ، ويصلى ويسجد الى جهة قبره ، ويستغيث به فى الحاجات كما يستغاث بالله تعالى ٠٠٠٠ وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ومن اتبعهم على ما أخبر الله به فى كتابه وما ثبت عن رسوله من توبة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب التى تابوا منها ، وهذه التوبة رفع الله بها درجاتهم فان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وعصمتهم هى من أن يقرروا على الذنوب والخطأ ، فان من سوى الأنبياء يجوز عليهم الذنب والخطأ من غير توبة ، والأنبياء عليهم السلام يستدرکهم الله فيتوب عليهم ويبين لهم ٠٠٠٠ وهذه البدع هى وغيرها من البدع لابد أن تنافى كمال الايمان وتقبح فى بعض

(١) المصدر السابق ص ٢٠٤ - ٢٠٥ وانظر ( نصوص الحكم لابن عربى فى معنى ما ورد عن خاتم الأولياء وما توالى من عبارات منقولة فى حواشى المحقق بالمرجع نفسه : رقم ٢ ص ٢٠٥ ، رقم ١ - ٢ ص ٢٠٦ ، رقم ١ ص ٢٠٧

حقائقه ، فان رأس الاسلام شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فلا بد من اخلاص الدين لله حتى لا يكون فى القلب تأله لغير الله ، فمتى كان فى القلب تأله لغير الله فذاك شرك يقدر فى تحقيق شهادة أن لا اله الا الله ، ولا بد من الشهادة بأن محمدا رسول الله وذلك يتضمن تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر به ، ومن ذلك الايمان بأنه خاتم النبيين وأنه لا نبي بعده فمتى جعل لغيره نصيبا من خصائص الرسالة والنبوة كان فى ذلك نصيب من الايمان بنبي بعده ورسوله بعده . . . . . فمن أوجب طاعة أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ما يأمر به وأوجب تصديقه فى كل ما يخبر به وأثبت عصمته أو حفظه فى كل ما يأمر به ويخبر من الدين - فقد جعل فيه من المكافاة لرسول الله والمضاهاة له فى خصائص الرسالة بحسب ذلك ، سواء جعل ذلك المضاهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة أو بعض القرابة أو بعض الأئمة والمشايخ أو الأمراء من الملوك وغيرهم » (١) .

اللهم ان هذه هى حقيقة التوحيد الذى جاء به كتابك ، وبعث به رسلك صلوات الله عليه . . . . . وان هذا هو ما يتفق مع النقل ويرضى به العقل . . . . . ويتقبله المعاصرون كما فهمه وارتضاه سلف هذه الأمة الصالحون « رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ، ألا ان حزب الله هم المفلحون » (المجادلة / ٢٢) .

ولا يرفض التوحيد الحق كما اعتقده السلف الا ما يرفضه العقل السوى . . . . . » . . . . . جعلوا الميت بمنزلة الاله والشيخ الحى المتعلق به كالنبي ، فمن الميت يطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات ، وأما الحى فالحلال ما حله والحرام ما حرمه . . . . . يطلب من الشيخ الميت اما دفع ظلم ملك يريد أن يظلمه أو غير ذلك فيدخل السادن فيقول قد قلت للشيخ والشيخ يقول للنبي والنبي يقول لله والله قد بعث رسولا الى السلطان فلان - فهل هذا الا محض دين المشركين والنصارى ، وفيه من الكذب والجهل ما لا يستحيزه كل مشرك ونصرانى ولا يروج عليه ، ويأكلون من النذور ما يؤتى به الى قبورهم . . . . . وطائفة من هؤلاء يصلون الى الميت ، ويدعو أحدهم الميت فيقول أغفر لى وارحمنى - ونحو ذلك ، ويسجد لقبره ، ومنهم من يستقبل القبر ويصلى اليه مستديرا الكعبة ويقول : القبر قبلة الخاصة والكعبة قبلة العامة ، وهذا يقوله

(١) المصدر السابق ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ - ٢٧٣

عن هو أكثر الناس عبادة وزهدا وهو شيخ متبوع - يقوله في شيخه ٠ وآخر  
 من أعيان الشيوخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد  
 يأمر المريد أول ما يتوب أن يذهب الى قبر الشيخ فيعكف عليه عكوف أهل  
 التماثيل ! وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة  
 والخشوع والدعاء وحضور القلب ما لا يجد أحدهم في مساجد الله تعالى التي  
 إذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه ٠٠٠٠ حتى أن طائفة من أصحاب الكبائر الذين  
 لا يتحاشون فيما يفعلونه من القبائح كان اذا رأى قبة الميت أو الهلال على  
 رأس القبة خشى من فعل الفواحش ، فيخشون المدفون تحت الهلال ولا يخشون  
 الذى خلق السموات والأرض وجعل أهلة السماء مواقيت للناس والحج ٠٠٠  
 وهؤلاء اذا نوظروا خوفوا مناظرهم كما صنع المشركون بابراهيم عليه  
 السلام قال تعالى ( وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف  
 ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما أفلا تتذكرون ٠  
 وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم  
 سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون ٠ الذين آمنوا ولم يلبسوا  
 ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ) ٠٠٠٠ وهؤلاء الذين اتخذوا القبور  
 أوثانا تجدهم يستهزئون بما هو من توحيد الله تعالى وعبادته ويعظمون  
 ما اتخذوه من دون الله شفعاء ، حتى أن طوائف منهم يستخفون بحج البيت  
 وبمن يحج البيت ويرون أن زيارة أئمتهم وشيوخهم أفضل من حج البيت ،  
 وهذا موجود فى الشيعة والمنتسبين الى السنة ، وآخرون يستخفون بالمساجد  
 وبالصلوات الخمس فيها ويرون أن دعاء شيخهم أفضل من هذا ٠٠٠ ويحلف  
 أحدهم اليمين الغموس كاذبا ولا يجترئ أن يحلف بشيخه اليمين الغموس  
 كاذبا ، ومنهم من يقول كل رزق لا يرزقه اياه شيخه لا يريد ، ومنهم من يذبح  
 الشاة ويقول باسم سيدى ، ومنهم من يقول ان شيخه أفضل من الأنبياء  
 والمرسلين ، ومنهم من يعتقد فيه الالهية كما يعتقد النصارى فى المسيح  
 ٠٠٠ وهؤلاء يجعلون الرسل والمشايخ يدبرون العالم بالخلق والرزق وقضاء  
 الحاجات وكشف الكربات ، وهذا ليس من دين المسلمين ، بل النصارى تقول  
 هذا فى المسيح وحده ولم يقولوا ذلك فى ابراهيم وموسى وغيرهما من الرسل  
 مع أنهم فى غاية الجهل فى ذلك ٠ « ومن هؤلاء من يظن أن القبر اذا كان فى  
 مدينة أو قرية فانهم يبركته يرزقون وينصرون ، وأنه يندفع عنهم الأعداء والبلاء  
 بسببه ، ويقولون عن يعظموه : انه خير البلد !! ٠٠٠٠ حتى أن العدو

الخارج عن شريعة الاسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التى يرجون عندها كشف ضرهم ..... » !! (١) ترى كيف انحط المسلمون فى اعتقادهم الى هذا الدرك الأسفل ؟؟

يقول أبو الحسن الندوى فى تعلييل ذلك وتحليل العوامل التى أدت الى تلك الحال « كانت الجماهير المسلمة فريسة العقائد الباطلة وأعمال الشرك بضغط عوامل عديدة : منها اختلاطهم بغير المسلمين ، وتأثير العجم ، وتهاون العلماء . وقد أصبح الدين الخالص والتوحيد النقى وراء حجاب وحجاب ، ونشأ الغلو والافراط فى الاعتقاد فى الأولياء والصالحين شأن اليهود والنصارى حتى بدأت عقيدة التوسط والتقرب بالأولياء ترسخ وينطبق عليهم ما حكاه القرآن من قول مشركى العرب الأولين ( ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ) . وننشر هذه الفكرة الجاهلية فى أوساط المسلمين وأصبح كثير من العلماء لا يرون بأسا فى الاستغاثة بغير الله والاستعانة بغير الله ، واتخذت قبور الأنبياء والصالحين مساجد وتحقق الخطر الذى كان قد أُنذِر به النبى صلى الله عليه وسلم وشدد النهى عنه ، ولم يكن المسلمون يشعرون بأى غضاضة فى التخلق بأخلاق الذميين والكافرين واتخاذ شعائرتهم وخصائصهم والحضور فى أعيادهم الدينية ومهرجاناتهم واصطناع تقاليدهم وعاداتهم . فكانت الحاجة ماسة الى عالم مجاهد يتصدى لمحاربة هذه الجاهلية المشركة والدعوة الى التوحيد الخالص بكل قوة وايضاح . . . . . ويكون قد حصل على حقيقة التوحيد مباشرة من الكتاب والسنة وحياة الصحابة الكرام لا من كتب المتأخرين وتعامل المسلمين الجهلاء وتقاليد الزمان وعادات الناس ، ولا يبالى فى الجهر بالعقيدة الصحيحة بمعارضة الحاكمين وعدوان الناس ومخالفة العلماء ولا يخاف فى ذلك لومة لائم . . . » . كما يقول أبو الحسن كانت النتيجة الحتمية لهذا الاجلال والتعظيم تزايد أهمية المشاهد بازاء المساجد ، وتتحول المشاهد الى مزارات للجهلة ومراكز لقضاء الحاجات والاستغاثة بها . فقد انتشرت هذه المشاهد والمزارات لقد كانت العقيدة الصحيحة تستند الى القرآن والسنة ، وتؤديها الروايات الصادقة عن فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان ، وقد تعاقب على بيانها وايضاها ودحض الضلالات والأباطيل علماء

---

(١) نقول عن ابن تيمية فى رده على البكرى ورده على الأخنائى .....  
وردها أبو الحسن الندوى فى كتابه : الحافظ أحمد بن تيمية ( وهو الجزء الثانى من كتابه : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ) - دار القلم بالكويت  
١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ص ١٧٢ - ١٧٦ .

فى كل ركن من أركان العالم الاسلامى ، ووجدت آلاف مؤلفة من القبور المزورة ، وتصدى الأمراء والسلاطين لوقف الممتلكات والأراضى الواسعة عليها ، وأقيمت عمارات ضخمة وقباب فخمة فى أمكنة هذه القبور ومشاهد المشايخ ، كما وجدت أمة بأسرها من العاكفين والكناسين والخدم لهذه القبور، ونالت الرحلة اليها كل اهتمام حتى وصلت قوافل الحجاج اليها من مسافات بعيدة تفوق قوافل حجاج بيت الله أحيانا فى الشوكة والزينة ، وتحول اقبال عامة المسلمين من المساجد الى هذه المشاهد ٠٠٠ ومن الأسباب التى أدت دورا هاما فى توسيع هذه الفتن وتأصلها أن الدولة الباطنية حكمت قرونا طويلة فى رقعة تمتد من المغرب الأقصى الى مصر والشام ، وما يعرفه الجميع أن أهل الرفض والتشيع كانوا يتصلون بالمشاهد أكثر منهم بالمساجد وبالنجف وكربلاء والمشهد أكثر منهم بالحرمين الشريفين ٠٠٠ كما أن التصوف الدخيل الذى ابتعد عن تعاليم الاسلام فى العصر الأخير سبب ازدهار المشاهد والضرائح «(١)

### الدعوة السلفية

على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب

لكن اقتلاع ضلالات النسك الأعجمى والعقائد الباطنية والانحرافات الفكرية والخلقية لم يكن يغنى فيه تأليف الكتب والرسائل ، والنقاش العلمى بالدليل لمن يقرأون ويستطيعون أن يفهموا مثل هذا النقاش والاحتجاج ٠٠٠ كان يحتاج الى (دعوة) عامة و (حركة) شعبية تهز المجتمع هزا شديدا من الأعماق ، لا الى مجرد خطاب لأهل العلم ٠٠٠ كان يحتاج الى حركة تستوعب القاعدة العريضة اعنة الناس ، وتبلغ قمة الحكم للاستعانة بالسلطان على التصحيح وعلى مجابهة أعداء العقيدة السوية وأولياء الضلال بين العامة والخاصة علماء وأمراء على السواء ، فلا ينبغى أن يترك الحكم قوة سلبية ازاء المنكرات ، بل ربما ظهرت أشياخ الطرق وسدنة القبور ، وعادت دعاة التوحيد الصحيح !!

(١) أبو الحسن الندوى : الحافظ أحمد بن تيمية ص ١٣-١٤ ، ١٧١-١٧٢

و ١٧٦ - ١٧٧ .

هذه الأمة قرنا بعد قرن ، وقد تقدم أن من أعلام العلماء الذين اعتبرت كتابتهم مرجعا لفهم عقيدة السلف الطحاوى الذى عاش فى القرنين الثالث والرابع الهجرى ، وشارح الطحاوية ابن أبى العز الذى عاش فى القرن الثامن ٠٠٠ ثم كان البلاء المبين لشيخ الاسلام ابن تيمية فى القرن الثامن ( ت ٧٢٨ هـ ) ، وقد قطعت كتاباته البينة وحججه الدافعة السنة المبطلين ، وفتح الله عليه البيان الفياض ما ملأ المجلدات ، ولم يترك رحمه الله فرصة الا انتهزها لبيان الحق وكشف الزيغ وتبديد الشبهة وافحام أهل الضلالة والأهواء !

ومع هذا الجهاد المحمود بالقلم والحجة والبيان ، فقد كان وضع المسلمين المتردى وعقائدهم الضلالة وما يخيم على عقولهم من أوهام وأباطيل فى حاجة الى ( حركة ) قوية واسعة شاملة ، تعم جماهير المسلمين وتجابه خاصتهم من العلماء والحكام بمسئوليتهم ازاء الضلالات المتراكمة خلال القرون ، وتلزم السلطان بأن يزيع الناس بسلطانه عن الشرك الجلى والخفى ويعزز القرآن والمعظة والمجادلة بالقلم واللسان فى مجال الدعوة الى سبيل الله واحقاق الحق وابطال الباطل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٠٠٠

### دعوة ٠٠٠ وحركة :

وقيض الله للانتصار لعقيدة التوحيد الصحيحة (دعوة) و (حركة) تهز عامة الناس وعلماءهم وحكامهم جميعا على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ( ١١١٥ - ١٢٠٦ هـ / ١٧٠٢ - ١٧٩١ م ) ٠٠٠ وكانت هذه ( الحركية ) الواسعة العميقة الفعالة هى خصيصة الرجل وميزته بين الدعاة الى عقيدة السلف من علماء الحق ومعلمى الخير الذين طالما نادوا باصلاح العقائد والأقوال والأعمال « كم من المصلحين دعوا مثل هذه الدعوة ٠٠٠ فما السبب فى نجاح الدعوة الوهابية دون الأخرى ؟ السبب فى هذا ما أحاط بالدعوة الوهابية من ظروف لم تنهيا لغيرها . فقد اضطهد فى بلده ( العينية ) واضطر أن يخرج منها الى ( الدرعية مقر آل سعود ، وهناك عرض دعوته على أميرها محمد بن سعود (١) فقبلها ، وتعاهدا على الدفاع عن الدين الصحيح ومحاربة البدع ونشر الدعوة فى شبيه جزيرة العرب باللسان عند من يقبلها وبالسيف عند من لم يقبلها ،

(١) توفى سنة ١١٧٩ هـ / ١٧٦٥ م .



وإذ ناك دخلت الدعوة فى دور خطير : وهو اجتماع السيف واللسان ، وزاد الأمر خطورة نجاح الدعوة شيئاً فشيئاً ودخول الناس أفواجا فيها واخضاع بعض الأمراء بالقوة لحكمها ، وكلما دخلوا بلدة أزالوا البدع وأقاموا تعاليمهم (!) حتى هددت الحركة كل جزيرة العرب ، ولما مات الأمير ومات الشيخ تعاقد أبناء الأمير أبناء الشيخ على أن يسيروا سيرة أبويهم فى نصره الدعوة متكاتفين ، وظلوا يعملون حتى غلبوا على مكة والمدينة وشعرت الدولة العثمانية بالخطر يهددها بخروج الحجاز من يدها وهو موطن الحرمين الشريفين ٠٠٠ فأرسل السلطان محمود (١) الى محمد على فى مصر (٢) أن يسير جيوشه لمقاتلة الوهابيين ، كما أرسلت الجيوش لقاتلتهم أرسلت الدعاية من جميع الأقطار الاسلامية للنيل من هذه الدعوة وحمل ( العلماء ) عليها حملات منكرة ٠٠٠ وهكذا حدثت الحرب بالسيف والحرب بالكلام ، كل هذا خدم الدعوة الوهابية بلغت الأنظار اليها ودورانها على كل لسان ، وزاد فى شأنها أن الوهابيين انتصروا على حملة محمد على الأولى بقيادة ( ابنه ) طوسون ، ثم أعد محمد على العدة القوية الكبيرة وسار بنفسه وحاربهم بخير سلاحه فانتصر عليهم وأتم النصر ابنه ابراهيم ٠٠٠ ولكن بقيت الدعوة « (٣)

هذا ما قرره باحث مسلم ، يبدو تجاوبه مع دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وحركته هو أحمد أمين ( ت ١٢٧٢ هـ / ١٩٥٤ م ) .

ومن قبله قال شكيب أرسلان ( ت ١٢٦٦ هـ / ١٩٤٦ م ) عن الشيخ ودعوته : « ٠٠٠ فصحت عزمته على القيام بدعوة الاصلاح ، فقضى سنين عديدة واحلا من بلاد الى بلاد فى شبه الجزيرة ، فبشر بالدعوة موقظا النفوس ، حتى استطاع بعد جهاد طويل أن يجعل محمد بن سعود أكبر أمراء نجد يقبل الدعوة ويدخل فيها فاكتسب بذلك مكانه ومنزله وقوة حربية لا يستهان بها ، فاستفاد من ذلك استفادة جليلة ٠٠ فتكونت على التوالى وحدة دينية سياسية فى جميع الصحراء العربية شبيهة بتلك الوحدة التى انشأها صاحب الرسالة ، وفى الواقع فان النهج الذى نهجه ابن عبد الوهاب ( وحليفة الامام محمد بن سعود )

(٢) هو السلطان محمود الثانى من سلاطين آل عثمان وقد حكم بين سنتى ١٢٢٢ - ١٢٥٥ هـ / ١٨٠٨ - ١٨٢٩ م .

(٢) حكم مصر بين العامين ١٢٢٠ - ١٢٦٥ هـ / ١٨٠٥ - ١٨٤٩ م .

(٣) أحمد أمين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث - القاهرة سنة

١٩٦٥ م ص ١٨ - ١٩ .

ليشبهه شسبها كبيرا ذاك الذى نهجه الخلفاء الراشدون كابى بكر وعمر ٠٠٠ واقتضى الوهابيون آثار خلافة الراشدين ، وعلى ما كان فى يد ابن سعود من القوى الحربية العظيمة ، فان ذلك ما كان ليصرفه عن أن يكون على الدوام نازلا على رأى الجماعة وشوراها ٠٠٠ وكانت حكومتها مكنية عادلة فانقطع التعدى وانتشر الأمن ٠٠٠ وعكف على العلم والتهديب فكان فى كل واحة مدرسة وفى كل قبيلة بدوية عدد من المعلمين « ٠ ثم يذكر إرسال ما كان من دخول الدعوة السلفية ودولتها مكة والمدينة ثم يقول ٠٠٠ « كان يخيل الى العالم أن الوهابيين متدفقون على الشرق تدفقا وصانعون ما شاءه الله من الإصلاح ٠٠٠ » (١) .

أما الكاتب السعودى المعاصر عبد الرحمن بن سليمان الروشيد (٢) فيقول : « ليس الامام الشيخ فيلسوفا قابعا فى غرفة مكتبه ، أو صوفيا منزويا فى خلوته ، أو كاتباً نظريا يعتمر شوارذ أفكاره ويستوحى سوانح أخيلته المنطلقة ليمتع نفسه بتحقيق رغائبه المادية أو أشواقه الروحية ، وإنما كان رائد منتهج وخطه عمل مترجمة الى عقد جلسات وندوات للحديث والمناقشة حول المعتقد وأحوال المجتمع ، يصحب ذلك أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ودعوة دائبة الى الله بالحسنى تتمثل فى بعث رسائل وقورة مهذبة الى العلماء والزعماء والرؤساء ٠٠٠ » . والكاتب ينقل عن المؤرخ النصرانى المعاصر - اللبناى الأصل الأمريكى الجنسية - فيليب حتى قوله : « ان تاريخ الجزيرة العربية الحديث يبتدىء منذ منتصف القرن الثانى عشر الهجرى حين ظهور (حركة الموحدين) فى الجزيرة العربية وحين شاركت قوة الدين سلطة الحكم » .

ويذكر المؤرخ اليهودى البريطانى المعاصر برنارد لويس أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للأمير محمد بن سعود واقتناعه بها وتحالف الرجلين على العمل بهذه الدعوة قد أعطاها « محورا سياسيا حرييا » وهكذا استطاعت أن تغلب على معظم أرجاء شسبه الجزيرة - ويسمى المؤلف الذى لا يتجاوز مع تلك الدعوة قط انتصارها فتحا كما يسمى انصارها طائفة أو فرقة دينية Sect ، كما استطاعت كذلك كما يقول لويس أن تنتزع مكة والمدينة

(١) حاضر العالم الاسلامى : تأليف لوثرروب ستودارد وترجمة عجاج نويهض وتعليق شكيب أرسلان - دار الفكر فى بيروت - ط ٤ - ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٣ م - ج ١ ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٢) عبد الرحمن بن سليمان الروشيد : الوهابية حركة الفكر والدولة الاسلامية - القاهرة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

من حكم الاشراف الذين كانوا يعترفون بالسلطة العثمانية ، بل وصلت الى حد تهديد الولايات العثمانية فى الشام والعراق (١) .

### \* \* \*

وهكذا نميز الشيخ ابن عبد الوهاب بحركته الدائقة الدافعة . . . .  
تنقل مستمر بين أنحاء شبه الجزيرة ( أو شبه القارة ) العربية ، واتصال دائم يعامتها وخاصتها ، وإبلاغ للدعوة بالحديث والكتابة ، ثم مظالمة لكل من يتبع الدعوة السلفية أن يدعو غيره ، وتأكيده لمسئولية الأمراء والعلماء حتى اذا ما اجتمع معه على العروة الوثقى الأمير محمد بن سعود قامت تلك ( الدولة ) المحدودة القوة سياسيا وعسكريا الغنية بالايمان المنطلقة فى الحركة وأخذت على عاتقها الفتى الجهاد فى سبيل الله لأجل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . . . . استمع الى الشيخ فى باب من كتابه « مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد » يسميه « باب وجوب عداوة أعداء الله من الكفار المرتدين والمنافقين » ، فهو لا يكتفى رحمه الله بالموقف السلبي للرفض العقلى بل ينفث فى النفس العاطفة الايجابية التى تدفع الى العمل الايجابى . وهو يصدر بابه بما يصوغ هذا الموقف الايجابى فى روح المسلم من كتاب الله ، فيورد قوله تعالى : « وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، انكم اذن مثلهم » ( النساء / ١٤٠ ) ، وقوله تعالى « ومن يتولهم منكم فانه منهم » ( المائدة / ٥١ ) ، وقوله تعالى « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى عدوكم أولياء » الى قوله تعالى « كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده » ، ( الممتحنة / ٤١ ) ، وقوله تعالى « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم » ( المجادلة / ٢٢ ) .  
ثم ينقل عن الحافظ محمد بن وضاح ما كتب به أسد بن موسى الى أسد بن الفرات (٢) « اعلم يا أخى أن ما حملنى على الكتاب اليك ما ذكر أهل بلدك من صالح ما أعطاك الله من انصافك الناس ، وحسن حالك مما أظهرت من

(١) Bernard Lewis : The Arabs in History, Harper Torchbooks, New York 1967, P. 161.

● وانظر شكيب أرسلان فى « حاضر العالم الاسلامى » ج ١ ص ٢٦٢ =

= (٢) الحافظ محمد بن وضاح بن بزيغ القرطبي أبو عبد الله ( ت ٢٨٦هـ / ٨٩٨ م ) محدث فقيه رحل الى المشرق وأخذ عن يحيى بن معين وغيره وعاد للأندلس فحدث بها مدة طويلة ، ومن تصانيفه ( البدع والنهى عنها ) ، وعلق =

السنة وعيبك لأهل البدع وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم فقمعهم الله بك وشده بك ظهر أهل السنة وقواك عليهم ( أى أهل البدع ) باظهار عيبيهم فاذلهم الله بيدك وصاروا ببدعهم مستقرين ، فأبشر يا أخى بثواب الله واعتد به من أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد وأين تقع هذه الأعمال من اقامة كتاب الله تعالى واحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحيا شيئاً من سنتى كنت وهو فى الجنة كهاتين وضم بين أصبعيه ٥٠ » . فالشيخ ابن عبد الوهاب يريد ألا يقنع المؤمن برفض البدع فرديا وسلبيا ، بل لابد أن يكون له موقف ايجابى اجتماعى فى (قمع) أهل البدع ومؤازرة أهل السنة بحيث يظهر أهل الحق ويستتر أهل الباطل - مثلما فعل أسد بن الفرات الذى أبرز الحافظ بن وضاح خبره وأورده الشيخ ابن عبد الوهاب ليكون قدوة للناس ويوضح لهم ما يطلب منهم من موقف عملى ايجابى لا ينحصر قط فى الرفض العقلى ، وهذا ما تبينه الرسالة الى أسد بن الفرات أجلى بيان حيث يقول كاتبها : « فاعتنم ذلك وادع الى السنة حتى يكون لك فى ذلك ألفة وجماعة يقومون مقامك ان حدث بك حدث فيكونون أئمة بعدك فيكون لك ثواب ذلك يوم القيامة - كما جاء فى الأثر . فاعمل على بصيرة ونية وحسبة فيرد الله بك المبتدع المقتون الزائع الحائر فتكون خلفا من نبيك صلى الله عليه وسلم فانك لن تلقى الله بعمل يشبهه ، واياك أن يكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو صاحب فانه جاء فى الأثر : من جالس صاحب بدعة نزعته منه العصمة ووكل الى نفسه ومن مشى الى صاحب بدعة مشى فى هدم الاسلام . . . . . وقد وقعت اللعنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل البدع وأن الله لا يقبل منهم صرفا ولا عدلا ولا فريضة ولا تطوعا وكلما ازدادوا اجتهادا

---

علامة تونس حسن حسنى عبد الوهاب رحمه الله على مخطوطة من تأليف محمد بن وضاح وهى ( النظر الى الله تعالى ) وأنه روى قراءة ورش عن عبد الصمد بن القاسم فغدت مقبولة بالأندلس ، وأنه بابن وضاح وبقي بن مخلد صارت الأندلس دار حديث وهو غير على بن محمد بن وضاح الشهراباى أبو الحسن كمال الدين نزيل بغداد ( ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م ) ومن تصانيف الأخير ( الدليل الواضح فى اقتفاء نهج السلف الصالح ) والرد على أهل الالحاد ) ، وأسد بن الفرات قاضى القيروان ، المجاهد فاتح صقلية (ت ٢١٣هـ / ٨٢٨ م ) صاحب الأسدية ( المروية عن الامام مالك بن أنس وفيه من اختياره وتعديله ما أثر معه المالكية (المدونة) برواية سحنون «عبد السلام» (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م ) وأسد بن موسى بن ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموى من حفاظ الحديث ويلقب بأسد السنة أقام بمصر ( ت ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ) .

وصوما وصلاة ازدادوا من الله بعدا • فافرض مجالسهم وأذلهم وأبعدهم كما  
أبعدهم الله وأذلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة الهدى من بعده •

فالشيخ يرغب اذن فيما يرغب فيه الكاتب الى أسد بن الفرات وهو أسد  
السنة أسد بن موسى من أن يكون للداعية الى السنة « ألفة وجماعة يقومون  
مقامه ان حدث به حدث فيكونون أئمة بعده » ، فهو يهدف أن تقوم بدعوته  
« حركة جماعية » ولا تكون مجرد بيان علمى نظرى ••• وهذا ما ميز الشيخ  
ابن عبد الوهاب فى دعوته السلفية ، ولهذا كتب الله له من التوفيق وامتداد  
الأثر ما لم يمكن لغيره وينقل الشيخ عن بن المبارك (١) ما رواه عن ابن مسعود  
« ان لله عند كل بدعة كيد بها الاسلام وليا من أوليائه يذب عنه وينطق بعلامتها  
فاغتنموا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله » •

وهكذا يلح الشيخ على وجوب اتخاذ المؤمن موقفا ايجابيا من «الذنب» عن الحق  
وفضح « علامة » الباطل علانية « والنطق » بذلك على الملائ فى المواطن التى  
يجب فيها ذلك ، متوكلا على الله وحده فيما يتوقع أن يلقاه فى تلك المواطن •  
كذلك روى ابن المبارك عن بعض السلف قال : «لأن أرد رجلا عن رأى سىء أحب  
الى من اعتكاف شهر » • وروى الأوزاعى عن بعض أهل العلم قولهم  
« لا يقبل الله من ذى بدعة صلاة ولا صدقة ولا صياما ولا جهادا ولا حجا  
ولا صرفا ولا عدلا ، وكانت أسلافكم تشدد عليهم السننهم وتشمئز منهم قلوبهم  
ويحذرون الناس بدعتهم ، ولو كانوا مستترين ببدعتهم دون الناس ما كان  
لأحد أن يهتك عنهم سترا ولا يظهر منهم عورة الله أولى بالأخذ بها أو بالتوبه  
عليها ، فأما اذا جاهروا بها فنشر العلم حياة والبلاغ عن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم رحمة يعتصم بها على مصر ملحد » • ثم ينقل الشيخ عن  
ابن وضاح باسناده عن أبى أمية قال : أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت يا أبا ثعلبة  
كيف تصنع فى هذه الآية « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل  
اذا اهتديتم ( المائدة / ١٠٥ ) قال : أما والله لقد سألت عنها خيرا ،

---

(١) عبد الله بن مبارك - أبو عبد الرحمن راوية زاهد « صنّف كثيرا  
كثيرة حملها عنه قوم وكتبها الناس عنهم وقال الشعر فى الزهد والحث على  
الجهاد ، وقدم العراق والحجاز والشام ومصر واليمن وسمع علما كثيرا ،  
وكان ثقة مأمونا أماما حجة كثير الحديث ومات بهيت منصرفا من الغزو سنة  
١٨١ هـ وله ثلاث وستون سنة ( طبقات بن سعد ) ( دار صادر بيروت ) -  
م ٧ ص ٢٧٢ •

سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعسا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام ، فان من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله ، قيل يا رسول الله أجر خمسين منهم قال أجر خمسين منكم » وروى بإسناده عن عبد الله بن عمرو أن النبی صلى الله عليه وسلم قال « طوبى للغرباء - ثلاثا ، قالوا يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال : ناس صالحون قليل فى اناس سوء كثير من ييغضهم أكثر مما يحبهم » وعن محمد بن سعيد بإسناده عن المعافى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « طوبى للغرباء الذين يتمسكون بكتاب الله حين ينكر ويعلمون بالسنة حين تطفأ » . فلا عجب أن قال ابن القيم (ت ٧٥١هـ) رحمه الله (الاسلام فى زماننا أغرب منه أول ظهوره) . ثم يختم الشيخ محمد بن عبد الوهاب الباب الذى عقده « فى وجوب عداوة أعداء الله » بنقل رسالة للشيخ تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيمية « كتبها وهو فى السجن الى بعض أخوانه لما أرسلوا اليه يشيرون عليه بالرفق بخصومه ليتخلص من السجن » وكان مما جاء فيها « أما بعد فقد وصلت الورقة التى فيها رسالة الشيخين الناسكين القدوتين أيدهما الله وسائر الاخوان بروح منه وكتب فى قلوبهم الايمان وأدخلهم مدخل صدق وأخرجهم مخرج صدق وجعل لهم من لدنه ما ينصر به من السلطان : سلطان العالم والحجة بالبيان والبرهان وسلطان القدرة والنصرة باللسان والأعوان ، وجعلهم من أوليائه المتقين وحزبه الغالبين لمن نواهم من الأقران ، ومن الأئمة المتقين الذين جمعوا بين الصبر والايقان ، والله محقق ذلك ومنجز وعده فى السر والاعلان ، ومنتمق من حزب الشيطان لعباد الرحمن - لكن بما اقتضت حكمته ومضت به سنته من الابتلاء والامتحان الذى يميز الله به أهل الصدق والايمان من أهل النفاق والبهتان ، اذ قد دل كتابه على أنه لا يبد من الفتنة لكل من ادعى الايمان والعقوبة لذوى السيئات والطغيان فقال تعالى : ( ألم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . أم حسب الذين يعلمون السيئات أن يسبقونا ، ساء ما يحكمون ) ، فأنكر سبحانه على أن أهل السيئات يفوتون الطالب الغالب وأن مدعى الايمان يتركون بلا فتنة تميز بين الصادق والكاذب وأخبر فى كتابه أن الصدق فى الايمان لا يكون الا فى الجهاد فى سبيله فقال تعالى (قاتل الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ، وان تطيعوا الل

ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً ان الله غفور رحيم . انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ) . وأخبر سبحانه وتعالى بخسران المنقلب على وجهه عند الفتنة التى يعبد الله فيها على حرف ٠٠٠ فقال تعالى : ( من الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هم الخسران المبين ) وقال تعالى ( أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ) ٠٠٠٠ وأخبر سبحانه أنه عند وجود المرتدين فلا بد من وجود المحبين المحبوسين المجاهدين فقال تعالى ( يأيتها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله لا يخافون لومة لائم ) وهؤلاء هم الشاكرون نعمة الايمان الصابرون على الامتحان ٠٠٠ فاذا ائتم الله على الانسان بالصبر والشكر كان جميع ما يقضى له من القضاء خيراً كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ( لا يقضى الله للمؤمن من قضاء الا كان خيراً له ان أصابته سراء فشكر كان خيراً له وان أصابته ضراء فصبر كان خيراً له ) والصبار الشكور هو المؤمن الذى ذكر الله فى غير موضع من كتابه ، ومن لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشر حال ، كل واحد من السراء والضراء فى حقه يقضى به الى قبيل المال ، فكيف اذا كان ذلك فى الأمور العظيمة التى هى من محن الأنبياء والصدّيقين ، وفيها تثبتت أصول الدين وحفظ الايمان والقرآن من كيد أهل النفاق والإلحاد والبهتان . فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله ، والله المسئول أن يثبتكم وسائر المؤمنين بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويتم نعمه عليكم الظاهرة والباطنة وينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين على الكافرين الذين أمرنا بجهادهم والاعطال عليهم فى كتابه المبين « (١) » .

(١) « باب فى وجوب عداوة أعداء الله من الكفار والمرتدين والمنافقين » من كتاب « مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد » للشيخ محمد بن عبد الوهاب - تحقيق اسماعيل بن محمد الانصارى ورد فى القسم الأول ( العقيدة والآداب الاسلامية ) من مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب - نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ص ٣١٢ - ٣٢٩ .

والنقول التي ينقلها الشيخ محمد بن عبد الوهاب تدل على علم وقطنة ،  
وهي قوية في دلالتها وحجتها على ما يريد ذكره وبيانه ٠٠٠ فهو يقع على  
ما ينطق بفكره ، ويبدو وكأن حججه وبراهينه بين أطرافاً نامله يديرها ويستثمرها  
كيف يشاء ٠٠٠٠ وعمدته وذخيرته الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح ،  
استوعبتها ذاكرته وبلغت أعماق قلبه ، فهو يقتبس منها ما يلائم المقام ويقع على  
القضية المعروضة وقوع الحافر على الحافر ٠٠٠ وأحياناً تأتي رسالته كلها  
مقصورة على سرد آيات القرآن وأحاديث الرسول صلوات الله عليه مع إيضاح  
أو تعليق كلماته معدودة محكمة !! (١) .

**والشيخ في نقوله كلها يختار ما يعين على صياغة ( الموقف الإيجابي )**  
الذي يريده لكل من يؤمن بالدعوة السلفية ٠٠ فليس في قضية الايمان والفكر  
مجال لمواربة أو مداهنة أو سلبية ٠٠٠ والباطل يصير ويتجمع وينتفخ ويستعلو ،  
فهل يمكن أن يجابه ويغالب بالتردد والتفرق والاستخذاء ؟؟ ٠٠٠ أليس التوكل  
على الله والاعتزاز به والرجاء فيه والخوف منه وافراده سبحانه بذلك هي  
حقيقة الايمان والتوحيد ، وأليس الاجتماع على الحق والجهاد في سبيله من  
فرائض هذا الدين ؟؟ ٠٠٠ يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في « ثلاثة  
الأصول » : « اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل : الأولى :  
العلم - وهو معرفة الله وتبنيه ودين الاسلام بالأدلة ، الثانية : العمل به ،  
الثالثة : الدعوة اليه ، الرابعة : الصبر على الأذى فيه . والدليل قوله تعالى  
( بسم الله الرحمن الرحيم : والعصر ان الانسان لفي خسر . الا الذين آمنوا  
وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ) ، قال الشافعي رحمه  
الله تعالى : لو ما أنزل حجة على خلقه الا هذه السورة لكفتهم (٢) .

### متبع غير مبتدع :

وإذا كان محمد عبد الوهاب متميزاً في ( حركيته ) التي كانت ( نهجه )  
في العمل للدعوة السلفية ، فإنه في ( موضوع ) هذه الدعوة سلفي

(١) أنظر مثلاً في المصدر السابق أبواب « كتاب التوحيد الذي هو حق  
الله على العباد » وهو أول ما جاء في ذلك المجلد تحقيق عبد العزيز السعيد ،  
أحمد كحيل ، لبیب السعيد .

(٢) رسالة « ثلاث أصول » بتحقيق ناصر الطريم وسعود البشر  
وعبد الكريم اللاحم - وردت في القسم الأول من مؤلفات الشيخ محمد  
ابن عبد الوهاب ( العقيدة والآداب الاسلامية ) ص ١٨٣ - ١٩٦ .



متبع غير مبتدع ، لا يفتأ يلح على ما بينه متبعو السلف الصالح جيلا بعد جيل ، ويقضى أثر السابقين باحسان فى معالجة قضايا الصفات وتوحيد الالهية الربوبية وعبادة الله وحده وفق ما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم وانكار البدع وما الى ذلك ، وكتايباته من هذه الوجهة انما تؤكد ما سبق أن قرره الطحاوى وشارح ( الطحاوية ) من بعده ثم ابن تيمية وابن القيم وغيرهم رحمهم الله وأجزل مثوبتهم ٠٠٠ والشيخ ابن عبد الوهاب يؤكد هذا فى صراحة قاطعة دون أية مواربة ، لأن اعتقاد السلف مأخوذ عن السلف من صحابة وتابعين وتابعيهم باحسان رضى الله عنهم ، وأساس فهمهم جميعا الكتاب والسنة ، فالداعون الى عقيدة السلف هم دائما متبعون لا مبتدعون ، بل هم لا ينفكون عن الانكار على كل ابتداع فى هذا المجال ٠٠٠ يقول الشيخ محمد ابن عبد الوهاب فى رسالته الى السويدي عالم أهل العراق ( عبد الرحمن ابن عبد الله ) : « وأخبرك أنى ولله الحمد متبع وليست مبتدع ، عقيدتى ودينى الذى أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الذى عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم الى يوم القيامة ٠ لكنى بينت للناس اخلاص الدين لله ، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم وعن اشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذور والتوكل والسجود وغير ذلك مما هو حق الله الذى لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وهو الذى دعت اليه الرسل من أولهم الى آخرهم وهو الذى عليه أهل السنة والجماعة ٠٠٠ » (١) ويقول فى رسالته الى علماء مكة بشأن هدم الأبنية التى بنيت على قبور الصالحين : « ٠٠ فنحن ولله الحمد متبعون غير مبتدعين على مذهب الامام أحمد بن حنبل ٠٠ ومن البهتان الذى أشاعه الأعداء أنى أدعى الاجتهاد ولا أتبع الأئمة ٠٠٠ وتعلمون أعزكم الله أن فى كثير من البلدان العمل بهاتين المسألتين - هدم البناء على القبور والأمر بترك دعوة الصالحين - تكبر على العامة ٠٠٠ وهذه كتب الحنابلة عندكم بمكة شرفها الله مثل ( الاقناع ) ( وغاية المنتهى ) ( والانصاف ) اللاتى عليها اعتماد المتأخرين وهى عند الحنابلة ( كالتحفة ) و ( النهاية ) عند الشافعية ، وهم ذكروا فى باب الجنائز هدم البناء على القبور واستدلوا عليه بما فى صحيح مسلم عن على ( بن أبى طالب ) رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه بهدم القبور وأنه هدمها ، واستدلوا على وجوب اخلاص الدعوة لله والنهى عما اشتهر فى زمنهم من دعاء الأموات

---

(١) القسم الخامس من مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - تحقيق صالح الفوزان ومحمد بن صالح العليقى ص ٣٦ .

بأدلة كثيرة ، وبعضهم يحكى الاجماع على ذلك فان كانت المسألة اجماعاً فلا كلام ، وان كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم أنه لا انكار فى مسائل الاجتهاد فمن عمل بمذهبه فى محل ولايته لا يترك عليه « (١) » .

وكتابات الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى بيان العقيدة الصحيحة كما جاءت فى الكتاب والسنة وكما فهمها السلف الصالح رضوان الله عليهم من كتب ورسائل عامة وخاصة ، تؤكد ما قد بينته سلف الشيخ من هذه العقيدة مثل ما ذكره شرح الطحاوية أو أوضحته كتابات ابن تيمية وما الى ذلك . يقول مثلاً فى « القواعد الأربع » : « اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة ابراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين كما قال تعالى ( وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ) . فاذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فأعلم أن العبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد كما أن الصلاة لا تسمى صلاة الا مع الطهارة فاذا دخل الشرك فى العبادة فسدت كالحدث اذا دخل فى الطهارة . فاذا عرفت أن الشرك اذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين فى النار عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك ، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهى الشرك بالله الذى قال الله تعالى فيه ( ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ) وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله فى كتابه القاعدة الأولى : أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر وان ذلك لم يدخلهم فى الاسلام ، والدليل قوله تعالى ( قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ) . القاعدة الثانية : أنهم يقولون ما دعوناهم وتوجهنا اليهم الا لطلب القرية والشفاعة . . . . والشفاعة شفاعتان : شفاعة منفية وشفاعة مثبتة ، الشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله ، والشفاعة المثبتة هى التى تطلب من الله والشافع مكرم بالشفاعة والمشفوع له من رضى الله قوله وعمله بعد الاذن كما قال تعالى ( من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ) . والقاعدة الثالثة : أن النبى صلى الله عليه وسلم ظهر على أناس متفرقين فى عبادتهم : منهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين ومنهم من يعبد الشمس ، والقمر وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفرق بينهم . . . القاعدة الرابعة : أن مشركى زماننا أغلظ شركاً من الأولين ،

(١) المصدر السابق ص ٤٠ - ٤١ .

لأن الأولين يشركون فى الرخاء ويخلصون فى الشدة ومشركو زماننا شركهم دائماً فى الرخاء والشدة « (١) . والشيخ يستدل فى كل قاعدة بالكتاب والسنة كالعهد به دائماً . ونقوله دائماً تصيب المحز وتطبق المفصل ، فهو ينقل مثلاً عن قتادة بسند صحيح الى عبد الله بن عباس فى تفسير قوله تعالى « فلما آتاها صالحا جعل له شركاء فيما آتاها ٠٠٠ » ( الآية ١٩٠ من سورة الأعراف ) « شركاء فى طاعته ولم يكن فى عبادته » (٢) .

وقد أوضح الشيخ ذلك أيضاً فى « مسائل الجاهلية » ، ومما جاء فيه عن أهل الجاهلية « ٠٠٠ أن دينهم مبنى على أصول أعظمها التقليد فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم كما قال تعالى ( وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها : انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ) ٠٠٠ وأن من أكبر قواهدهم الاغترار بالأكثر ويحتجون به على صحة الشيء ويستدلون على بطلان الشيء بغريته وقله أهله ، فأتاهم بضد ذلك وأوضحه فى غير موضع من القرآن ٠٠٠ ( ومن مسائلهم ) الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه الا الضعفاء ٠٠٠ والافتداء بفسقة العلماء والعباد ٠٠٠ والغلو فى العلماء والصالحين ٠٠٠ والتعبد بتحريم الحلال كما تعبدوا بالشرك والتعبد باتخاذ الأحيار والزهبان ، والاحاد فى الصفات ، والاحاد فى الأسماء ، والتعطيل ، ونسبه النقائص اليه سبحانه ، والشرك فى الملك كقول المجوس ، وجود القدر ، والاحتجاج على الله به ، ومعارضة شرع الله بقدره ، وسببه الدهر ، والتعصب للمذهب ، وتعبدهم بترك الطيبات من الرزق ، وتعبدهم بترك زينة الله ٠٠٠ الخ » (٣) .

### رسائل الشيخ للعامة والخاصة :

على أن للشيخ محمد بن عبد الوهاب طابعه فى بيانه وأسلوبه ٠٠٠ اذ أن طبيعته ( الحركية ) تبدو فى كتاباته كلها ٠٠٠ تبدو فى ذلك العدد الوافر

(١) رسالة ( القواعد الأربع ) تحقيق عبد العزيز السعيد وأحمد كحيل وليبيب السعيد - وردت فى القسم الأول من مؤلفات الشيخ الامام محمد ابن عبد الوهاب نشر جامعة الامام محمد بن مسعود الاسلامية ص ١٩٩-٢٠٢ (٢) الباب ٤٩ من ( كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ) تحقيق عبد العزيز السعيد وأحمد كحيل وليبيب السعيد - وردت فى المصدر السابق نفسه ص ١٢٢ .

(٣) « مسائل الجاهلية » تحقيق اسماعيل بن محمد الأنصارى - وردت فى المصدر السابق ص ٣٢٣ - ٣٥٢ .

من رسائله العامة والخاصة التي توضح عقيدة السلف ٠٠٠ فالشيخ لا يهدأ ولا يفتر عن الكتابة والبيان والبلاغ ، ولا يكتفى بالكتب بل يكتب الرسائل المبينة لعامة الناس ، ويكتب الرسائل الخاصة الى أناس بذواتهم من المؤمنين بدعوته أو الى علماء الاسلام أو ذوى الرياسة والوجاهة أو غير المقتنعين بالدعوة يبين فيها عقيدة السلف ويرد على الشبهات والاعتراضات ٠٠٠ وبعض هذه الرسالة توضح العقيدة للعامة وتيسر عليهم معرفتها وتخاطبهم بما يفهمون « فاذا قيل لك ايش الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، فقل **توحيد الربوبية** : فعل الرب مثل الخلق والرزق والاحياء والاماته وانزال المطر وانبات النبات وتدبير الأمور ، و**توحيد الالهية** : فعليك أيها العبد مثل الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والانتابة والرغبة والرهبه والنذر والاستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادة » (١) .

### الجهاد :

ومن طبيعة الشيخ ( الحركية ) أن نجد رسائله تتحدث عن ( القتال ) فى سبيل الايمان الصحيح والحق ومجاهدة الباطل بالسيف وتبين الحجة فى ذلك . فهو يذكر مثلاً فى ( مسائل الجاهلية ) : « وقال تعالى ( والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ) وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى بالاخلاص وأخبر أنه دين الله الذى أرسل به جميع الرسل وأنه لا يقبل من الأعمال الا الخالص ٠٠ وهذه المسألة التى تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر وعندها وقعت العداوة ولأجلها شرع الجهاد كما قال تعالى ( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » (٢) . ويقول فى رسالته الى مطوع ثرمداء : « ٠٠٠ قولك : ان المشركين وانما قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن توحيد الألوهية ، ولم يدخل الرجل فى الاسلام بتوحيد الربوبية الا اذا انضم اليه توحيد الألوهية - فهذا كلام من أحسن الكلام وأبينه تفصيلاً » (٣) . كما يكتب أيضا الى أحد مطاوعه

(١) « رسالة تلقين أصول العقيدة للعامة » ضمن « مجموعة رسائل فى التوحيد والايمان » تحقيق اسماعيل بن محمد الأنصارى - وقد وردت فى المصدر السابق ص ٣٧٠ - ٣٧٢ .

(٢) « مسائل الجاهلية » فى المصدر السابق ص ٣٣٤

(٣) القسم الخامس من مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب ( الرسائل الشخصية ) نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ص ١٩ .

رمداء» ٠٠٠ اعلم أنى عرفت بأربع مسائل : بيان التوحيد ، بيان الشرك ولو كان فى كلام من ينتسب الى العلم ، تكفير من بان له أن التوحيد هو دين الله ورسوله ثم أبغضه ونفر الناس عنه وجاهد من صدق الرسول فيه ، والأمر بقتال هؤلاء خاصة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . فلما اشتهر عن هؤلاء الأربع صدقنى من يدعى أنه من العلماء فى جميع البلدان فى التوحيد وفى نفى الشرك وردوا على التكفير والقتال ٠٠٠ فنقول من المعلوم عند الخاص والعام ما عليه البوادى أو أكثرهم ٠٠٠ ( وهم ) متبعون ما أحدث أبائهم مما يسمونه الحق ويفضلونه على شريعة الله فان كان للوضوء ثمانية نواقض ففيهم من نواقض الاسلام أكثر من المائة ناقض ، فلما بينت ما صرحت به آيات التنزيل وعلمه الرسول أمته وأجمع عليه العلماء ( أن ) من ٠٠٠ سب الشرع أو سب الأذان اذا سمعه أو فضل فراضة الطاغوت على حكم الله أو سب من زعم أن المرأة ترث أو أن الانسان لا يؤخذ فى القتل بحرية أبيه وابنه - أنه كافر مرتد ، قال علماءكم معلوم أن هذا حال البوادى لاتنكره ولكن يقولون لا اله الا الله وهى تحميم من الكفر ولو فعلوا كل ذلك ٠٠٠ اذا كانوا أكثر من عشرين سنة يقرون ليلا ونهارا سرا وجهارا أن التوحيد الذى الذى أظهر هذا الرجل هو دين الله ورسوله لكن الناس لا يعيطوننا وأن الذى أنكره هو الشرك وهو صادق فى انكاره ولكن لو يسلم من التكفير والقتال كان على حق ، هذا كلامهم على رءوس الأشهاد مع هذا يعادون التوحيد ومن مال اليه العداوة التى تعرف ولو لم يكفر ويقاتل ، وينصرون الشرك نصره الذى تعرف مع اقرارهم بأنه شرك ٠٠٠ وأغروهم عن صدق النبى صلى الله عليه وسلم وأحلوا دماءنا وأموالنا حتى جرى على الناس ما تعرف مع أن كثيرا منهم لم يكفر ولم يقاتل . وقررتم أن من خالف الرسول فى معشار هذا ولو بكلمة أو عقيدة قلب أو فعل فهو كافر ، فكيف بمن جاهد بنفسه وماله وأهله ومن أطاعه فى عداوة التوحيد وتقرير الشرك مع اقراره بمعرفة ما جاء به الرسول ، فان لم تكفروا هؤلاء ومن اتبعهم ممن عرف أن التوحيد حق وأن هذه الشرك فأنتم كمن أفتى بانتقاض وضوء من بزغ منه مثل رأس الإبرة من البول وزعم أن من يتفوط ليلا ونهارا وأفتى للناس أن ذلك لا ينتقض ٠٠٠ « (١) وقد

(١) المصدر السابق ص ٢٤-٢٧ وأنظر أيضا ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

سبق ايراد ما ذكره الشيخ فى رسالته الى علماء مكة عن هدم البناء على القبور والأمر بترك دعوة الصالحين وكبر ذلك على العامة ، وبيانه الحجة على هدم ما بنى على القبر « وبعضهم يحكى الاجماع فان كانت المسألة اجماعاً فلا كلام ، وان كانت مسئلة اجتهاد فمعلومكم أنه لا انكار فى مسائل الاجتهاد فمن عمل بمذهبه فى محل ولايته لا ينكر عليه ٠٠٠ » (١) . والشيخ يفرق رحمه الله بين اقامة الحجة باعتبارها شرطاً لتكفير المعاند ومجاهدته وبين تسليم من بلغته الحجة بها « وقيام الحجة نوع وبلوغها نوع وقد قامت عليهم » (٢) .

والشيخ محمد بن عبد الوهاب جزاه الله خيراً موفق فى بلاغته عند بلاغه ، وهو يبين الشرك والكفر بياناً جلياً لا شبهة فيه ، ويختار له ما سماه القرآن به من أوصاف جامعة ، تتفر كل من شرح الله صدره لحقيقة الاسلام من أدنى شوائبه ومن طابعه فى بيان هذا الوضوح والايضاح ، وهذا التوفيق فى تسمية الأشياء بأسمائها ، فضلاً عن تدعيمه كل قول يقوله بأيات الكتاب المبين والأحاديث الصحيحة البينة الدلالة ٠٠٠ ومن ذلك اختيابه لفظ ( الطاغوت ) الجامع لعبادة غير الله عز وجل على اختلاف ضروبها وصورها ، والمنفر لكل انسان من الخضوع لأى طاغوت . يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى إحدى رسائله الشخصية : « ٠٠٠ واعلم أرشدك الله أن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب لمسئلة واحدة هى توحيد الله وحده والكفر بالطاغوت كما قال تعالى ( ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) ٠٠٠ » (٣) وهو ينقل من ابن القيم رحمه الله « الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو مطاع » وهو يعدد الطواغيت « والطواغيت كثيرة » ورءوسهم خمسة : ابليس لعنه الله ، ومن عبد وهو راض ، ومن دعا الناس الى عبادة النفس ، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب ، ومن حكم بغير ما أنزل الله (٤)

(١) المصدر السابق ص ٤١ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٤ .

(٣) القسم الخامس ( الرسائل الشخصية ) من مؤلفات الشيخ الامام

محمد بن عبد الوهاب نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ص ١٤٥ .

(٤) رسالة ( ثلاثة أصول ) من القسم الأول ( العقيدة والآداب الاسلامية )

من المصدر السابق ص ١٩٥ .

وقد أفرد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رسالة فى « معنى الطاغوت وروعوس أنواعه » ، وكان مما جاء فيها « ٠٠٠ فأما صفة الكفر بالطاغوت فهو أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها فأما معنى الايمان بالله فهو أن تعتقد أن الله هو الاله المعبود وحده دون سواه وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله وتنفيها عن كل معبود سواه وتحب أهل الاخلاص وتواليهم وتبغض أهل الشرك وتعاديتهم . وهذه ملة ابراهيم التى سبغ نفسه من رغب عنها ، وهذه هى الأسوة التى أخبر الله بها فى قوله ( قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه ان قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ) . والطاغوت عام ، فكل ما عبد من دون الله ورضى بالعبادة من معبود أو مطاع فى غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت » ثم تعدد الرسالة روعوس الطواغيت وهم الخمسة المذكورون آنفا وانما جاء بدلا ممن « دعا الناس الى عبادة النفس » فى الرسالة الأخيرة « الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى » والدليل قوله تعالى ( ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ) . وقد أوردت هذه الرسالة دليلا من الكتاب الكريم يدعم اعتبار الخمسة المذكورين رؤساء للطواغيت ثم ختمت الرسالة بقول الشيخ : « ٠٠٠ واعلم أن الانسان ما يصير مؤمنا بالله الا بالكفر بالطاغوت ، والدليل قوله تعالى ( فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ) . الرشيد دين محمد صلى الله عليه وسلم والغى دين أبى جهل ، والعروة الوثقى شهادة أن لا اله الا الله وهى متضمنة للنفى والاثبات : تنفى جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له » (١) فهل بعد هذا البيان يرتضى مؤمن الغى ويرفض الرشيد ويكون كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا فيدع العروة الوثقى الى بيت العنكبوت ويترك عبادة الله الى عبادة الطاغوت « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت

(١) رسالة ( معنى الطاغوت وروعوس أنواعه ) وردت ضمن ( مجموعة رسائل فى التوحيد والايمان ) - المصدر السابق ص ٣٧٦ - ٣٧٨ .

اتخذت بيتا ، وأن أو هن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم . وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » ( العنكبوت / ٤١-٤٣ ) ، « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغة ، وما دعاء الكافرين الا فى ضلال . والله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال . قل رب السموات والأرض قل الله ، قل أفأخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور ، أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ، قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار . أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال . للذين استجابوا لربهم الحسنى ، والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به ، أولئك لهم سوء الحساب وماوهم جهنم وبئس المهاد . أقمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ، انما يتذكر أولو الألباب » ( الرعد / ١٤ - ١٩ ) .

### الدعوة السلفية باطل القبوريين والمتصوفة

ولم تكن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى افراد الله بالعبادة والاخلاص فى توحيدة توحيد الربوبية والالهية معا لتمر كمقررات نظرية لا تصادم الواقع المنحرف القائم وتهز قواعده ، ولم تكن (حركية) الشيخ لتقنع بالتقرير النظرى العلمى دون التطبيق على الواقع والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومن ثم كان دينه دائما يجابه الباطل على أرضه صراحة بأنه عين الباطل الذى يعنيه فى كلامه وينمى عليه ، ولا يترك أمر العقيدة وقضية الايمان والكفر للاستنتاج والظن !

يقول الشيخ رحمه الله فى رسالة « تفسير كلمة التوحيد » : « اعلم رحمك الله أن هذه الكلمة ( لا اله الا الله ) هى الفارقة بين الكفر والاسلام ، وهى كلمة التقوى ، وهى العروة الوثقى ، وهى التى جعلها ابراهيم عليه السلام



كلمة باقية فى عقبة لعلهم يرجعون ، وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها ، فان المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار فى الدرك الأسفل من النار مع كونهم يصلون ويتصدقون . ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها وبغض من خالفها ومعاداته . . . . فاعلم أن هذه الألوهية هى التى تسميها العامة فى زماننا ( السر ) و ( الولاية ) ، والاله معناه الولى الذى فيه السر - وهو ما يسمونه ( الفقير ) و ( الشيخ ) وتسمية العامة ( السيد ) وأشباه هذا ، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق عنده منزلة يرضى أن يلتجئ الانسان اليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله . . . . فقول الرجل ( لا اله الا الله ) ابطال للوسائط وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة فذلك بأمرين - الأول : أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلهم وأباح أموالهم واستحل نساءهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية - وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيى ولا يدبر الأمور الا الله وحده . . . . شاهدون بهذا كله ومقرون به ومع هذا لم يدخلهم فى الاسلام ولم يحرم دماءهم ولا أموالهم ، وكانوا أيضا يتصدقون ويحجون ويعتصمون ويتعبدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفا من الله عز وجل . ولكن الأمر الثانى هو الذى كفرهم وأحل دماءهم وأموالهم وهو أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية وتوحيد الألوهية هو أن لا يدعى ولا يرجى الا الله وحده لا شريك له ولا يستغاث بغيره ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فمن استغاث بغيره فقد كفر ومن ذبح لغيره فقد كفر - وأشباه ذلك . وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون الصالحين - مثل الملائكة وعيسى وأمه وعزير وغيرهم من الأولياء - فكفروا بهذا مع اقرارهم بأن الله سبحانه هو الخالق الرازق المدبر . . . . فان قال قائل من المشركين : نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر ، لكن هؤلاء الصالحون مقربون ، ونحن ندعوهم وننذر لهم وندخل عليهم ونستغيث بهم ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة ، فقل : كلامك هذا مذهب أبى جهل وأمثاله فانهم يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والأولياء يريدون ذلك كما قال تعالى ( والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ) وقال تعالى ( ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ) . . . . فالله الله يا اخوانى ، تمسكوا بأصل دينكم وأوله وآخره وأسه ورأسه شهادة أن لا اله

الا الله واعرفوا معناها وأحبوها وأحبوا أهلها واجعلوهم اخوانكم ولو كانوا بعيدين ، اكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوهم وابغضوا من أحبهم أو جادل هذا على الله وافترى . فقد كلفه الله تعالى بهم وافترض عليهم الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا اخوانهم وأولادهم . فالله الله يا اخوانى تمسكوا بملك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئا . . . . . وأنت ترى المشركين من أهل زماننا - ولعل بعضهم يدعى أنه من أهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة - اذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله - مثل معروف أو عبد القادر الجيلانى وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير وأجل من هؤلاء مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالله المستعان . وأعظم من ذلك وأطم أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة مثل شمسان وادريس ( ويقال له الأشقر ) ويوسف وأمثالهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم » (١) . ويؤكد الشيخ رحمه الله ذلك فى رسائله الخاصة مثلما يؤكد فى رسائله وكتابات العامة « . . . . . فالطاغوت هو الذى يسمى السيد الذى ينخى ( أى يدعى ) وينذر له ويطلب منه تفريج الكريات غير الله تعالى . . . . . وقد ذكر فى ( الاقتناع ) فى باب حكم المرتد اجماع المذاهب كلهم على أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم أنه كافر مرتد حلال المال والدم . . . . . فكذلك الذين يدعون شمسان وأمثاله وأجناسه لاشك فى كفرهم» (٢) .

ويقول الشيخ فى رسالة لأهل المغرب « فمعلوم ما قد عمت به البلوى من حوادث الأمور التى أعظمها الاشرار بالله والتوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكريات التى لا يقدر عليها الا رب الأرض والسموات ، وكذلك التقرب اليهم بالنذور وذبح القرىبان والاستغاثة بهم فى كشف الشدائد وجلب الفوائد - الى غير ذلك من أنواع العبادة التى لاتصلح الا لله . . . . . وصرف شىء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لأنه سبحانه اغنى الشركاء عن الشرك ولا يقبل من العمل الا ما كان خالصا . . . . . وأخبر ( سبحانه ) أنه من جعل بينه وبين الله وسائط فسألهم الشفاعة فقد عبدهم؛ أشرك

---

(١) رسالة « تفسير كلمة التوحيد » ضمن ( مجموعة رسائل فى التوحيد والايمان ) ص ٣٦٣ - ٣٦٩ .  
(٢) القسم الخامس من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ( الرسائل الشخصية ) ص ١٤٥ - ١٤٨ .

بهم ، وذلك أن الشفاعة كلها لله ٠٠٠ فلا يشفع عنده أحد الا بإذنه ٠٠٠ والشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله تعالى ٠٠٠ وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين ، بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهجهم . وأما ما صدر من سؤال الأنبياء والأولياء الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها والسرج والصلاة عندها واتخاذها أعيادا وجعل السدنة والذنور لها فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بوقوعها النبي صلى الله عليه وسلم وحذر منها ٠٠٠ « (١) » ويقول الشيخ في رسالته لمطوع ثرمداء « ٠٠٠ كتبوا ، علماء سدير ، مكاتبة وبعثها لنا ( ابراهيم الذي وجهه الشيخ اليهم ) وهي عندنا الآن ولم يذكروا فيها الا توحيد الربوبية ٠٠٠ ان هؤلاء ما عرفوا التوحيد وهم منكرون دين الاسلام ، وكذلك أحمد بن يحيى راعى رغبه عداوته لتوحيد الألوهية والاستهزاء بأهل العارض لما عرفوه ٠٠٠ وكذلك ابن اسماعيل ، انه نقض ما أبرمت في التوحيد ، وتعرف أن عنده الكتاب الذى صنفه رجل من أهل البصرة : كله من أوله الى آخره فى انكار توحيد الألوهية وأتاكم به ولد محمد بن سليمان راعى وثنيته وقرأه عندكم وجادل به جماعتنا ، وهذا الكتاب مشهور عند المويس وأتباعه مثل ابن سحيم وابن عبيد يحتجون به علينا ويدعون الناس اليه ويقولون هذا كلام العلماء ! فاذا كنت تعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم ما قاتل الناس الا عند توحيد الألوهية ، وتعلم أن هؤلاء قاموا وقعدوا ودخلوا وخرجوا وجاهدوا ليلا ونهارا فى صدر الناس عن التوحيد يقرأون عليهم مصنفات أهل الشرك ٠٠٠ « (٢) » ٠٠٠ فصار ناس من الضالين يدعون أناسا من الصالحين فى الشدة والرخاء مثل عبدالقادر الجيلانى وأحمد البدوى (٣) وعدى بن مسافر وأمثالهم من أهل

(١) المصدر السابق ص ١١١ - ١١٣

(٢) المصدر السابق ص ١٩ - ٢٠

(٣) عبد القادر الجيلانى ( ت ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م ) من شيوخ الصوفية وتتبعه الطريقة القادرية ، وقد فتح له زاوية فى بغداد . وهناك قرارات باسمه فى فاس وغيرها . وأحمد البدوى شهاب أبو العباس ( ت ٦٥٧ هـ / ١٢٧٦ م ) الشيخ الصوفى المعروف ، ولد فى فاس وتوفى فى طنطا من أعمال مصر ومدفنه مقصود ولأتباعه طريقة تنسب اليه . وعدى بن مسافر شرف الدين أبو الفضائل ( ت ٥٥٧ هـ / ١١٦٢ م ) هو صاحبه الطريقة العدوية ، ولد بناحية بعلبك وأقام زما بالمدينة ثم انتقل الى ناحية الموصل فبنى زاوية تعبد فيها وتوفى بها وغالى فيه أتباعه غلوا شنيعة .

العبادة والصلاح ، فإنكر عليهم أهل العلم غاية الإنكار وزجروهم عن ذلك وحذروهم غاية التحذير والإنذار من جميع المذاهب الأربعة فى سائر الأقطار والأمنار ، فلم يحصل منهم ازدجار بل استمروا على ذلك غاية الاستمرار .  
 ولما كان بعض أعداء الدعوة الى التوحيد الخالص قد اعتمدوا على بعض الكتب فى المراء والجدال بغير حق ، فقد أقبل الشيخ محمد بن عبدالوهاب بمحس مقالاتهم ويرد عليها ويقيم الحجة مؤيدا دعوته بأقوال السلف والكتب المعتمدة عند أهل المذاهب ليؤكد أنه متبع وليس مبتدع فى فهمه لعقيدة التوحيد كما جاء بها الكتاب والسنة .

يقول الشيخ فى رسالته التى نقلنا منها ما سسبق مباشرة قبل هذه السطور : « ٠٠٠ وأنا أقول كلام أهل العلم رضى ، وأنا أنقله اليك وأنبهك عليه فتفكر فيه وقم لله ساعة ناظرا ومناظرا مع نفسك ومع غيرك ٠٠٠ قال الشيخ تقى الدين فى ( الرسالة السنوية ) التى أرسلها الى طائفة من أهل العبادة ينتسبون الى بعض الصالحين ويغلون فيه ، فذكر حديث الخوارج ثم قال : فاذا كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ممن ينتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب الى الاسلام قد يمرق من الدين ، وذلك بأمور منها : الغلو الذى ذمه الله - مثل الغلو فى عدى بن مسافر أو غيره بل الغلو فى على بن أبى طالب بل الغلو فى المسيح ونحوه ، فكل من غلا فى نبي أو صحابى أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الألوهية مثل أن يقول يا سيدى فلان أغثنى أو أنا فى حسبك ونحو هذا فهذا كافر يستتاب فان تاب والاقبل ، فان الله سبحانه انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد ولا يدعى معه اله آخر والذين يدعون مع الله الهة أخرى مثل الشمس والقمر والصالحين والتمائيل المصورة على صورهم لم يكونوا يعتقدون أنها تنزل المطر وتنبت النبات وانما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تنهى أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثه ٠٠٠ وقال فى ( الاقناع ) فى باب حكم المرتد فى أوله : فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو وحدانيته - الى أن قال : أو استهزأ بالله ورسله ، قال الشيخ : أو كان مبغضا لرسوله أو لما جاء به اتفاقا أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعورهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر اجماعا ٠٠٠ وأما الحنفية فقال الشيخ قاسم فى شرح ( درر البحار ) النذر الذى يقع من أكثر العوام وهو أن يأتى الى قبر يرض الصلحاء قائلا : يا سيدى فلان أن رد غائبى أو عرفى

مريضى أو قضيت حاجتى فلك كذا وكذا - باطل اجماعا لوجوه ، منها أن النذر للمخلوق لا يجوز ، ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف فى الأمور واعتقاد هذا كفر ، الى أن قال : اذا عرف هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها وينقل الى ضرائح الأولياء فحرام باجماع المسلمين ، وقد ابتلى الناس بهذا لا سيما فى مولد أحمد البدوى ٠٠٠ أما المالكية فقال الطرطوشى فى كتاب ( الحوادث والبدع ) بعد أن نقل ما رواه البخارى فى شأنه ذات أنواط وهى سدره كان المشركون يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم : فانظروا وحكمكم الله أينما وجدتم سدره يقصدها الناس وينوطون بها الخرق فهى ذات أنواط فاقطعوها ٠٠٠ وأما كلام الشافعية ، فقال الامام محدث الشام أبو شامة فى كتاب ( الباعث على انكار البدع والحوادث ) ٠٠٠ وقد وقع من جماعة من النابذيين لشريعة الاسلام المنتمين الى الفقر الذى حقيقته الافتقار من الايمان من اعتقادهم فى مشايخ لهم ضالين مضلين فهم داخلون تحت قوله تعالى ( أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ) - الآية ٠ وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها ، ومن هذا القسم ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الشيطان والعمد واسراج مواضع فى كل بلد يحكى لهم حاك أنه رأى فى منامه أحد ممن تنهر بالصلاح فيفعلون ذلك ويظنون أنها يتقربون الى الله ثم يجاوزون ذلك الى أن يعظهم وقع تلك الأماكن فى قلوبهم ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم وهى بين عيون وشجر وحائط وحجر ، وفى دمشق صانها الله من ذلك مواضع متعددة ٠٠٠ ثم ذكر كلاما طويلا الى أن قال أسأل الله الكريم معافاته من كل ما يخالف رضاه ولا يجعلنا ممن أضله فاتخذ الهه هواه ٠٠٠ وقد قرر الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذه النقول فى رسالة أخرى وجهها الى علماء الاسلام (١)

والشيخ محمد بن عبد الوهاب يبين عقيدة التوحيد الصحيحة فى رسائله الخاصة لأنصاره ، ولعلماء الاسلام فى مكة المكرمة والمدينة المنورة وغيرهم فى شبه الجزيرة وخارجها من المشرق والمغرب (٢) ، وللوجهاء المبرزين فى قوامهم ، كما لا يغفل فى رسائله عن أعداء دعوته ، فيحاورهم ويقم عليهم الحجة ٠ ومن ذلك رسالة كتبها الشيخ رحمه الله الى سليمان بن سحيم الذى كان قد شنع على الشيخ ودعوته ، وكان مما جاء فيه فى تعداد ما سقط فيه

(١) المصدر السابق ص ٦٦ - ٧٢ وانظر أيضا ص ١٧٧ - ١٧٩ ٠

(٢) انظر مثلا فى المصدر السابق ص ٣٦ - ٤٩ ٠

ابن سحيم : « الوجه الثاني : » ٠٠٠ انك تقول انى أعرف التوحيد وتقر أن من جعل الصالحين وسائط فهو كافر ، والناس يشهدون عليك أنك تروح للمولد وتقرأه لهم وتحضرهم وهم يغنون ويندبون مشايخهم ويطلبون منهم الغوث والمدد وتأكل اللقم من الطعام المعد لذلك ، فاذا كنت تعرف أن هذا كفر فكيف تروح لهم وتعاونهم عليه وتحضر كفرهم ؟ ٠٠٠ الثالث : ان تعليقهم التمايم من الشرك بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر تعليق التمايم صاحب ( الاقناع ) فى أول الجنائز ، وأنت تكتب الحجب وتأخذ عليها شرطاً حتى أنك كتبت لامرأة حجاباً لعلها تحبل وشرطت لك أحمرين وطالبتها تريد الأحمرين فكيف تقول انى أعرف التوحيد وأنت تفعل هذه الأفاعيل ؟ وان أنكرت فالناس يشهدون عليك بهذا ٠ الرابع : انك تكتب فى حجبك طلاسماً وقد ذكر فى ( الاقناع ) أنها ألسحر والسحر يكفر صاحبه ، فكيف تفهم التوحيد وأنت تكتب الطلاسماً ؟ وان حججت فهذا خط يدك موجود ٠ الخامس : أن الناس فيما مضى عبدوا الطواغيت عبادة ملأت الأرض بهذا الذى تقر أنه من الشرك ، ينخونهم ويندبونهم ويجعلونهم وسائط ، وأنت وأبوك تقولان نعرف هذا لكن ما سألونا !! فاذا كنتم تعرفونه كيف يحل لكم أن تتركوا الناس يكفرون ما تنصحانهم ولو لم يسألوكم ٠ السادس : أنا كما أنكروا عبادة غير الله بالغتم فى عداوة هذا الأمر وانكاره ٠ وزعمتم أنه مذهب خامس وأنه باطل ، ان أنكرتما فالناس يشهدون بذلك وأنتم مجاهرون به ٠ فكيف تقولون : هذا كفر ولكن ما سألونا عنه ، فاذا قام من يبين للناس التوحيد قلتم انه غير الدين وأنى بمذهب خامس ! فاذا كنت تعرف التوحيد وتقر أن كلامى هذا حق فكيف تجعله تغييراً لدين الله وتشكونا عند أهل الحرمين ؟ والأمور التى تدل على أنك أنت وأباك لا تعرفان شهادة ان لا اله الا الله لا تحصر ، لكن ذكرنا الأمور التى لا تقدر أن تنكرها ٠٠ وأنت وأبوك تظهران للخاص والعام « (١) » ٠

والشيخ محمد بن عبد الوهاب صريح فى الانكار على الذين يتخذون الشيوخ الأحياء ، ربايا من دون الله مثلما هو صريح فى الانكار على الثاوين فى القبور ، فالذين يدعون ( الولاية ) وسدنة هذه القبور من الأحياء والعلماء الذين يقرون التوسل بالأحياء والأموات والذين يقدسون الأولين ويطيعون الآخرين دون دليل شرعى كلهم متورطون فى مثل ما تورط فيه الذين يدعون

(١) المصدر السابق ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ٠

من فى القبور ويستغيثون بهم ، وينذرون لهم ويذبحون . . لأن جوهر التوحيد قد أبطله هؤلاء وأولئك على السواء ، يعقد الشيخ بابا فى « كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد » عنوانه « من أظاع العلماء والأمراء فى تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله » ، ويصدره بقول ابن عباس : « يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر !! » ثم ينقل ما روى عن عدى ابن حاتم فى صدد قوله تعالى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله . . . » ( التوبة / ٣١ ) ، حين قال رسول الله صلوات الله عليه : انا لسنا نعبدهم ، فأجابه عليه الصلاة والسلام : أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويدلون ما حرم الله فتحلون ؟؟ فقال عدى : بلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فتلك عبادتهم - رواه أحمد والترمذى وحسنه . ثم يستنبط الشيخ محمى بن عبد الوهاب ما فى النصوص التى أوردها من مسائل ، آخرها قوله « الخامسة : تغير الأحوال الى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هى أفضل الأعمال - وتسمى الولاية ، وعبادة الأخبار هى العلم والفقه . ثم تغيرت الحال الى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين ، وعبد بالمعنى الثانى من هو من الجاهلين » (١) .

وكما يذكر الشيخ بن عبد الوهاب ( الصوفية ) بأوصافهم المميزة وخصائصهم فى حملته عليهم ، يصرح أحيانا بأسمهم الذى عرفوا به ، ويوضح معتقداتهم الباطنية ، ويحمل بقوة - أجزل الله مثوبته عن أمة الاسلام - على عامة المتصوفة من أتباع الطرق وخاصتهم من أهل الفكر المصنفين ، ويدين شطحات هؤلاء وهؤلاء على السواء . . . فهو يذكر فى إحدى رسائله الشخصية « فقراء الشيطان الذين ينتسبون الى الشيخ عبد القادر رحمه الله وهو منهم برىء . . . » (٢) كما يقول فى رسالته لمطوع أهل الجمعة عن رسالة سليمان بن محمد بن سحيم التى أرسلها الى أهل البصرة والحسا يشنع فيها على الشيخ « . . . ولا يخفاك أنى عثرت على أوراق عند ابن غراز فيها اجازات له من عند مشايخه وشيخ مشايخه رجل يقال له عبد الغنى ويثنون عليه فى أوراقهم ويسمونهم العارف بالله ، وهذا اشتهر عنه أنه على دين ابن

(١) القسم الأول من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ( العقيدة والآداب الاسلامية ) ص ١٠٢ - ١٠٣ .  
(٢) القسم الخامس من المصدر السابق ( الرسائل الشخصية ) ص ٥٢ .

عربي الذي ذكر العلماء أنه أكفر من فرعون ، حتى قال ابن المقري الشافعي من شك في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر ٠٠٠ » (١) وينقل عن البزازی الحنفي ما جاء في ( فتاواه ) : « اذا رفض صوفية زماننا هذا في المساجد مختلطا بهم جهال العوام الذين لا يعرفون القرآن والحلال والحرام ، بل لا يعرفون الاسلام والايمان ، لهم نهيق يشبه نهيق الحمير ، يقول : هؤلاء لا محالة اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ، فويل للقضاة والحكام حيث لا يغيرون هذا مع قدرتهم » (٢) . وجاء في رسالة وجهها الشيخ الى أهل الرياض ومنفوحة حين كان يقيم في ( الدرعية ) : « وكذلك أيضا من أعظم الناس ضلالا متصوفة في معكالم وغيره مثل ولد موسى بن جدعان وسلامة بن نافع وغيرهما يتبعون مذهب ابن عربي وابن الفارض وقد ذكر أهل العلم أن ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية وهم أغلظ كفرا من اليهود والنصارى ، فكل من لم يدخل في دين محمد صلى الله عليه وسلم يتبرأ من دين الاتحادية فهو كافر برىء من الاسلام ولا تصح الصلاة خلفه ولا تقبل شهادته » (٣) . وينقل الشيخ عن (الافتناع) في اثناء (بابحكم المرتد) : « ومن اعتقد أن لأحد طريقا الى الله غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم ، أو أنه لا يجب عليه اتباعه ٠٠٠ أو قال أنا محتاج اليه في علم الظاهر دون علم الباطن أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة ، أو قال ان من العلماء من يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى - كفر في هذا كله (٤) . ويقول الشيخ رحمه الله عن نفسه « ولست ولله الحمد أدعو الى مذهب صوفى أو فقيه أو متعكم أو امام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم بل أدعو

(١) المصدر السابق ص ٧٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٨ .

(٣) المصدر السابق ص ١٨٩ وانظر أيضا ما ورد ص ١٩٣ :

وابن عربي : وهو محيي الدين محمد بن علي الحاتمي الطائى ت ٦٢٨هـ / ١٢٤٠م وقد ولد في مرسية بالاندلس وتوفى بسفح جبل قاسيون في دمشق وهو صوفى لقب بالشيخ الأكبر وكان من الباطنية في الاعتقاد ومن مصنفاة ( الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية والملكية ) . ( ترجمان الأشواق ) ، ( فصوص الحكم ) ، ( محاضرة الأبرار ) ٠٠٠ الخ . وابن الفارض عمر بن علي توفى سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٣٥ م متصوف شاعر أوضح نزعته في تائيته التي تضمنها ديوانه ، وله ميمية في الخمرة أى المعرفة الالهية بزعمه .

(٤) المصدر السابق ص ٦٨ .



الى الله وحده لا شريك له وأدعو الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
التي أوصى بها أول أمته وآخره وأرجو أنى لا أورد الحق اذا اتانى » (١) .

ومنهج الشيخ فى تعليم عقيدة التوحيد هو نهج السلف فى الاهتداء  
بهدى الكتاب والسنة فى العلم بالتوحيد ، والاعراض عن اصطلاحات المتكلمين  
والفلاسفة والمتصوفة على السواء : « وذلك أن مذهب الامام أحمد وغيره من  
السلف أنهم لا يتكلمون فى هذا النوع ( صفات الله ) الا بما يتكلم الله به  
ورسوله : فما أثبتته الله لنفسه أثبتوه مثل الفوقية والاستواء والكلام وغير ذلك ،  
وما نفاذ الله عن نفسه ونفاذ عنه رسوله نفوه مثل المثل والنذ والسعى وغير ذلك ،  
وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله اثباته ونفيه مثل الجوهر والجسم والعرض  
والجبه وغير ذلك لا يثبتونه ولا ينفونه ٠٠٠ » (٢) . والشيخ يوضح فى بيان  
جلى وحجة قوية أسباب نفوره من تشقيقات المتأخرين واصطلاحاتهم :  
« وأما المتأخرين فقلوبهم متفرقة ، فالعربية وثوابها قد أخفت من قوى أذهانهم  
شعبة ، والأصول شعبية ، وعلم الاسناد وأحوال الرواة شعبية ، وفكرهم فى  
كلام شيوخهم شعبية - الى غير ذلك من الأمور . فاذا وصلوا الى النصوص  
النبوية - ان كان لهم همم تسافر اليها - وصلوا اليها بقلوب وأذهان قد كلت  
من السير ، وهذا شأن من استفرغ قواه فى الأعمال غير المشروعة ( اذ )  
تضعف قوته عند العمل المشروع » (٣) .

والشيخ محمد بن عبد الوهاب ينكر الانحراف فى الشريعة كما يفكر  
الانحراف فى العقيدة ، فشريعة الله هى الحق والعدل ومن مال عنها فقد جار

---

(١) المصدر السابق ص ٢٥٢ : وابن قيم الجوزية محمد بن أبى بكر المتوفى  
سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م تلميذ ابن تيمية وناسر علمه وقد سجن معه وله ( اعلام  
الموقعين ) و ( زاد المعاد فى هدى خير العباد ) و ( الطرق الحكمية ) و ( شفاء  
العليل فى مسائل القضاء والقدر والتعليل ) وغير ذلك كثير . والذهبي محمد  
ابن أحمد شمس الدين المتوفى سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م ابن كثير امام فى التفسير  
بالحديث والتاريخ صاحب لتفسير ( والبداية والنهاية ) .  
(٢) المصدر السابق ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) « مبحث الاجتهاد والخلاف » فى القسم الثانى من مؤلفات الشيخ  
الامام محمد بن عبد الوهاب نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - م ٢م  
تحقيق عبد الرحمن بن محمد السدحان وعبد الله بن عبد الرحمن  
الجبرين ص ٢٢ .

الى الباطل والظلم ٠٠ يعدد الضلالات التي وقع فيها عامة أهل البوادي فيذكر منها « ٠٠٠ فلما بينت ما صرحت بهم آيات التنزيل وعلمه الرسول امته وأجمع عليه العلماء ( فى ) ٠٠٠ من فضل فراضة الطاغوت على حكم الله ، أو سب من زعم أن المرأة ترث ، أو أن الانسان لا يؤخذ فى القتل بجريرة أبيه وابنه - انه كافر مرتد ، قال علماؤكم معلوم أن هذا حال البوادي لا ننكره ولكن يقولون لا اله الا الله وهى تهميهم من الكفر ولو فعلوا كل ذلك ٠٠٠ » ( ١ ) . وهكذا شاع فى أهل البوادي وقتذاك ما كان عليه أهل الجاهلية من تقرير حق الذكر لأنه الذى يقاتل ويحمى القبيلة وهدار حق الأنثى لأنها لا تفعل فعله ، وما كان عليه أهل الجاهلية فى الثأر من أقرب قريب للمقاتل ان لم يكن القاتل فى متناول يدهم جمعهم الى قتل القاتل قتل أقرب الناس اليه امعانا فى التنكيل ٠٠ ولم يقصر الشيخ رحمه الله فى بيان أن من ينصرف عن شريعة الله وهو يعلمها ويصر على تركها يصل ضلاله الى أصل العقيدة ولا يكون مقصورا على أحكام الفروع ، ففى هذا ايثار لحكم الهوى والطاغوت « ألم تر الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجيب والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ٠ أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد لهم نصيرا » ( النساء / ٥١ - ٥٢ ) ، « ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ٠ واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا » ( النساء / ٦٠ - ٦١ ) ، « أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضلله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون » الجاثية / ٢٣ ) .



هذا البيان الحاسم القاطع للتوحيد والشرك ، وهذه المواجهة الصريحة للذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ودعوا الأحياء والأموات وانصرفوا عن أحكام ربهم وجعلوا اللهم هواهم ، وهذه ( الحركية ) النشطة

---

(١) القسم الخامس من مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب (الرسائل الشخصية) ص ٢٦ وانظر أيضا ص ٤١ .

فى البلاغ والمواجهة ، والموالاة والمعادة ، كان لابد معها أن يقع الصدام بين أهل الحق وأهل الباطل « والذى قلب الناس علينا الذى قلبهم على سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم وقلبهم على الرسل من قبله ( كلما جاء أمة رسولها كذبوه ) ومثل ما قال ورقة للنبي صلى الله عليه وسلم : والله ما جاء أحد بمثل ما جئت به الا عودى ٠٠٠ » (١) ، « فهذا هو الذى أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الأمر الى أن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا حتى نصرنا الله عليهم وظفرونا بهم ، وهو الذى ندعو الناس اليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله واجماع السلف الصالح من الأئمة ، متمثلين لقوله سبحانه وتعالى ( وقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ) ٠٠ ( لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز ) » (٢) ، « ذكر ابن عبد الهادى فى مناقب الشيخ لما ذكر المحنة التى نالته بسبب الجواب فى ( شد الرحل ) ، فالجواب الذى كفروه بسببه ذكر أن كلامه فى هذا الكتاب أبلغ منه ، فالعجب اذا كان هذا الكتاب عندك والعلماء فى زمن الشيخ كفروه بكلام دونه ، فكيف بالمويس وأمثاله لا يكفروننا بمحض التوحيد ؟ » (٣) . وقد تقدم ما أثاره على الشيخ هدم ما بنى على القبور ، وهو الذى ذكره فى رسالته الى علماء مكة المكرمة « جراً علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم ، وسببه هدم بنيان فى أرضنا على قبور الصالحين فلما كبر هذا على العامة لظنهم أنه تنقيص للصالحين ٠٠٠ نهيناهم عن دعواهم وأمرناهم باخلاص الدعاء لله ، فلما أظهرنا هذه المسألة مع ما ذكرنا من هدم البنيان على القبور كبر على العامة جدا وعاضدهم بعض من يدعى العلم لأسباب أخر التى لا تخفى على مثلكم أعظمها اتباع هوى العوام مع أسباب أخر ، فأشاعوا عنا أنا نسب الصالحين وأنا على غير جادة العلماء ، ورفعوا الأمر الى المشرق والمغرب ، وذكروا عنا أشياء يستحى العاقل من ذكرها ٠٠٠ » وقد أوضح الشيخ محمد ابن عبد الوهاب موقفه وأدلى بحجته « فهذه كتب الحنابلة عندكم بمكة شرفها الله مثل ( الاقناع ) و ( غاية المنتهى ) و ( الانصاف ) اللاتى عليها اعتماد

(١) المصدر السابق ص ٤٤

(٢) المصدر السابق ص ١١٤

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٨

المتأخرين ٠٠٠ ذكروا فى باب الجنائز هدم البناء على القبور واستدلوا عليه بما فى صحيح مسلم عن على رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه لهدم القبور المشرفة وأنه هدمها ، واستدلوا على وجوب اخلاص الدعوة لله والنهى عما اشتهر فى زمنهم من دعاء الأموات بأدلة كثيرة ، وبعضهم يحكى الاجماع على ذلك . فان كانت المسألة اجماعا فلا كلام ، وان كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم أنه لا انكار فى مسائل الاجتهاد فمن عمل بمذهبه فى محل ولايته لا نكر عليه » (١) . وهو ينقل عن ابن القيم رحمه الله فى ( الهدى النبوى ) فى الكلام على حديث وقد الطائف لما أسلموا وسألوا النبى صلى الله عليه وسلم أن يترك لهم اللات لا يهدمها سنة . ولما تقدم ابن القيم على المسائل المأخوذة من القصة قال : ومنها أنه لا يجوز ابقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وابطالها يوما واحدا فانها شعائر الشرك والكفر ٠٠٠ وهذا حكم المشاهد التى بنيت على القبور التى اتخذت أوثانا تعبد من دون الله ، والأحجار التى تقصد للتبرك والندر والتقبيل لا يجوز ابقاء شىء منها على وجه الأرض مع القدرة على ازلته ، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بل أعظم شركا عندها وبها والله المستعان ، ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق ٠٠٠ فاتبع هؤلاء سنن من قبلهم وسلكوا سبيلهم شبرا بشبر ٠٠٠ وغلب الشرك على أكثر النفوس لغلبة الجهل وخفاء العلم وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة ، ونشأ فى ذلك الصغير وهرم عليه الكبير ، وطمست الأعلام واشتدت غربة الاسلام ، وقل العلماء وغلب السفهاء ، وتفاقم الأمر واشتد البأس وظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدي الناس » (٢) وقد أوضح الشيخ محمد ابن عبد الوهاب عدوان أعداء دعوته وشمول من لم يظهر منه تكفير هؤلاء أو قتالهم « ٠٠ وأغروهم بمن صدق النبى صلى الله عليه وسلم وأحلوا دماءنا وأموالنا ، حتى جرى على الناس ما تعرف ، مع أن كثيرا منهم لم يكفر ولم يقاتل ٠٠٠ » (٣) هذه هى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى العقيدة السلفية ، تؤكد كل ما فهمه السلف الصالح من عقيدة التوحيد كما جاءت فى الكتاب والسنة ، وتشهد بأن الشيخ كان متبعا وليس بمبتدع فى موضوع الدعوة ومضمونها ، وان كانت لظروف البيئته فى ذلك الوقت وطبيعة الشيخ (الحركية) أيضا آثارها فى أسلوب الدعوة وخصائصها الفكرية والعلمية .

(١) المصدر السابق ص ٤٠ - ٤١ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٧ .

## التأثير المستمر للدعوة في المسلمين :

توفى الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله سنة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م ، وكان حليفه الأمير محمد بن سعود قد توفى قبله سنة ١١٧٩ هـ / ١٧٦٥ م وخلفه ابنه عبد العزيز بن محمد الذى استشهد سنة ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ م بعد أن شهد انتشار الدعوة السلفية الاصلاحية وامتداد الدولة السعودية فى شبه الجزيرة العربية وقد قامت على قواعد الاسلام الصحيح كما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله الذى بعثه الله رحمة للعالمين ، لكن تعرضت الدولة الوليدة لتأليب العثمانيين ومكائدهم خلال عهدى سعود ( الكبير ) بن عبد العزيز الذى توفى سنة ١٢٢٩ هـ / ١٨١٣ م وعبد الله بن سعود من بعده وقد توفى سنة ١٢٣٢ هـ / ١٨١٧ م ، وقد استطاعت الدولة الناشئة أن تواجه حملتى محمد على الأولين بقيادة طوسون محمد على نفسه سنة ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م ، سنة ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م حتى فاوض طوسون بن محمد على للصلح وعقدت هدنة استفاد منها محمد على وجيشه الذى واصل الهجوم فى حملته الثالثة بقيادة ابراهيم بن محمد على سنة ١٢٣١ هـ / ١٨١٥ م ، وثبت المجاهدون أمام المهاجمين فى الدرعية سنة ١٢٣٢ هـ / ١٨١٧ م على الرغم من تفوق الآخرين عددا وعدة الى أن غدا استمرار المقاومة فى تلك الظروف فوق طاقة البشر .

ولكن كانت ( الدولة ) قد عرض لها ما عرض ، فقد بقيت ( الدعوة ) شعلة مضيئة ينتشر نورها الهادى داخل شبه الجزيرة على الرغم من اشتداد حلقة الظلمات ، بل يتجاوز شبه الجزيرة الى خارجها من أرض الاسلام على مر الزمان حتى أيامنا الراهنة يقول لوثرروب ستودارد : « ان خاتمة هذا الدور السياسى كانت فاتحة الدور الدينى ، فقد ظلت نجد بؤرة تشتعل فيها نار الغيرة الدينية ومنبثق نور تنبعث منه الأشعة الوهاجة الى كل ناحية من نواحي الأرض . ومافتىء الوهابيون منذ قضى على قوتهم السياسية ييئون روح الحركة الدينية فى مئات الألوف من الحجيج الوافدين فى كل عام الى مكة والمدينة من كل قطر من أقطار العالم الاسلامى ، فيقتبس هؤلاء نارا وهابية ثم يعودون الى أوطانهم يشعلون بها ما استطاعوا اشعاله فى سبيل الاصلاح . وهكذا تد استطاع الوهابيون أن يبذروا بذورا تلاها الاختمار الشديد للثورة الدينية فى كل فج اسلامى حتى بلغت دعوتهم الدينية أقصى المعمور . . . وخلال جيل تلات اتسعت الدعوة الوهابية بأفقتها ومضطربها اتساعا كبيرا ،

وتطورت تطورا عظيما ، حتى صارت تعرف باليقظة الاسلامية . ثم اتسحت دعوة اليقظة الاسلامية بأفقتها أيضا حتى تعددت متجهاها ومناحيها ، وأهم هذه المتجهات انما هي الدعوة الكبرى المعروفة بالجامعة الاسلامية . . . . . فالدعوة الوهابية انما هي دعوة اصلاحية خالصة بحتة ، غرضها اصلاح الخرق ونسخ الشبهات وابطال الأوهام ونقض التفاسير المختلفة والتعاليق المتضاربة التي وضعها أربابها في عصور الاسلام الوسطى ، ودحض البدع وعبادة الأولياء ، وعلى الجملة هي الرجوع الى الاسلام والأخذ به على أوله وأصله ولبابه وجوهره ، أى أنها الاستمسك بالوحدانية التى أوحى الله بها الى صاحب الرسالة صافية ساذجة والاهتداء والائتمان بالقرآن المنزل مجردا ، وأماما سوى ذلك فباطل وليس فى شىء من الاسلام . . . . . ويقتضى ذلك الاعتصام كل الاعتصام بأركان الدين وفروضه وقواعد الآداب ( ثم ذكر تحريم الحرير والقهوة والدخان . . . . ) وغير ذلك مما بعضه من أسباب السرف وبعضه الآخر من المضار المفسدة لسلامة العقل . . . . » ( ١ ) .

وقد وقع تأثير أنصار الدعوة السلفية فى الجيش المحارب لها نفسه . . . . . يروى عبد الرحمن الجبرتي مؤرخ مصر الحديثة فى كتابه ( عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ) ( ٢ ) عن بعض ( الأكابر ) فى الجيش المحارب للدولة السعودية الأولى ممن ( يدعون الصلاح والورع ) ما شهدوه فيمن قدموا لحربهم « والفضل ما شهدت به الأعداء » - يقول : « والقوم اذا دخل الوقت أذن المؤذنون وينتظمون صفوفًا خلف امام واحد بخشوع وخضوع . . . . . واذا حان وقت الصلاة والحرب قائم أذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف ، فتنقدم طائفة للحرب وتتأخر الأخرى للصلاة ، وعسكرنا يتعجبون من ذلك لأنهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته ! وينادون فى معسكرهم : هلموا إلى حرب المشركين المحلقين الذقون المستبيحين الزنا واللواط الشاربين الخمر ، التاركين الصلاة الآكلين الربا القاتلين الأنفس المستحلين الحرمات . . . . . وكشفوا عن كثير من قتلى

( ١ ) لوشروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى - ترجمة عجاج نويهض - ط ع - بيروت سنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٣ م - ج ١ ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .  
( ٢ ) انظر أخبار سنة ١٢١٨ هـ ( ١٨٠٣ م ) وعبد الرحمن الجبرتي مؤرخ ولد فى القاهرة وتعلم فى الأزهر وان نسب أصلا الى ( جبرت ) وللجبرتيه من مسلمى الحبشة رواق بالأزهر ، توفى سنة ١٢٦٨ هـ / ١٨٢٢ م ويتناول تاريخه الفترة بين ١١٠١ هـ / ١٦٩٠ م والعام السابق لوفاته .

العسكر فوجدوهم غلفا غير مختونين « !! ورأى (أكابر) الجيش فى جنوده يؤيد ما كان يصفهم به محاربيهم جند الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى ، إذ ينقل عنهم الجبرتى « ٠٠٠ وأكثر عساكرنا على غير الملة ، وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهبا ٠ وصحبتنا صنادق المسكرات ، ولا يسمع فى عرضينا (أى محط جيشنا) أذان ولا تقام به فريضة ، ولا يخطر فى بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين » (١) !! ٠٠٠٠ ولا ينال من روايات الجبرتى أن

(١) يقدم الجبرتى صورة معبرة لسلوك الجيش حين استنفر وتجمع فى القاهرة قبل سفرد - ذلك الجيش الذى يزعم أنه ذاهب لجهاد أعداء الدين ، وجنوده « يأكلون ويشربون جهارا نهارا فى رمضان ويقولون نحن مسافرون ومجاهدون ، ويمرون بالأسواق ويجلسون على المساطب وبأيديهم الأقباب والشبكات التى يشربون فيها الدخان من غير احتشام ولا حياء ، ويجوزون بحارات الحسينية على القهاوى فى الضموة فيجدونها مغلقة فيسألون عن (القهوجى) ويطلبونه ليفتح لهم القهوة ويوقد لهم النار ويغلى لهم القهوة ويسقيهم ، فريما هرب (القهوجى) واختفى منهم فيكسرون الباب ويعبثون بألاته وأوانيه فما يسعه الا المجرى وايقاد النار !! وأشنع من ذلك أنه اجتمع بناحية عرضيهم وجناحهم الجمع الكثير من النساء الخواطى والبغايا ونصبوا لهم خياما وأخصاصا ، وانضم اليهم بياع (البوظة) و (العرقى) والحشاشون والغوازى والرقاصون وأمثال ذلك ، وانحشر معهم الكثير من الفساق وأهل الأهواء والعياق من أولاد البلد ، فكانوا جمععا عظيما يأكلون ويشربون المسكرات ويزنون ويلوطون ويشربون (الجوزة) ويلعبون القمار جهارا فى رمضان ولياليه مختلطين مع العساكر ، كأنما سقط عن الجميع التكليف وخلصوا من الحساب» !!! « ويأتى أحدهم ويدهد شبك الدخان فيدنى مجمرته لأنف ابن البلد على غفلة منه وينفخ فيه على سبيل السخرية والهزيان بالصائم » ٠٠ فاذا ما رحل ذلك الجيش (الغازى) ورست قواته فى ثغر ينبع « نهبت الودائع والأموال والأقمشة وسبوا النساء والبنات بالبندر ويبيعوهن على بعضهم البعض » !!! ٠٠٠ فلا غرو إذن أن ينعى الجبرتى على مفتى الدولة العثمانية فتاواهم فهو يذكر عقب خير سقوط الطائف أثناء الحملة الأولى سنة ١٢٢٦ هـ (١٨١١ م) ما كان من تسمى السلطان العثمانى (بخادم الحرمين) « لأن عساكره أفتتحت بلاد الحرمين وغزت الخوارج (!) وأخرجتهم منها ، لأن المفتى أفتاهم بأنهم كفار - لتكفيرهم المسلمين ويجعلونهم شركين ولخروجهم على السلطان وقتلهم الأنفس وان من قاتلهم يكون مغازيا ومجاهدا وشهيدا اذا قتل ٠ ولما انقضى المجلس ضربوا مدافع كثيرة ٠٠٠ ، ويعلق الجبرتى ذلك بقوله الحق « وذلك ونحوه من الخور » !

هو اه لم يكن مع حاكم مصر محمد على ، فما كرهه فيه وصرفه عنه غير جوره وعتوه وانحراف أعوانه وجنده ، فلا غرو أن يبدو متجاوبا مع الدعوة السلفية وهو الذى تعلم القرآن والسنة والعقيدة والشريعة بالأزهر واضطلع بالتدريس فيه ، يقول مثلا : « ولغط ناس فى خبر الوهابى واختلفوا فيه ، فمنهم من يجعله خارجيا وكافرا ٠٠ ومنهم من يقول بخلاف ذلك لخلو غرضه » ! وينقل الجبرتى نص ما « أرسل الوهابى الى شيخ الركب المغربى ( من ) أوراق تتضمن دعوته وعقيدته » وقد استغرق هذا البيان عن الدعوة السلفية صفحات من كتاب الجبرتى ، ويعلق على البيان بشهادته التى يجهر فيها بالحق وهو العالم الأزهرى الذى يدخل فيمن أخذ الله ميثاقهم « لتبيننه للناس ولا تكتمونه » فيقول بتثبيت المحقق وعلم الفقيه : « ان كان كذلك فهذا ما ندين الله به نحن ايضا ، وهو خلاصة لباب التوحيد ، وما علينا من المارقين المتعصبين !!

وقد بسط الكلام فى ذلك ابن القيم فى كتابه ( اغاثة اللهفان ) والحافظ المقرئى فى ( تجريد التوحيد ) ( ١ ) والامام اليوسى فى ( شرح الكبرى ) ( ٢ ) و ( شرح الحكم ) لابن عباد ( ٣ ) ، وكتاب جمع الفضائل وقمع الزدائل ) وكتاب ( مصايد الشيطان ) وغير ذلك « ٠٠٠ ويصف الجبرتى ثمار حكم الدولة السعودية فى شبه الجزيرة وفى الحجاز بوجه خاص فيقول ( ٤ ) : « عند ذلك

( ١ ) هو عين المقرئى المؤرخ تقى الدين أحمد بن على المولود بالقاهرة وقد توفى بها سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م ، ومن كتبه الموجزة غير المشهورة « تجريد التوحيد المفيد » ألفه سنة ٨٤١ هـ أى قبل وفاته بسنوات قليلة - انظر « مؤلفات المقرئى الصغيرة » لجمال الدين الشيبلى فى كتاب « دراسات عن المقرئى » الذى أصدرته وزارة الثقافة بمصر - الهيئة العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧١ م .

( ٢ ) هو الحسن بن مسعود نور الدين أبو على اليوسى ( ت ١١٠٢ هـ / ١٦٩١ م ) ، فقيه مالكى مبرز وقد نعت بغزالي عصره ، وينتمى لقبيلة بنى يوسى من البرير ، وقد تعلم فى سجلماسة ودرعة ومراكش وتوفى بتمرسبت له ( شرح القصيدة الدالية ) وغيره .

( ٣ ) هو أبو عبدالله محمد بن عباد ، فقيه صوفى ولد بالأندلس ( ت ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م ) واشتهر بشرحه لحكم ابن عطاء الله السكندرى ( غيث المواهب العلية فى شرح الحكم العطائية ) ، وله أيضا ( الرسائل الكبرى ) فى التصوف . وابن عطاء الله السكندرى متصوف شاذلى اشتهر بكتابة ( الحكم ) ( ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م ) .

( ٤ ) فى أخبار سنة ١٢٢١ هـ وما بعدها .



أمنت السبيل وسلكت الطرق بين مكة والمدينة وبين مكة وجدة والطائف ، وانخفضت الأسعار وكثر وجود المطعومات وما يجلبه عربان الشرق الى الحرمين من الغلال والأغنام والأسمان والأعسال ، حتى بيع الأردب من الحنطة بأربعة ريال » . وكان الشريف غالب (١) أمير مكة وقتذاك قد عاهد على الدخول فى طاعة الدولة السعودية الأولى على أثر ظهور أمرها وتتابع انتصاراتها ، وأقسم اليمين على ذلك فى الكعبة « وأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها ، وشرب الأراجيل بالتبناك فى المسعى بين الصفا والمروة ، وبالملازمة على الصلوات فى الجماعة ، ودفع الزكاة ، وترك لبس الحرير والمقصبات ٠٠٠ » وأبطل الامام سعود (الكبير) حين دخل مكة فى ٨ من المحرم سنة ١٢١٩ هـ / أول مايو سنة ١٨٠٤ م ما كانت عليه العادة من قيام أربع جماعات حسب المذاهب الأربعة عند كل صلاة « فقد كانت العادة أن يصلى بالجماعة فى المسجد الحرام أحد الأئمة من أهل المذاهب الأربعة ثم يتلوه غيره ، فأمر بإبطال تلك العادة وأن لا يصلى فى المسجد الا امام واحد ، فصار يصلى الصبح الشافعى والظهر المالكى - وهكذا بقية الأوقات ، ويصلى الجمعة مفتى مكة عبد الملك القلعى الحنفى » . وكتب الامام سعود الى السلطان العثمانى سليم الثالث (١٢٠٣-١٢٢٢ هـ / ١٧٨٩-١٨٠٧ م) « من سعود بن عبد العزيز الى السلطان سليم : انى دخلت مكة وأمنت أهلها على أرواحهم وأموالهم ، بعد أن هدمت ما هناك من أشباه الوثنية . وألغيت الضرائب الا ما كان منها حقاً . وثبت القاضى الذى وليته أنت طبقاً للشرع الاسلامى . فعليك أن تمنع والى دمشق ووالى القاهرة من المجيء الى هذا البلد المقدس بالمحمل والظبول والزمو ، فان ذلك ليس من الدين فى شىء » ، ويذكر الجبرتى فى مجمل أخبار سنة ١٢٢٢ هـ « ومنها : انقطاع الحج الشامى المصرى معتلين بمنع الوهابى الناس عن الحج ، والحال ليس كذلك ، فانه لم يمنع أحداً يأتى الى الحج على الطريقة المشروعة ، وانما يمنع من يأتى بخلاف

(١) الشريف غالب من أسرة ( الأشراف ) الذين كانوا يحكمون مكة وقتذاك ، وقد دانوا بالتبعية للحكم المملوكى فى مصر ، فلما فتح العثمانيون مصر سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م بعث شريف مكة (بركات) ابنه الى القاهرة ليقدم مفاتيح الحرمين الشريفين للسلطان سليم الأول هناك ، فأضيف الى ألقابه ( خادم الحرمين ) وأقر الأشراف على ولايتهم وجعل مصر تمد الحجاج بالمال والمون كل عام وكان موقف الأشراف مذنباً ازاء الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى ، واضطر الشريف غالب الى المعاهدة والموالاته على أثر ما كان للدولة من غنية ، ثم غدر وأزر الحملة التى أرسلها حاكم مصر .

ذلك من البدع التي لا يجيزها الشرع - مثل المحمل والطبل والزمير وحمل الأسلحة - وقد وصل طائفة من حجاج المغاربة وحجوا ورجعوا في هذا العام وما قبله ، ولم يتعرض لهم أحد بشيء » . ويتابع الجبرتي حديثه عما جرى في مكة على أثر دخول الشريف غالب في طاعة الدولة السعودية الأولى « ٠٠٠ وابطال المكوس والمظالم . وكانوا قد خرجوا عن الحدود في ذلك ، حتى ان الميت يأخذون عليه خمسة ( فرائسة ) أو عشرة بحسب حاله ، وان لم يدفع أهله القدر الذي يتقرر عليه فلا يقدرّون على رفعه ودفنسه ، ولا يتقرب اليه الغاسل ليغسله حتى يأتيه الاذن !! وغير ذلك من البدع والمكوس المظالم التي أحدثوها على المبيعات والمشتريات على البائع والمشتري ، ومصادرات الناس في أموالهم ودورهم فيكون الشخص من سائر الناس جالسا بداره فما يشعر على حين غفلة منه الا والأعوان يأمرونه بإخلاء الدار وخروجه منها ويقولون: سيد الجميع محتاج اليها ، فاما أن يخرج منها حملة وتصير من أملاك الشريف واما أن يصلح عليها بمقدار ثمنها أو أقل أو أكثر . فعاهده (أى عاهد الشريف أمير الدولة السعودية الأولى ) على ترك ذلك كله واتباع ما أمر الله تعالى به في كتابه العزيز من إخلاص التوحيد لله وحده واتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون الى آخر القرن الثالث » . لكن الشريف غالب - على ما يروى الجبرتي - لم يف بما وعد به « واستمر بأخذ العشور من التجار ، ٠٠٠ يقول : هؤلاء مشركون ، وأن آخذ من المشركين لا من الموحدين » !! ٠٠٠ فقارن رحمك الله بين سلوك وسلوك في الحكم !

وتأثير الدعوة السلفية بعد أن تحققت لها السلطة الشرعية وصارت دولة قد انتشر بين الحجاج ، فقد عاد « الحجاج المغاربة ومعهم مولاي ابراهيم ابن السلطان سليمان سلطان المغرب (١) ، وأخبروا أنها قضاوا مناسكهم ، وحجوا وزاروا المدينة ، وأكرمهم ( الوهابية ) اكراما زائدا » ٠٠٠ وحين ذهب الدولة ، وأخذ بعض الأمراء وقادة المجاهدين فيها الى القاهرة وأسكنوا هناك في جهات متفرقة (٢) فتركوا أطياب الأثر بين المصريين ، وغدت بيوتهم مزارا لهم ٠٠٠ ومما يحمل الطراقة والمفارقة معا ، أن كثير من زائريهم كانوا يطلبون ( البركة ) منهم !!!

(١) السلطان سليمان أبو الربيع من أسرة العلويين التي لا تزال تحكم المغرب ، وقد عرف بتقواه وعدله ( ١٢٠٦ - ١٢٣٧ هـ / ١٧٩٢ - ١٨٢٢ م ) .  
(٢) يذكر الجبرتي أنه حاكم مصر أحضر بواقي (!) الوهابية بحريمهم

## تأثير الدعوة السلفية في المسلم المعاصر ( الفرد المثقف العادى )

كلما ازداد المسلمون تنورا وتعلما وثقافة ، كلما ازداد تفهمهم لعقيدة السلف واقبالا عليها ٠٠٠ وهكذا فان الاسلام الصحيح وعقيدته وأحكامه الشرعية التي جاء بها الكتاب والسنة ، وانما تحيا وتزدهر حيث يسود النور والمعرفة ! والاسلام الصحيح المستمد من ينبوعه الصافى الفياض ( معاصر ) دائما ، فان كتابه « لا تنفد عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد » كما وصفه الرسول الذي بعثه الله بهذا الدين وأنزل عليه الكتاب صلوات الله عليه ٠٠٠ والذين زعموا أن الدين انما عاش فى ظلمات العصور الوسطى فحسب أو يعيش فى ظلمات كظلماتها ، وأنه فى العصور الحديثة مخدر أو معوق للفرد والمجتمع ، لم يعرفوا الاسلام الصحيح النقى ، ولم يعرفوا حضارته الزاهرة المتألقة فى العصور الوسطى التي اقترنت بالظلمات عند غير المسلمين ، ومن ثم لم يتبينوا قدرة الاسلام المتجددة على الهداية والتقويم واطلاق الطاقات وبعث النهضات فى كل زمان ومكان .

وأولادهم على نحو الأربعمئة نسمة وأسكنوا ( بالقشلة التي بالأزبكية ، وابن عبد الله بن سعود بدار عند ( جامع مسكة ) هو وخواصه من غير حرج عليهم ، وطفقوا يذهبون ويجيئون ويترددون على المشايخ ( أى علماء الأزهر ) وغيرهم ، ويمشون فى الأسواق ويشترون البضائع والاحتياجات . و ( القشلة ) منزل العسكر وقد تكون مأخوذة من ( قشلاق ) التركية أو من Castella الايطالية ومعناها قلعة . وذكر المقرئى عن ( جامع مسكة ) أنه « قرب ( قنطرة أقسنقر ) التي على الخليج الكبير خارج القاهرة أنشأته السيدة مسكة حارية الملك الناصر محمد بن قلاوون ( ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م ) وأقيمت فيه الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة ٧٤١ هـ . وأقيم الجامع على حكر للسيدة نفسها » فلما عمرت الجامع بنى الناس حوله حتى صار متصلا بالعمارة من سائر جهاته وسكنه الأمراء والأعيان وأنشأوا به الحمامات والأسواق وغير ذلك ٠٠٠ ونشأت ( مسكة ) فى دار السلطان وصارت قهرمانة لبيت السلطان يقصدى برأيها فى عمل الأعراس السلطانية والمهمات الجليلة التي تعمل فى الأعيان والمواسم وترتيب شؤون الحريم السلطاني وتربية أولاد السلطان ، وطال عمرها وصار لها من الأموال العظيمة ما يجلب وصفه وصنعت برا ومعروفا كبيرا واشتهرت وبعد صيتها « ( المقرئى : المخطط - القاهرة ١٣٢٥ هـ - ج ٣ ص ١٨٩ ، ج ٤ ص ١٣٣ .

ان المسلم المتدين فى عصرنا يغلب أن يكون « سلفيا » فى عقيدته وعبادته. لأن « السلفية » هى القربية الى عقله المعاصر ، كما كانت قريبة لكل عقل فى زمان ٠٠٠ وقد أثرت السلفية فى مجتمعات المسلمين الحديثة والمعاصرة بما تناقله الحجيج عما ساد الحجاز من أمن تحت الحكم السعودى ٠٠٠ وبلغت الدعوة السلفية أنحاء بعيدة من العالم الاسلامى بجهود الجماعات السلفية التى قامت فى الكثير من بلدان المسلمين - وسيأتى الحديث عنها قريبا ، وكان لهذه الجماعات أثرها بين مسلمى العصر فى نشر الاتجاه الذى يدعو الى العودة الى الكتاب والسنة فى تفهم العقيدة والتعرف على أحكام الشريعة . كما اعان انتشار التعليم والثقافة على النفور من الخرافة والحرص على تصفية ما علق بالعقيدة والعبادة من أكدار وأوهام ٠٠٠

وهكذا لم تعد « السلفية » ترادف الكفر كما « شنع المبطلون وأرجف أصحاب الأهواء والمطامع ، بل عرف مسلمو العصر أنها تعنى العقيدة الصحيحة الخالصة الصافية ، وتعنى العبادة الشرعية البريئة من البدع والمحدثات ٠٠٠ حتى رأينا كاتبا صحفيا مصريا فى أيامنا كان ماركسيا ثم اتجه الى الاسلام هو ( جلال كشك ) ، يفرد أربع مقالات مطولة فى مجلة ( الحوادث ) اللبنانية للحديث عن ( الوهابيين ) ، بعد أن تعاطف معهم فى كتابات له سابقة مثل كتابه ( القومية والغزو الفكرى ) ٠٠٠ لقد تهكم فى كتابه من دعاة القومية العربية الذين رأهم « يقدر ما يعجبون بثورة ( لورنس ) ويجعلونها بداية القومية ، نراهم يتنكرون للثورة الوهابية لمجرد أنها رفعت لواء الاسلام » ٠٠ والحق أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خاطبت المسلمين أجمعين وان قامت بين مسلمى شبه الجزيرة بصفة أساسية بحكم وجود دعايتها فيها . وكان تأثيرها أقرب الى المسلمين العرب خارج شبه الجزيرة بحكم الجوار واللغة . وقد حملت الهدى والزهد والعزة للمسلمين والعرب بطبيعة الحال نتيجة لظروف قيامها لكنها لم تتجه يوما الى قصر الدعوة على العرب وحدهم أو حصرها فيهم . ويسير جلال كشك قدما فى مقالاته الأربع نحو اجتلاء الحقيقة وتجليتها (١) ، فيقول فى مقالته الأولى : « سيقول الذين فى قلوبهم مرض : ولكن جيش الزناة العصاة انتصر ، وهزم جيش المسلمين النقاة الذين أرادوا أن يعيدوا العرب الى عصر الطهارة الأولى - عصر المجاهدين المؤمنين

---

(١) نشرت بمجلة ( الحوادث ) اللبنانية على التوالي ابتداء من

المنتصرين الذين نشروا راية الاسلام وفي ظلها قام مجد العرب (١) . وهناك ألف سبب بالطبع للاتجاه الذى اتخذه التاريخ ، ولكن هل صحيح انتصر العصاة ؟ اسألوا التاريخ والتفتوا حولكم : ماذا بقى من الدولة العثمانية المنتصرة ، وماذا بقى من ( الوهابى ) الذى هزم ؟ لم يكن العصر العثمانى على الوهابيين الا الزبد الذى يذهب جفاء ، أما ما جاء به ( الوهابى ) فقد مكث فى الأرض يعطى ثمره كل حين « ٠٠٠ ثم يقول فى مقالته الأخيرة من تلك الدراسة تعليقا على كلام الجبرتى عن المجيء ( ببواقى الوهابية ) الى مصر : « ومعدرة يا شيخ المؤرخين ، ان الحركات العقائدية الصادقة ليس لها (بواقى) فهى لا تستأصل لأنها كامنة فى ضمير الأمة لا يمكن اقتلاعها مهما تعرضت لصنوف القهر والبطش بل سرعان ما تنبث من جديد ! ألم يقل العرب ( لم تر أبرك من بقية السيف ) ! وها هو التاريخ شاهد ، فكم بقى من آل سعود ، وكم بقى من آل السلطان محمود ، أو محمد على و ابراهيم وطوسون ؟؟ كلهم انقرضوا ، وسيبقى آل سعود كما قال مؤرخ غربى الى ما شاء الله ٠٠٠ ومن نسل تركى الذى هرب ليلا ستمتد الدوحة السعودية ، ومن الرياض ستنتقل حركة جديدة . ولو امتد العمر بالجبرتى حتى كتب الجزء الخامس (من تاريخه) لسجل عودة الوهابيين قبل انقضاء ستة أعوام الى الرياض ثم سيطرتهم على شرق الجزيرة « !!

ونستطيع أن نتبين كيف يسير الزمن لصالح الدعوة « السلفية » ، حين نتذكر أن مؤرخا وسياسيا مصريا كان أحد أقطاب الحزب الوطنى وصاحب كتاب ( تاريخ الحركة القومية ) الذى يضم عدة مجلدات ، وهو ينتمى لجيل سابق ويطلق عليه جلال كشك (أستاذنا) وهو عبدالرحمن الرافعى (٢) « لا شك لعبت كتاباته دورا خطيرا وسيئا للغاية فى تشويه طبيعة المواجهة بين محمد على والحركة الوهابية » - على حد قول الصحفى المعاصر . يقول فى المجلد الذى خصصه ل محمد على عن محمد بن عبد الوهاب ودعوته فقال : « دعا محمد بن عبد الوهاب

(١) يعنى الكاتب أن ( مجد العرب ) لم يرق تاريخيا الا بفضل الاسلام وعلى أساس هدايته وفى ظل حكمه ٠٠٠ وكل تطلعات العرب الى المجد على غير هدى الاسلام وانما كانت صيحات جوفاء وأضفان أحلام وأوهام السراب! (٢) توفى بمصر مؤخرا فى الستينات من هذا القرن الميلادى كما أذكر

الى الأخذ بتعاليمه (!) فنالت دعوته نجاحا بين أهل نجد ، وأخذ يكسب الأعوان والأنصار خلال عدة سنوات دون أن تأبه له الحكومة العثمانية . ولكن حدث يوما أن قدمت اليه امرأة متهمة بالزنا وثبتت عليها التهمة فأمر برجمها ٠٠٠٠ ولم تكن العقوبة مما تستسيغه النفوس (!! ) فأحدثت استياء شديدا ، وانتهى نياها الى حاكم الحسا الذى تمتد سلطته الى العينية فأرسل يتهدد الشيخ بالقتل اذا لم يرجع عن طريقته « ! وهكذا يتبين بجلاء - كما قرر جلال كشك بحق فى مقاله الأولى عن الوهابيين «ضعف معلوماته المؤلف عن الوهابية ، بل حتى ضعف معلوماته عن الاسلام ! ٠٠٠ وكأنه لم يسمع بهذه العقوبة ( عقوبة رجم الزانى والزانية والمحصنين ) من قبل ولا يعرف أنها من حدود الاسلام ، طبقت قبل محمد بن عبد الوهاب باثنى عشر قرنا ٠٠٠ ومن حقنا ، بل من واجبنا ، أن نأسف لأن هذه معلومات الرافعى فى الثلاثينات من القرن العشرين الميلادى - وقت نشر كتابه عن محمد على ) ، بالمقارنة مع معلومات سلفه العظيم الشيخ عبد الرحمن الجبرتى فى العقد الثانى من القرن التاسع عشر ( الميلادى ) ! فان قيل أن الرافعى كان يكتب فى ظل عضبة الملك فؤاد (١) على الوهابيين الذين عادوا فوجدوا الجزيرة فى مطلع القرن العشرين ٠٠٠ فهو عذر أقبح من ذنب الجهل ، لأن الجبرتى عارض وقال الحقيقة كاملة فى ظل استبداد محمد على ، بل وفى ظل حالة حرب كان يخوضها هذا المستبد » .

وانما كان عبد الرحمن الرافعى فيما قرره فى « تاريخ الحركة القومية » يتابع خطى زعيم الحزب الوطنى محمد فريد ( ت ١٣٣٨ هـ / ١٩١٩ م ) الذى خلف مصطفى كامل مؤسس الحزب ( ت ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م ) ، فقد كتب محمد فريد فى مؤلفه ( تاريخ الدولة العلية ) عن محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية « الوهابيون قوم من العرب اتبعوا طريقة (!) عبد الوهاب (!) وهو رجل ولد بالدرعية بأرض العرب من بلاد الحجاز (!) وكان من وقت صغره تظهر عليه النجابة وعلو الهمة » ثم ينقل محمد فريد بيانا للشيخ عن دعوته.

---

(١) هو أحمد فؤاد بن الخديوى اسماعيل تولى السلطة على مصر ١٣٣٩ هـ واتخذ لقب ( ملك ) ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٢ م وتوفى سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م وهو والد فاروق آخر حكام مصر من أسرة محمد على .

يذكر أنه نقله من كتاب ( الخطط الجديدة التوفيقية ) لعلى مبارك (١) ، يعقب بقوله : « ولما رأى السلطان محمود أنه من الضروري قمع هذه الفئة التى يخشى من امتدادها على تفريق كلمة الاسلام - الأمر الذى جعله الأوربيون مطمع أنظارهم للتمكن من خضم عرى اتحادهم وامتلاك بلادهم ، ولبعد ولايات الشام وبغداد عن مركز الفتنة (١) كلف محمد على باشا والى مصر ومؤسس عائلتها الخديوية بمحاربتها واسترجاع مكة المشرفة والمدينة المنورة من أيدي زعمائها وأرسل اليه فرمانا بذلك فى ذى القعدة سنة ١٢٢٢ هـ / الموافق ديسمبر سنة ١٨٠٧ م » . ثم يذكر محمد فريد « استئصال شأفة الوهابيين » فى نظره على يد ابراهيم بن محمد على الذى عاد لمصر فى ٢١ من صفر سنة ١٢٣٥ هـ / الموافق ١٠ من ديسمبر سنة ١٨١٩ م . وهكذا يرى محمد فريد خطر تفرق كلمة المسلمين فى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مما يتيح ثغرة للمطامع الأوربية الاستعمارية ، ولا يرى أن تخلف المسلمين وانحطاطهم ببقائهم على الخرافات والأوهام هو أكبر ثغرة يمكن أن تنفذ منها تلك المطامع وتستغلها لصالحها أكبر استغلال ! . . . . وقد ينبغى أن لا يغيب عن الأذهان موقف الحزب الوطنى من الدولة العثمانية ، ونهجه السياسى فى محاربة الاحتلال البريطانى بمصر بالاستناد الى الولاء للدولة العثمانية وتأكيد تبعية مصر الشرعية لها .

والكاتب الصحفى جلال كشك يقول أبناء فورة حماس فى الحلقة الأخيرة من دراسته عن الوهابيين « ولا أحد يستطيع أن يبالغ فى ضخامة التحول التاريخى الذى كان يمكن أن يتحقق لو قام تحالف بين محمد على والدولة السعودية المستقلة ضد السلطان عندما بدأ محمد على فتوحاته للشام » . وهو فى هذا على رأى المؤرخ المصرى المبرز محمد شفيق غربال (٢) . . . . ويبدو فى هذا الرأى تسوية بين الدولة السعودية بشبه الجزيرة ودولة محمد على بمصر وهى تسوية تهدر الأساس العقيدى الاسلامى للدولة الاسلامية والأساس

(١) مهندس مصرى تولى نظارة المعارف للخديوى اسماعيل بن ابراهيم ابن محمد على ( عزل اسماعيل ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٩ م وتوفى ١٣١٢ هـ / ١٨٩٥ م ) وكان لعلى مبارك جهوده فى اقامة القناطر الخيرية ودار العلوم ودار الكتب المصرية وغير ذلك . وقد توفى على مبارك سنة ١٣١٠ هـ / ١٨٩٣ م .

(٢) أنظر كتاب غربال : ( محمد على ) من سلسلة « أعلام الاسلام » التى أصدرتها دار احياء الكتب العربية بالقاهرة .

العلماني للدولة العلوية ، وتسوى بين الدولتين لمجرد أنهما دولتان ناشئتان أقيمتا بجهود ( عمامية ) من مؤسسيها !! ولو صحت التسوية لاستوت دول الأرض جميعا - اسلامية ونصرانية ويهودية ، وشيوعية ورأسمالية وغيرها - لمجرد أنها دول قامت ، أيا كان أساس قيام كل منها !! ٠٠٠ والحق أنه ما كان يمكن أن يقدم بحال مثل هذا التحالف والتناقض بين الدولتين على هذا النحو ٠٠٠ ولو كان عند الدولة السعودية السلفية قابلية للتحالف لأجل المصالح وبهدف تأمين الدولة الناشئة ولو تنكرت للأسس العقيدية التي قامت عليها لكان الأولى أن تبقى على تحلفها مع غالب شريف مكة وتغض الطرف عن مخالفاته الشرعية ومظالمه للرعية !! ٠٠٠ ثم ما الذى يبرز أن يتحالف السعوديون مع محمد على ضد السلطان العثماني ، وقد أقاموا دولتهم لتكون دولة اسلامية شرعية ، وتسوتوى فى نظرتها مخالفات الدولة العثمانية مع الدولة العلوية فى انحرافهما عن الحكم الشرعى الواجب ، وان كان لابد من تفضيل للتحالف فقد يبدو أسلم منطقا أن تؤثر التحالف مع الدولة العثمانية !! وانما يفكر فى ايثار تحالف السعوديين ومحمد على الذين يحلمون بالدولة القومية العربية ، وانما كان الشغل الشاغل للدولة السعودية الأولى هو الاسلام الصحيح !! وعلى كل حال ، فان الدولة العثمانية كانت هى التى بادرت الى اعلان العداء والحرب ، وجندت لذلك محمد على الذى وافقها على ما تريد لحاجات ومآرب ومصالح ومطامع !!

ويذكر الكاتب فى ختام دراسته أن « الشهادة واجبة ل محمد على والأمرء السعوديين الذين أدركوا فى السنوات الأخيرة أنهم كانوا جميعا ضحايا ( لعبة الأمم ) ، وأن الخطر البريطانى الزاحف يفرض عليهم الوحدة ونسيان الماضى ٠٠ فما أن أجبر محمد على بحكم المواجهة مع بريطانيا وروسيا فى الشام على تخفيف وجوده فى الجزيرة العربية حتى حرص على أن يتولى الأمير خالد ابن سعود حكم الحجاز ٠٠٠ فلما انسحب كليا بموجب معاهدة سنة ١٨٤٠ م حرص على دعم الوجود السعودى بالجزيرة فأطلق سراح الأمير فيصل بن تركى من سجنه بالقلعة فى القاهرة الى الحكم فى نجد ٠٠٠ فدخل الرياض فى ٢٢ مايو سنة ١٨٤٢ م ( ربيع ثان ١٢٥٩ هـ ) وبقي فى الحكم ٢٢ سنة » .

ومن الواضح أن ( محمد على ) لم يخفف ضغطه على السعوديين ويترك لهم فرصة للعودة الى الحكم بشبه الجزيرة العربية الا نتيجة اضطرار ، وقد



فعل ذلك تحقيقا لمصالحه السياسية لا اقتناعا بدعوتهم ومبادئهم ٠٠٠٠ ولم يكن إعادة الحق الى نصابه وارجاع المنفى والأسير الى بلدهما ليعنى حلفا من جانب العائد الى بلده المستعيد لحقه مع محمد على ، وما كان من المعقول أن يمتنع عن الرجوع الى بلده وحكمه حتى ينفى شبهة التحالف ٠٠٠٠ وتفسير كل شيء على أنه لعبة مطية استعمارية ينبغي ألا يعنى اعفاء المسئول عن الوزر والجرم ، والتسوية بين الجانى والمجنى عليه بدعوى انهما كانا معا ضحية « لعبة الأمم » !!

ولكن يبقى مع هذا كله ( جلال كشك ) صاحب هذه الدراسة ، عنوانا لاتجاه المثقفين المعاصرين نحو تصحيح المفاهيم السائدة وتفهم الدعوة السلفية والاقبال على عقيدة الاسلام الصحيحة كما جاء بها الكتاب والسنة وادراك حقائق التاريخ ورفض كل ما زيف به الاسلام وتاريخه !!

### تأثير الدعوة السلفية على علماء الدين والمفكرين المسلمين وعلى تعليم الدين فى المجتمعات المعاصرة :

يمكن اجمال عقيدة الاسلام كما أوضحته الدعوة السلفية بناء على ما جاء فى الكتاب والسنة فى أصلين كبيرين : اخلاص العبادة لله ، وتوحيده توحيد الربوبية بالاقرار له بالخلق والرزق وما اليهما وتوحيد الألوهية بافراده بالعبادة والطاعة - وهذا معنى شطر شهادة الاسلام « لا اله الا الله ، ثم اقباع ما جاء به رسول الاسلام صلوات الله عليه لعبادة الله وطاعته ، حتى يؤدي ذلك على هدى الكتاب والسنة وبناء على ما أمر به الذى نزل الكتاب المبين وبعث النبى صلى الله عليه وسلم نورا وأسوة ورحمة للعالمين دون مروق أو ابتداع - وهذا معنى الشطر الآخر من شهادة الاسلام « محمد رسول الله » صلوات الله عليه . وهذه العقيدة فى جلائها ورشدها كانت قد حجبتها ركام من الشوائب والأباطيل والضلالات خلال القرون ، فلما جلتها الدعوة السلفية للأبصار والبصائر ونفت عنها الأكدار ووصلت الناس بينابيعها الصافية الفياضة ، كان لذلك آثاره الجليلة على المتخصصين فى علوم الدين والمفكرين المسلمين كما كان له آثاره على المسلمين العاديين فى المجتمعات المعاصرة ، على الرغم من تصدى البعض منهم للدعوة السلفية ولا سيما حين صدمت الناس فى أول عهدهم بها بما هم عليه من باطل وما تغلغل فى مجتمعاتهم من أوهام وما توارثوه من ضلالات !!

وكان ممن تأثر بالدعوة السلفية من علماء الاسلام وآمن وعمل لها  
القاضي محمد بن علي الشوكاني باليمن المتوفى سنة ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م ، وهو  
لم يلتق بالشيخ محمد بن عبد الوهاب شخصيا لكن بلغته دعوته التي عمت  
شبه الجزيرة بل تجاوزتها الى غيرها من انحاء العالم الاسلامي . والشوكاني  
هو صاحب الكتاب الجليل النافع المعروف « نيل الأوطار » الذي شرح فيه  
كتاب « منتقى الأخبار » وهو كتاب جامع للكثير من أحاديث الأحكام التي  
انتقاها محمد الدين عبد السلام بن تيمية ( المتوفى سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م ) وهو  
جد الامام المشهور تقي الدين أحمد بن تيمية ، وله كتاب قيم في أصول الفقه  
أيضا هو « ارشاد الفحول الى تحقيق الحق في علم الأصول » الى جانب  
مؤلفات كثيرة أخرى ، منها « القول المفيد في حكم التقليد » . وقد اجتهد في  
استنباط الأحكام الشرعية من السنة في « نيل الأوطار » غير متقييد بمذهب  
فقهي ، وحارب التقليد ودعا الى الاجتهاد فنثار جدال عنيف بينه وبين معاصريه  
من العلماء ولا سيما في صنعاء . وقد ألح في الدعوة الى تصحيح العقيدة  
وترك البدع ولا سيما ما يفعله القبوريون والمتصوفة ، فهو يقول مثلا في « نيل  
الأوطار » :

« وكم سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاصد يبسكى  
لها الاسلام ( منها ) اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام ، وعظم ذلك  
فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر ، فجعلوها مقصدا لطلب قضاء  
الحوادث وملجأ لمنج المطالب ، وسألوا منها ما يسأل العباد من ربهم ، وشدوا  
اليها الرجال وتمسحوا واستغاثوا ، وبالجملة فانهم لم يدعوا شيئا مما كانت  
الجاهلية تفعله بالأصنام الا فعلوه ، فانا لله وانا اليه راجعون . ومع هذا  
الفكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف ،  
لا عالما ولا متعلما ولا أميرا ولا وزيرا ولا ملكا ! وقد توارد الينا من الأخبار  
ما لا يشك معه أن كثيرا من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم اذا توجهت عليه يمين  
من قبل خصمه حلف بالله فاجرا ، فاذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك ومعتقدك  
الولى الفلانى تلعمم وتلكأ وأبى واعترف بالحق ، وهذا من أبين الأدلة الدالة  
على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال انه تعالى ثانی اثنين وثالث ثلاثة !  
فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين ، أى رزء للاسلام أشد من الكفر ، وأى  
بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله ، وأى مصيبة يصاب بها المسلمون

تعدّل هذه المصيبة ، وأى منكر يجب انكار ان لم يكن انكار هذا الشرك .  
المبين ؟؟ !! « (١) »

وإذا كان صوت الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى قلب شبه الجزيرة قد وصل الى اليمن على هذه الدرجة من الوضوح والقوة ، وكان له مثل ذلك الأثر الفعال ، فكيف بصوت الشوكانى هناك ؟؟ ٠٠ لقد كان له دون شك دويه وأثره فى اقناع الكثيرين باليمن ٠٠٠ وفى مصر أشاد بالشوكانى الشيخ محمد عبده « هذا الشوكانى لما كسر قيود التقليد صار عالما وفقهيا » ! (٢) ٠



وفى مصر كان تأثر محمد عبده ( المتوفى سنة ١٢٢٣هـ / ١٩٠٥م ) بالدعوة السلفية واضحا ، وكان تأثر تلميذه محمد رشيد رضا ( المتوفى سنة ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م ) بهذه الدعوة أوضح وأقوى ٠٠٠٠ يقول رشيد رضا عن محمد عبده انه « كان أشعريا صوفيا ثم صار بالتدرج سلفيا » (٣) يقول محمد عبده أن أول ما عنى به ودعا اليه هو « تحرر الفكر من قيود التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع فى كسب معارفه الى ينابيعه الأولى ٠٠٠ » (٤) فقد هاجم محمد عبده البدع وما دخل على عقيدة الاسلام الصافية من فساد باسراء الأولياء وسكان القبور مع الله - على الرغم من نزعة صوفية كامنة فى أعماق الرجل أشار اليها تلميذه رشيد رضا كما سلف ، كما هاجم التقليد ودعا الى فتح باب الاجتهاد « ففى دروسه فى التفسير التى كان يلقيها فى الرواق العباسى بالأزهر ، كان ينتهز كل اشارة لآية ولو من بعيد تندد بالشرك فيفيض فى الحملة على عبادة الصالحين وزيارة القبور والشفاعة والتوسل وما الى ذلك ٠ فيطيل الوقوف

- 
- (١) الشوكانى : نيل الأوطار شرح منقى الأخبار - المطبعة الأميرية بالقاهرة - ج ٣ ص ١٢٤ ٠
- (٢) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام - طبعة دار المنار بالقاهرة - ص ٩٤٣
- (٣) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام - مطبعة المنار بالقاهرة ج ١ ص ٢٠ وما بعدها ٠
- (٤) أحمد أمين : زعماء الاصلاح - القاهرة سنة ١٩٦٥ م ص ٢٢٧ ٠

مثلا عند قوله تعالى ( ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله ، ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب ) ( البقرة/ ١٦٥ ) ، فيقسم الشيخ الأنداد الى قسمين . هؤلاء الشفعاء الذين اتخذهم الناس وسيلة للقرب من الله يستقضونهم فى الحوائج ، وهؤلاء الذين يقلدون فى الدين يتخذ قولهم شرعا من غير حجة ولا برهان . وتظهر فلسفته فى بيان الأضرار النفسية من هذه العقائد ، فهى تورث الذل وتخضع الناس للحكام الظالمين وتحط النفوس الى الدرك الأسفل ، ثم هى تضر اجتماعيا باعتماد الناس على هؤلاء الأولياء بتركهم القوانين الطبيعية التى جعلها الله أسبابا لآبى منها لحصول المسبب ، فالزراعة انما تنجح بالحرث والتسميد والبذور والسقى لا بالاستغاثة بولى ، والحرب انما تكسب باتخاذ سلاح مجهز على آخر طراز كسلاح العدو واعداد العدة الكاملة كما يفعل العدو لا بالاستعانة بأهل القبور ، وفضيلة السلم أن يستعين بعد ذلك كله بالله وحده يطلب منه أن يثبت قلبه ويلهمه التوفيق . وهكذا كان يفيض مفندا آراء من يقول بالتوسل والشفاعة ( التى نفاهاها الاسلام ) والتقليد . وينتهز فرصة وجود جماعة من العلماء عنده فى يوم مولد النبى ودعوته للعشاء عند أحد المحتفلين فيبين لهم أن هذه الموالد كلها منكرات ويتمنى لو أنفق ما يصرف فى الموالد على تعليم الفقراء ، ( ويمتنع ) الشيخ وحده ( عن العشاء ) . ويضع تفسيرا لجزء ( عم ) للناشئة غيلقى كل وسيلة للحملة على كل ما يشوب التوحيد من شرك بعبادة المشايخ والقبور والأضرحة . . . . . راجيا أن ينشأ الشباب نشأة دينية صحيحة خيرا مما عليه أبائهم » (١) .

وحين كان محمد عبده منفيا فى بيروت عقب الثورة العرابية وما انتهت اليه من الاحتلال البريطانى لمصر ، قام بالتدريس سنة ١٣٠٣هـ فى ( المدرسة السلطانية ) هناك حيث أملى على طلابه « رسالة التوحيد » ، وقد كان وقتها فوق الثلاثين بقليل ، وما يزال متأثرا بالنهج الأشعرى فى كتب التوحيد الا أن رسالته تحمل نبض الدعوة السلفية ، فهو يقول مثلا « الذى علينا اعتقاده أن الدين الاسلامى دين توحيد فى العقائد لا دين تفريق فى القواعد ، العقل من

(١) المرجع السابق ص ٢٤ .

أشد أعوانه والنقل من أقوى أركانه ، وما وراء ذلك فنزغات شياطين أو شهوات سلاطين ، والقرآن شاهد على كل بعمله قاض عليه فى صوابه وخلطه . . . . . ونهانا ( الكتاب عن التقليد بما حكى عن أحوال الأمم فى الأخذ بما عليه آباؤهم ، وتبشيع ما كانوا عليه من ذلك واستتباعه لهدم معتقاداتهم . . . . . فان التقليد كما يكون فى الحق يأتى فى الباطل ، وكما يكون فى النافع يحصل فى الضار ، فهو مضلة يعذر فيها الحيوان ولا تجمل بحال الانسان » ( ١ ) .

لكن يبدو واقتفاء محمد عبده للنهج الأشعرى فى دراسة التوحيد فى كلامه عن « أحكام الواجب » من القدم والبقاء ونفى التركيب ( ٢ ) .

والتدليل المنطقى على هذا وتطبيق هذه الصفات على « واجب الوجود » وهو الله سبحانه . ولم يكن هذا هو نهج السلف رضوان الله عليهم فى الكلام عن الله عز وجل وصفاته ، ويجلى ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فيقول فى رسالته لطوع المجمع « . . . ان مذهب الامام أحمد وغيره من السلف أنهم لا يتكلمون الا بما يتكلم الله به ورسوله ، فما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته رسوله أثبتوه - مثل الفوقية والاستواء والكلام والمجىء وغير ذلك ، وما نفاذ الله عن نفسه ونفاذ عنه رسوله نفوذ مثل المثل والند والمسمى وغير

( ١ ) محمد عبده : رسالة التوحيد بتحقيق محمود أبو رية - ط ٤ - دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٧١ م .

( ٢ ) المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٤ . وأنظر أيضا ما ذكره عن « خلق القرآن » وأنه قد انتصر له « جمع من خلفاء العباسيين وأمسك عن القول المتسكين بظواهر الكتاب والسنة أو المتعفين عن النطق بما فيه مجازاة البدعة ، وأهين من ذلك رجال من أهل العلم والتقوى وسفكت فيه دماء بغير حق ، وهكذا تعدى القوم حدود الدين باسم الدين » ص ٣١ ، وقد كتب محقق الكتاب فى الحاشية نقلا عن رشيد رضا : « التحقيق أن كلا القولين ( أى خلق القرآن وأزليته ) مبتدع لم يقل به أحد من الصحابة والتابعين » ويرى محمد عبده أن « آباء بعض الأئمة ان ينطبق بأن القرآن مخلوق كان منشؤه مجرده التحرج والمبالغة فى التأديب من بعضهم » ج ١١ ص ٥٦ ، ٥٧ ، وذكر محمد عبده للشيخ محمد محمود الشنقيطى « اننى خالفت فى هذه المسألة بخصوصها لأهميتها ولاشتباه كثير من الناس فيها » - تاريخ الأستاذ الامام ج ١ ص ٩٣ .

والاستدلال على شىء منه بالألفاظ الواردة ضعف فى العقل وتغريب بالشرع ، لأن استعمال اللغة لا ينحصر فى الحقيقة ، ولئن انحصر فيها فوضع اللغة ذلك ، وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله اثباته ونفيه مثل الجوهر والجسم والعرض والجهة وغير ذلك لا يثبتونه ولا ينفونه . . . . . والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم » (١) .

ومحمد عبده يرتئى التوقف فيما ورد فى القرآن من صفات الله ، بل كان يميل الى عدم أخذ الألفاظ بظاهرها ، يقول « فالذى يوجب علينا الايمان هو أن نعلم أنه موجود لا يشبه الكائنات ، أزلى أبدي (٢) حى عالم مرید قادر ، متفرد فى وجوب وجوده وفى كمال صفاته وفى صنع خلقه ، وأنه مثلكم سمیع بصير وما يتبع ذلك من الصفات التى جاء الشرع باطلاق أسمائها عليه . أما كون الصفات زائدة على الذات ، وكون الكلام صفة غير ما اشتمل عليه العلم من معانى الكتب السماوية ، وكون السمع والبصر غير العلم بالمسموعات والمبصرات - ونحو ذلك من الشئون التى اختلف عليها النظر وتفرقت فيها المذاهب ، فمما لا يجوز الخوض فيه اذ لا يمكن لعقول البشر أن تصل اليه . والاستدلال بشىء منه بالألفاظ الواردة ضعف بالعقل وتغريب بالشرع ، لأن استعمال اللغة لا تنحصر فى الحقيقة ، ولئن انحصر فيها فوضع اللغة لا تراعى فيه الوجودات بكنهها الحقيقى ، وانما تلك من مذاهب فلسفة ان لم يضل فيها أمثلهم فلم يهتد فيها فريق الى مقنع . فما علينا الا الوقوف عندما تبلغه عقولنا ، وأن نسأل الله أن يغفر لمن آمن به وبما جاء به رسله ممن تقدمنا من الخائضين » (٣) .

ويتناول محمد عبده ، أفعال العباد « ومسألة » كسب « العبد لأفعاله التى قال بها الأشاعرة مقابل « خلق الأفعال » عند المعتزلة فيقول « . . . . . فجاءت الشريعة الاسلامية بمحو ( الشرك الذى كان عليه الوثنيون ومن ماثلهم ) ورد الأمر فيما فوق القدرة البشرية والأسباب الكونية الى الله وحده ، وتفسير أمرين عظيمين هما ركنا السعادة وقوام الأعمال البشرية : الأول أن العبد

---

(١) مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب - القسم الخامس  
( الرسائل الشخصية ) ص ١٣٠ - ١٣١ .  
(٢) يؤثر السلف وتابعهم وأن يسمى الله بما سمي به نفسه ، فيقولون هو ( الأول والآخر ) بدلا من ( أزلى أبدي ) .  
(٣) رسالة التوحيد ص ٦٢ .

يكسب بارادته وقدرته ما هو وسيلة لسعادته ، والثانى أن قدرة الله هي مرجع لجميع الكائنات وأن من آثارها ما يحول بين العبد وبين انفاذ ما يريده وأن لا شيء سوى الله يمكن له أن يمد العبد بالمعونة فيما لم يبلغه كسبه . جاءت الشريعة لتقرير ذلك وتحريم أن يستعين العبد بأحد غير خالقه فى توفيقه الى اتمام عمله بعد احكام البصيرة فيه وتكليفه بأن يرفع همته الى استمداد العون منه وحده بعد أن يكون قد أفرغ ما عنده من الجهد فى تصحيح الفكر واجادة العمل ، ولا يسمح العقل ولا الدين لأحد أن يذهب الى غير ذلك . وهذا الذى قررناه قد اهتمدى اليه سلف الأمة فقاموا من الأعمال بما عجبت له الأمم « (١) » .

ثم يعرض محمد عبده لرسالة الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول : نادى فى الوثنيين بترك أوثانهم ونيز معبوداتهم ، وفى المشبهن بالمتطهر من تشبيهم ، وفى الثنوية بأفراد اله ولحد بالتصرف فى الأكوان ورد كل شيء فى الوجود اليه ، أهاب بالطبيعيين ليمدوا بصائرهم الى ما وراء حجاب الطبيعة يتنوروا سر الوجود الذى قامت به ، صاح بذوى الزعامة ليهبطوا الى مصاف العامة فى الاستكانة الى سلطان معبود واحد هو فاطر السموات والأرض والقباض على أرواحهم . . . . . تناول المنتحلين منهم لمرتبة التوسط بين العباد وبين ربهم الأعلى فبين لهم بالدليل وكشف لهم بنور الوحي أن نسبة أكبرهم الى الله كنسبة أصغر المعتقدين بهم ، مطالبهم بالنزول عما انتلوه لأنفسهم من المكائت الربانية الى أدنى سلم من العبودية والاشترك مع كل ذى نفس انسانية فى الاستعانة برب واحد يستوى جميع الخلق فى النسبة اليه لا يتفاوتون الا فيما فضل به بعضهم على بعض من علم وفضيلة ، وفخر بوعظه عبيد العادات وأسراء التقليد ليعتقوا أرواحهم مما استعبدوا به ،

(١) المرجع نفسه ص ٧١ - ٧٢ يشير محمد عبده فى آخر كلامه الى أن هذا كان ما تحول عليه امام الحرمين أبو المعالى عبد الملك بن أبى محمد عبد الله بن يوسف الجوينى المتوفى سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م ، وهو متكلم على مذهب الأشعرى وله نزعة صوفية ، له كتاب « الارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد » ، « الشامل فى أصول الدين » ، « لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة » ، « البرهان فى أصول الفقه » ، « نهاية المطلب فى دراية المذهب » ، وله « رسالة فى التقليد والاجتهاد » .

ما أودع فيه من المواهب الالهية ودعا الناس أجمعين ذكورا وأناثا عامة وسادة الى عرفان أنفسهم ٠٠٠٠ وأن الله عرض عليهم جميع ما بين أيديهم من الأكوان وسلطهم على فهمها والانتفاع بها بدون شرط ولا قيد الا الاعتسبال ويحلوا أغلالهم التي أخذت بأيديهم عن العمل ٠٠٠٠ ولغة كل انسان الى والوقوف عند حدود الشريعة العادلة ٠٠٠ « (١) »

ويذكر محمد عبده عن « الاسلام » أنه اجثت جذور الوثنية وما اليها ، « مما لو اختلف عنها فى الصورة والشكل أو العبادة واللفظ ، لم يختلف عنها فى المعنى والحقيقة . تبع هذا طهارة العقول من الأوهام الفاسدة التى تنفك عن تلك العقيدة الباطلة ثم تنزه النفوس عن الملكات السيئة التى كانت تلازم تلك الأوهام ، وتخلصت تلك الطهارة من الاختلاف فى المعبودية وعليهم وارتفع شأن الانسان بما صار اليه من الكرامة بحيث أصبح لا يخضع لأحد الا لخالق السموات وقاهر الناس أجمعين ، وأتيح لكل أحد بل فرض عليه أن يقول كما قال ابراهيم ( انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ) ٠٠٠٠ تجلت بذلك للانسان نفسه حرة كريمة ، وأطلقت ارادته من القيود التى كانت تعقدها بارادة غيره : سواء كانت ارادة بشرية ظن أنها شعبة من الارادة الالهية ، أو أنها هى كارادة الرؤساء والمسيطرين ، ارادة موهومة اخترعها الخيال كما يظن فى القبور والأحجار والأشجار والكواكب ونحوها ، وأمتكث عزمته من أسر الوسائط والشفعاء والمتكهنه والعرفاء وزعماء السيطرة على الأسرار ومنتحلى حق الولاية على أعمال العبد فيما بينه وبين الله الزاعمين أنهم واسطة النجاة وبأيديهم الاشقاء والاسعاد . وبالجملة فقد أعتقت روحه من العبودية للمحتالين والدجالين » . ص ص

الانسان بالتوحيد عبد الله خاصة ، حرا من العبودية لكل ما سواه ، فكان له من الحق ما للحر على الحر ، لا على فى الحق ولا وضيع ، ولا تفاوت بين الناس الا بتفاوت أعمالهم ، ولا يقربهم من الله الا طهارة العقل من دنس الوهم وخلوص العمل من العوج والرياء ٠٠٠٠ أنهى الاسلام على التقليد وحمل عليه حملة بددت فيالقه المتقلبة على النفوس واقتلعت أصوله الراسخة فى المدارك ونسفت ما كان له من دعائم وأركان من عقائد الأمم » . وتذكر حواشى الرسالة أن محمد عبده ذكر من دعائم التقليد فى درسه الشفهى : احترام



المرء لأبائه وأسلافه وشيوخه ومعلميه ، واعتقاد عظمة السابقين من رجال الدين ( ويقصد المنسوبين اليه من علماء وصالحين ) ، ثم الخوف من انكار الناس عن قول الحق « فمن لم يحترم نفسه ويمرنها على الأخذ بما يعتقد أنه الحق وان خالف الآباء والمعلمين والأحياء والأموات وغير المعصومين من الخطأ فلا يمكنه أن ينطلق من قيود التقليد » . كما تذكر الحواشى أن صاحب الرسالة بين مفاسد المنتسبين الى « الطرق الصوفية » واختلافهم عندما ذكر « الاختلاف فى المعبودين وعليهم » (١) .

ويقول فى صدد الكرامات أن البحث فى جواز وقوعها هو نوع من « البحث فى تناول همم النفوس البشرية وعلاقتها بالكون الكبير وفى مكان الأعمال الصالحة وارتقاء النفوس فى مقامات الكمال من العناية الالهية ، وهو بحث دقيق ٠٠٠ وأما محرر الجواز العقلى وأن صدور خارق للعادة على يد غير نبي مما تتناوله القدرة الالهية فلا أظن أنه موضوع نزاع يختلف عليه العقلاء . وإنما الذى يجب الالتفات اليه هو أن أهل السنة وغيرهم فى اتفاق على أنه لا يجب الاعتقاد بوقوع كرامة معينة على يد ولى لله معين بعد ظهور الاسلام ٠٠٠ ان هذا الأصل المجمع عليه مما يهذى به جمهور المسلمين فى هذه الأيام حيث يظنون أن الكرامات وخوارق العادات أصبحت من ضروب الصناعات تنافس فيها الأولياء وتتفاخر فيها همم الأصفياء وهو مما يتبرأ منه الله ودينه وأوليائه وأهل العلم أجمعون !

وكان محمد رشيد رضا أعلم بنهج السلف وأحرص على الالتزام من شيخه محمد عبده رحمه الله ، فقد عمد الى مزيد من العناية بالسنة فى تفسير القرآن بعد وفاة شيخه محمد عبده ، ولا يقنع ببيان الدلالة العمامة للآيات ومراميها الأخلاقية والاجتماعية . يقول رشيد رضا فى مفتتح الجزء الأول من « تفسير المنار » : « وانى لما استقلت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيراً لها أو فى حكمها » فقد اشتغل رشيد رضا بدراسة السنة ، وتبين أهميتها ومكانتها

(١) رسالة التوحيد ص ١٥٠ - ١٥٢ وانظر الهامشتين ص ١٥٠ ،

والحاجة إليها ، كذلك عنى فى تفسيره بالتوسع أيضا « فى تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية وفى الاكثار من شواهد الآيات وتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إليها أو حل بعض المشكلات » ، وهو فى بيان مسائل العقيدة تتضح سلفيته النقية التى لا تشوبها شائبة ، فهو يقول مثلا « الكافرون بآيات الله تعالى صنفان : صنف يكذبها كلها ولا يؤمن بشيء منها ، وصنف يشرك بالله غيره فيخله ما هو خاص به عز وجل لا يقدر عليه سواه ، بدعى أن الله تعالى هو الذى أعطاهم القدرة الغيبية على ذلك وصرّهم فى العالم كرامة لهم ، أى هو الذى أشركهم معه كما كان المشركون يقولون فى حجهم : لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك ، وانما يتحامون ألفاظ العبادة والشرك والخلق دون معانيها ، فيكذبون على الله تعالى وعليهم بما يكذبهم به كتابه المنزل ونبيه المرسل ٠٠٠ ان افساد هؤلاء الخرافيين للبشر فى دينهم وديناهم لأشد من افساد المنكرين للآيات المكذبين بها ، ذلك بأنهم هم أكبر اسباب الانكار والتكذيب بزعمهم أن الأنبياء ومن دونهم من الصالحين يتصرفون فى الخلق بما يخالف سنن الله تعالى فيه أو يبدلها بغيرها ويحولها عما وضعت له ، وزعمهم أن الله هو الذى دعا الناس الى هذا الاعتقاد وجعله أساس دينه ، فكذبوا بالدين من أساسه ٠ فدعى تصرف الأنبياء والصالحين فى الكون قول على الله بغير علم ، وهو أشد أنواع الكفر بالله لأن ضرره متعدد بما فيه من اضلال الناس باعتماد باطل تتبعه عبادة باطلة غير مشروعة ٠ أما الذين يشركون بالله فى عبادته بجهلهم لآياته وتقليد أمثالهم من الجاهلين فى خرافاتهم فلا علاج لهم الا تعليمهم توحيد الله الخالص فى ربوبيته وألوهيته بآيات القرآن دون نظريات كتب الكلام ، وتعليمهم وظائف الرسل وكونهم بشرا اختصهم الله بوحيه لتبليغ عبادة ما ارتضاه لهم من الدين بالقول والعمل ، وحصر اختصاصهم بالتعليم والارشاد تبشيرا وانذارا وتنفيذ أحكام شرعه فيهم بالعدل والمساواة ، ولم يؤتتهم من التصرف الفعلى فى خلقه ما يقدرون به على هداية أقرب الناس وأحبهم بالطبع كالوالد والولد والزوجة ومن دونهم من أولى القربى » (١) ٠

(١) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدى - المكتب الاسلامى : بيروت

وهو يقول عن « الكرامات » : « وإذا كان لا يجب على مسلم أن يؤمن بوقوع كرامة كونية خارقة للعادة بعد محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، فلا يفد مسلماً في دينه أن يعتقد كما يعتقد أثر عقلاء العلماء والحكماء من أن ما يدعيه الناس من الخوارق في جميع الأمم أكثره كذب وبعضه صناعة علم أو تأثير نفس أو شعوذة سحر ، وأقله من خواص الأرواح البشرية العالية وعلامته أن يكون علماً صحيحاً موافقاً للمفعول الشرعى والمعقول القطعى ، أو عملاً نافعاً مشروعاً ، وأن يكون من صدر عنه مؤمناً عاقلاً صالحاً . فكل ما ينقله المتصوفة مخالفاً لذلك من التصرف الضار بالناس في دينهم أو صحتهم . فهو - ان صح - من تأثير الأنفس الخبيثة » (١) .

ويقول في موضع آخر : « ..... ثم نكس المسلمون على رؤوسهم الا قليلا منهم واتبعوا سنن من قبلهم من أهل الكتاب وغيرهم في التقليد لأبائهم ومشايخهم المنسوبين الى بعض أئمة علمائهم والذين نهوهم عن التقليد ولم يأمروهم به ، فأبطلوا بذلك حجة الله تعالى على الأمم التى وكل الله دعوتها اليهم وصاروا حجة على دينهم ، فكيف يدعون اليه وحجته القــــرآن وهم يحرمون الاهتداء به ، حتى أن أدعياء العلم الرسمى ( أى أصحاب الشهادات من المعاهد الرسمية ) فيهم ينكرون أشد الانكار على من يدعونهم الى اتباع كتاب الله وهدى رسوله وسيرة السلف الصالح من أهله ، ونحن معهم فى بلاء وعناء نقاسى منهم ما شاء الجهل والجهد من استهزاء وطعن وايداء وتهكم بلقب ( المجتهد ) الذى احتكره الجهل لبعض المتقدمين من العلماء ..... وانما تروح البدع فى سوق التقليد الذى يتبع أهل كل ناعق ..... ونحن دعاء العلم الصحيح والاهتداء بالكتاب والسنة أحق منهم باتباع الأئمة ، ولا نعى بالاهتداء بالكتاب والسنة أن كلا منهم امام مجتهد مطلق كمالك والشافعى فهذه أعلى درجة فى العلم ، والعلم درجات كما قال الله عز وجل ، وقد كان يوجد فى السلف قبل تدوين المذاهب عوام وخواص كلهم يهتدون بهما ( أى بالكتاب والسنة ) . وصاحب ( النار ) قد وقف نفسه على الرد على جميع الملاحدة والبهائية والقاديانية والقبوريين وسائر مبتدعة عصرنا ، وهو لم

(١) المرجع السابق ص ٢٣١ .

يدع مذهباً له يدعو إليه ولم يخالف إجماع الأمة ولا فرق عنده بين الأئمة -  
ولله الحمد والمنة ، ( ٢ ) .

وتنتشر روح السلفية وريحانها من كل كلمة وعبارة مما سبق ، وكل  
كتابات محمد رشيد رضا فى ( المنار ) ومؤلفاته تشهد بفهمه السلفى الدقيق  
واخلاصه فى الدعوة الى تصحيح الاعتقاد بحيث يطابق ما فهمه السلف من  
الكتاب والسنة ، وكلامه عن التقليد يذكرنا بكلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب  
رحمهما الله تعالى حيث يقول « ولست والله الحمد أدعو الى مذهب صوفى  
أو فقيه أو متكلم أو امام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن  
كثير وغيرهم ، بل أدعو الى الله وحده لا شريك له وأدعو الى سنة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم التى أوصى بها أول أمته وآخرهم ، وأرجو أنى لا أرد  
الحق اذا اتانى بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه ان اتانا منكم كلمة من  
الحق لأقبلنها على الرأس والعين ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال  
أئمتى حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقول الا الحق . . . .  
والحاصل أن صورة المسألة : هل الواجب على كل مسلم أن يطلب علم ما أنزل  
الله على رسوله ولا يعذر أحد فى تركه البتة ؟ أم يجب عليه أن ينبع  
( التحفة ) ( ١ ) مثلاً ، فاعلم أن المتأخرين وسادتهم منهم ابن القيم قد أنكروا  
هذا غاية الإنكار وأنه تغيير لدين الله واستدلوا على ذلك بما يول وصفه من  
كتاب الله الواضح ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم البين لمن نور الله  
قلبه . والذين يجيزون ذلك أو يوجبونه يدلون بشبهه واهية لكن أكبر شبههم على  
الإطلاق أنا لسنا من أهل ذلك ولا نقدر عليه ، ولا يقدر عليه الا المجتهد ، وأنا  
وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثارهم مهتدون ، ولأهل العلم فى ابطال هذه  
الشبهة ما يحمل مجلداً ٠٠٠ وأما هذا الخيال الشيطانى الذى اصطاد به الناس  
أن من سلك هذا المسلك فقد نسب نفسه للاجتهد وترك الاقتداء بأهل العلم

( ٢ ) المرجع السابق ص ٢٥٣ - ٢٥٥ .

( ١ ) يقصد كتاب « تحفة المحتاج لشرح المنهاج » لأحمد بن حجر الهيثمى  
المتوفى سنة ٩٧٤هـ / ١٥٦٧م ، فقيه شافعى مصرى و « المنهاج » هو « منهاج  
الطالبين » فى الفقه الشافعى لمضى الدين يحيى بن شرف الدين النورى المتوفى  
سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م .

وزخرفه بأنواع الزخارف فليس هذا بكثير من الشيطان. وزخارفه ( يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ) ، فان الذى انا عليه وأدعوكم اليه هو فى الحقيقة الاقتداء بأهل العلم فانهم قد وصوا الناس بذلك ، ومن أشهرهم كلاما فى ذلك امامكم الشافعى قال : لا بد أن تحبط عنى ما يخالف الحديث فكل ما خالفه فأشهدكم أنى قد رجعت عنه ، وأيضا أنا فى مخالفتى هذا العالم لم أخالفه وحدى ٠٠٠ قلت : أنا لم أخالف الشافعى من غير امام أتبعته بل أتبعته من هو مثل الشافعى أو أعلم منه قد خالفه واستدل بالأحاديث ٠٠٠٠ واتبعته قول الله تعالى ( فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ) ٠٠٠٠ ولا خلاف بينى وبينكم أن أهل العلم اذا أجمعوا وجب اتباعهم ، وانما الشأن اذا اختلفوا هل يجب على أن أقبل الحق ممن جاء به وأرد المسألة الى الله والرسول مقتديا بأهل العلم أو أنتحل بعضهم من غير حجة وأزعم أن الصواب فى قوله ؟؟ فأنتم على هذا الثانى - وهو الذى ذمه الله وسماه شركا وهو اتخاذ العلماء أربابا ، وأنا على الأول أدعو اليه وأناظر عليه ٠٠٠٠ ، ( ١ ) .

ويذكر محمد رشيد رضا فى شأن ( الطرق الصوفية ) أنه « طالما فكر محبو الاصلاح من عقلاء المسلمين فى اصلاح شأن المنتمين الى الطرق الصوفية وانقاذهم من خيالاتها الفاسدة وبدعهم الفاضحة ، بل اخراجهم من جحر الضب الذى دخلوه وهم لا يشعرون ، فلم يهتد أحد الى ذلك سبيلا . ولما هاجرت الى مصر سنة ١٣١٥هـ كان أول اصلاح سعيت اليه أن حاولت اقناع شيخ مشايخ الطرق الصوفية ( الشيخ البكرى ) بالقيام بهذا الاصلاح ٠٠٠٠ ثم علمت بعد طول السعى أن ما حاولت من الاستعانة بهذه السلطة الرسمية على هذا الاصلاح الروحى يكاد يكون من محالات العادات !! وقد جرت المذاكرة مرة بينى وبين صديقى السيد عبد الرحمن الكواكبي وكان يرى أن اصلاح هذه الطرق أو الاصلاح من بابها محال ، فقلت : أرايت اذا اقنعنا بعض اخواننا الصادقين فى حب الاصلاح العالمين بطرق الارشاد بأن يكونوا شيوخا لهذه الطرق المشهورة - الا يستطيعون أن يقفوا بعامة أهل طريقتهم عند حدود

( ١ ) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب - القسم الخامس ( الرسائل

الشخصية ) ص ٢٥٢ - ٢٥٨ .

السنة ويربوا طائفة من المريدين تربية جديدة ؟ فقال : اننا جربنا ذلك فأقنعنا رجلا من أمثل هؤلاء الذين تعينهم بنحو مما ذكرت ، فكان عاقبة أمره معهم أن أفسدوه ولم يصلحهم ، فأنس بهذه الرياسة وآثرها فخرناها بها !! « (١) » .

وقد أسس محمد رشيد رضا مجلة ( المنار ) فكانت منبرا للدعوة الى تصحيح العقيدة والتزام تعاليم الشريعة الصحيحة وشنّت على البدع والخرافات والتقليد والتعصب للمذاهب حريا لا هوادة فيها ولا مداراة . ثم أسس رشيد رضا جمعية كانت تهدف الى تأسيس كلية تسمى « دار الدعوة والارشاد » لتخريج دعاة للاسلام يجوبون بلاد المسلمين والنصارى والثوثنيين يدعون للاسلام الصحيح : وتعرض محمد رشيد رضا للأذى والعنت فى سبيل ما آمن به وألح فى الدعوة اليه فما وهن ولا تراجع ، يقول رحمه الله : «توفى الأستاذ الامام رحمه الله اثر معارك من جهاده فى الاصلاح ما صلى نارها معه غيرى ، وحملت ما تصديت له من الضرر غير متململ ولا ضجر . . . . ثم كنت مهددا بعده بالنفى من هذه البلاد كما هددت فى آخر عهده . وقد وطنت نسى على النفى وعزمت على السفر الى الهند ولم أتحول عن خطى قيّد شعرة » وقد اتهم رحمه الله بالاتصال بالوهابية والدولة السعودية - وكان الاستنصار بأهل الحق تهمة واثما . ويذكر الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار أن « الامام محمد عبده كان يثنى على الوهابية فى دروسه . . . وكتب محمد رشيد رضا وهو علامة جليل فى مدح الوهابية وسخر مجلته ( المنار ) للوهابية وخدمة الوهابيين . ولم يكن لكل ما كتبه ولا لنشاطه أى أثر فى العقلية العربية من ناحية الوهابية بل لم يكن له أثر فى العالم العربى الا نادرا والا فرديا ، لأن سمعته كانت مشوهة فقد وصف بأنه أجبر للوهابيين كما زعموا » كما أن شيخه محمد عبده « لم يكن لرأيه غير أثر يسير لا يتجاوز محيط خواص تلاميذه » - فى رأى الأستاذ عطار ، « وسلك مجددون فى محيط خواص تلامذته » - فما رأى الأستاذ عطار ، « وسلك مجددون فى سورية وغيرها مسلك المصريين ، فكتب علامة الشام محمد كرد على بحثا عظيما بعنوان ( أصل الوهابية ) فى مجلة ( المقتطف ) سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠١م وأعاد نشره فى كتابه ( القديم والجديد ) المطبوع بمصر سنة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م

(١) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام ج ١ ص ١٢٩ - ١٣٠

..... وكتب غير محمد كرد على ، ولكن كان ما كتبوا محدودا ، فقرأؤهم بين الشباب قليل ..... (١)

وأنا أحسب أن ما ظنه الأديب السعودى أثرا محدودا إنما قصد به الأثر السريع القريب ، ومن شأن التحولات الفكرية أن تستغرق وقتا ، ولربما التهم ما كتبه مجمد رشيد رضا ومحمد كرد على وأمثالهما كثرة كاثرة من الأجيال التالية لزمن أولئك ما كانوا ليؤملوا أن يصل قراؤهم الى مثل عددهم ، ولربما انصرف عن قراءة هؤلاء فى زمنهم أناس لضعف روح التدين فى أفرادهم أو للمناخ البعيد عن التدين جملة الذى ساد فى وقت معين ، وليس لضعف بيان هؤلاء الكتاب أو حجتهم ..... كما شاعت بين الأجيال التالية بفضل دعاة السلفية المصلحين جزاهم الله خيرا كتب ابن تيمية وابن القيم والشوكانى وأمثالهم أثابهم الله وكتب لهم أجر كل من انتفع بعلمهم الى يوم القيامة ، لا ينقص ذلك من قدر أجور هؤلاء المنتفعين شيئا .



أما السيد عبد الرحمن الكواكبي المتوفى سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٢م صاحب كتابى ( أم القرى ) و ( طبائع الاستبداد ) فكان كما قال عنه صديقه محمد رشيد رضا بحق « كان يرى أن اصلاح الطرق ( الصوفية ) أو الاصلاح من بابها محال » !!

وللكواكبي كتاب صغير جليل ، لم يذع أمره الا أخيرا مع أن طبعته الأولى كانت فى حياة الكواكبي « عقب قدومه الى مصر » - كما يقول صديقه محمد رشيد رضا ، وهو يحدد لهذه الطبعة حوالى ١٣١٧هـ / ١٩٠٠م . هذا الكتاب هو « أم القرى » الذى جعله الكواكبي مضبطة لاجتماعات مؤتمر تصور عقده فى مكة المكرمة « مهد الهداية » كما وصفها ويضم المؤتمر « سراة الاسلام » وقد أسماه الكواكبي « مؤتمر النهضة الاسلامية » وجعل امانه سنة ١٣١٦هـ

(١) أحمد عبد الغفور عطار : محمد بن عبد الوهاب - ط ٣ بيروت سنة

١٩٧٢م ص ١٩٤ - ١٩٥ .

وهدفه دراسة « الأسباب الظاهرية للخلل الطارئ على المسلمين والضعف النازل بهم ٠٠٠٠ غير سر القدر الخفى عن البشر » . ويلاحظ أن المؤلف قد وجه « هذه المذكرات » الى من كان من « أمة الهداية » على حد تعبيره « أما اذا كنت من أمة التقليد وأسراء الأوهام ٠٠٠ فلم تطق تتبع المطالعة وتحكيم العقل

والنقل فى المقدمات والنتائج فأناشذك الاهمال الذى ألفناه وأن تطرح هذه المذكرات الى غيرك ليرى فيها رأيه » . وواضح أن التعبير « بأمة التقليد » يكشف عن تأصل الدعوة السلفية التى فى نفس الكاتب ، كما يكشف عن ذلك اختياره اسم « جمعية تعليم الموحدين » للجمعية التى ارتأى المؤتمرون اقامتها لتكون مؤسسة دائمة تعمل على معالجة علل ضعف المسلمين والمجال الذى اختارته لنشاطها هو التعليم والتثقيف بصفة خاصة ومركزها الرسمى « مكة المكرمة » وتمتد شعبها فى أنحاء العالم الاسلامى . كذلك فقد ذيل الكوكبى قرارات المؤتمر بقرار أخير يذكر أنه قد وجد « بعد البحث الدقيق والنظر العميق فى أحوال وخصال جميع الأقوام المسلمين الموجودين وخصائص مواقعهم والظروف المحيطة بهم واستعداداتهم أن لجزيرة العرب ولأهلها بالنظر الى السياسة الدينية مجموعة خصائص وخصال لم تتوفر فى غيرهم ، بناء عليه رأت الجمعية أن حفظ الحياة الدينية متعينة عليهم لا يتوهم فيها مقامهم غيرهم مطلقا ٠٠٠ » ، وحتى لا يكون فى هذا القرار شبهة تحيز ، فقد بسطت فى ذلك الذيل أسباب القرار وعددت ستة وعشرين سببا لذلك ، بعضها يتعلق بمركز الجزيرة بالنسبة لدعوة الاسلام وتاريخ الاسلام ، وبعضها يتعلق بموقع الجزيرة الجغرافى ، وبعضها يتعلق بسكانها ، وقد ورد فى السبب الثانى عشر « عرب الجزيرة لم يزل الدين عندهم حنيفيا سلفيا يعيدا عن التشديد والتشويش » ٠٠٠٠ ولهذا كله دلالاته التى لا تخفى فى ايمان الكوكبى بنهج السلفية فى تفهم الاسلام واقتناعه بأن أقرب من يكون اليه عرب الجزيرة ، وما وصلت الجزيرة لذلك الا بالدعوة السلفية .

وقد ذكر الكوكبى ضمن مناقشات الاجتماع الثانى للمؤتمر المنعقد فى « أم القرى » على لسان « المحقق المدنى » - ان أعطى المؤلف كل عضو فى المؤتمر الذى تصوره ( وصفا ) مميذا يشتمل على نسبته الى بلده بدلا من ذكر



أسمه (١) - قوله : « ان فقد الرابطة الدينية والوحدة الخلقية ان يكونا سببا للفتور ( أى الضعف ) للعلم ، بل لا بد لذلك من سبب أعم وأهم ٠٠٠ (و) الذى يجول فى فكرى أن الطامة من تشويش الدين والدنيا على العامة بسبب العلماء المندسين وغلاة المتصوفين الذين استولوا على الدين فضيعوه وضيعوا أهله ! وذلك أن الدين انما يعرف بالعلم ، والعلم يعرف بالعلماء العاملين ، وأعمال العلماء قيامهم فى الأمة مقام الأنبياء فى الهداية الى خير الدنيا والآخرة ٠٠٠ فبعض ضعيفى العلم وفاقدى العزم تطلعوا الى هذه المقلّة التى هى فوق طاقتهم ٠٠٠ ومن العادة أن يلجأ ضعيف العلم الى التصوف كما يلجأ فاقسد المجد الى الكيد وكما يلجأ قليل المال الى زينة اللباس والأثاث ٠ فصار هؤلاء المتعالمون يدلسون على المسلمين بتأويل القرآن بما لا يحتمله النظم الكريم ٠٠٠ ثم جاءوا الأمة بوراثة أسرار ادعوها وعلوم لدنيات ابتدعوها وتسمن مقامات اخترعوها ٠٠٠ وبالامعان نجدهم قد جاءوا مصداقا لما ورد فى الحديث الصحيح : ( لتبتعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع - وفى رواية : خدوا هذه بهذه - حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم ٠ قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ ) ٠ وذلك أن هؤلاء المدلسين اقتبسوا ما هنالك كله أو جله عن أصحاب التلمود وتفاسيرهم ، ومن الجامع المسكونية ومقرراتها ، ومن البابوية ووراثة السر ، ومن مضاهاة مقامات البطارقة والكريديالية ٠٠ ومظاهر القديسين وعجائبهم ٠٠ والرهبنة ٠٠ أى التظاهر بالفقر ورسوه ٠٠ ورجال الكهنوت ومراتبهم وتميزهم فى البستهم وشعورهم

(١) يقول الكوكبى فى مستهل بيانه لما جرى فى الاجتماع الأول أنه كان قد أعد للتوزيع على الأعضاء الاثنتين والعشرين - غير الكوكبى - أوراقا منها قائمة « اختصر فيها تراجم اخوان الجمعية جميعهم ببيان الاسم والنسبة والمذهب والمزية الخصوصية » ومن ذلك « السيد الفراتى » - وهو الكوكبى نفسه نظرا لأن الفرات يمر فى شمالى سورية وموطن الكواكبى حلب ، و « الفاضل الشومى » - والشام قد تطلق اطلاقا عاما على سوريا ولبنان وفلسطين جميعا وقد تطلق بوجه خاص على دمشق ، و « البليغ القدسى » ، و « العلامة المصرى » و « المحدث اليمنى » و « الحافظ البصرى » و « العالم النجدى » و « المحقق المدنى » و « الأستاذ المكى » و « الحكيم التونسى » و « المرشد الفاسى » و « السعيد الانكليزى » و « الرياضى الكردى » و « المجتهد التبريزى » و « المدقق التركى » ٠٠٠ الخ والاصناف الواردة فى هذه الأسماء الرمزية لها من دلالة ٠

٠٠ والبيع واحتفالاتها ، والتوبخات ووزنها ، والترقات واصولها ، واقامة  
 الكنائس على القبور وشد الرحال لزيارتها والاسراج عليها والخضوع لديها  
 وتعليق الآمال بسكانها ، وأخذوا التبرك بالآثار كالقدح والحرية من احترام  
 الذخيرة وقدسية العكاز ، وكذلك امرار اليد على الصدر عند ذكر الصانحين  
 من امرارها على الصدر لاشارة التصليب ، وانتزعوا ( الحقيقة ) من السر ،  
 و ( الخلافة ) ( أى تعيين خليفة الطريقة ) من الرسم ( أى رسم القسس فى  
 الكنيسة من قبل الأساقفة ) والسقيا من تناول القريان والولد ( مولد الشيخ )  
 من الميلاد ( ميلاد المسيح ) ، وحفلته من الأعياد ، ووضع الأعلام من حمل  
 الصليبان ٠٠٠ ووضع الاستهداء من نصوص الكتاب والسنة من حظر  
 الكهنة الكاثوليك قراءة الانجيل على غيرهم وسد اليهود باب الأخذ من  
 التوراة وتمسكهم بالتلمود - الى غير ذلك مما جاء به المدلسون تقليدا لهؤلاء  
 شبرا بشبر واقتفاء لأثرهم حجرا حجرا ٠٠٠ وقد فعل المدلسون ذلك سحرا  
 لعقول الجهلاء واختلا بالقلوب الضعفاء كالنساء وذوى الأهواء والأمراض  
 القلبية أو العصبية من العامة ، والأمراء اللينى القياد طبعاً الى الشرك ٠٠٠  
 ولأن التعبد باللهو واللعب أهون على النفس والطبع من القيام بتكليفات  
 الشرع ، كما وصف الله تعالى عبادة مشركى العرب ( وما كان صلاتهم عند  
 البيت الامكاء وتصدية ) ٠٠٠ وهؤلاء جعلوا عبادة الله تصفيقا وشهيقا  
 وخلاعة ونعيقا ٠ والحاصل أن بذلك وأمثاله نجح المدلسون فيما يقصدون ،  
 ولا سيما بدعوى فنة منهم الكرامة على الله والتصرف بالمقادير واستمالتهم  
 العامة بالزهد الكاذب والورع الباطل والتكشف الشيطانى ، وبتزيينهم لهم  
 رسوما تميل اليها النفوس الضعيفة الخاملة سموها آداب السلوك ، ما أنزل  
 الله بها من سلطان ولا عمل بها صحابى أو تابعى ، ظاهرها أدب وباطنها  
 تشريع وشرك ، وبجذبهم البله الجاهلين بتصعيب الدين من طريق العلم  
 والعمل بظاهر الشرع ، وتهوينه كل التهوين من طريق الاعتقاد بهم وأصحاب  
 القبور ٠ وقد تجاسروا على وضع أحاديث مكذوبة أشاعوها فى مؤلفاتهم ٠٠  
 وجلبوا الناس بالترهيب والترغيب ٠٠ ترهيباً بتهديدهم معاكسيهم أو مسيئى  
 الظن بهم باضرارهم فى أنفسهم وأولادهم وأموالهم ضرراً يتعجلهم فى دنياهم  
 قبل آخرتهم ، وقد قام لهؤلاء المدلسين أسواق فى بغداد ومصر والشام وتلمسان  
 قديماً ، ولكن لاكسوقها فى القسطنطينية منذ أربعة قرون الى الآن ٠٠ فهؤلاء  
 المدلسون قد نالوا بسحرهم نفوذا عظيماً به أفسدوا كثيراً من الدين ، وبه جعلوا

كثيرا من المدارس تكايا للبطالين الذين يشهدون لهم زورا بالكرامات المرهبة  
وبه حولوا كثيرا من الجوامع مجامع للبطالين ٠٠ وبه جعلوا زكاة الأمة  
ووصاياها رزقا لهم ، وبه جعلوا مداخيل أوقاف الملوك والأمراء عطايا  
لأتباعهم ٠٠٠ « (١) . وهكذا لم يجعل الكواكبي أقوال المتصوفة وأفعالهم  
مجرد ابتداء في الدين ، بل جعلها علاوة على ذلك مضاهاة للنصارى !! كذلك  
يذكر الكواكبي ضمن ضبط مناقشات الاجتماع الثالث على لسان « الرياضى  
الكردى » : « وكذلك نرى وعاظا مقتصرين على البحث فى النوافل والقربات  
المزيدة فى الدين ، ورواية الحكايات الاسرائيليات ، ومثهم المرشدون أهل  
الطرائق مقتصرون على حكايات نواذر الزهاد من صحيح وموضوع ، ورواية  
كرامات الأنجاب والنقباء والأبدال ، وعلى ضبط وزن التمايل وأصول  
الانشاء » !! (٢) .

ويكتب الكواكبي فى مضبطة الاجتماع الرابع على لسان « العالم  
النجدى » - واختيار العالم النجدى لهذا القول لا يخلو من دلالة : « ومن أهم  
قواعد ديننا أن نعتقد أن محمدا عليه السلام بلغ رسالته لم يترك ولم يكتب  
منها شيئا ٠٠٠ ومن أهم قواعد ديننا أيضا أنه محظور علينا أن نزيد على  
ما بلغنا إياه رسول الله أو ننقص منه أو نتصرف فيه بقولنا ، بل محتم علينا  
أن نتبع ما جاء به الصريح المحكم فى القرآن والواضح الثابت مما قاله الرسول  
أو فعله أو أقره وما أجمع عليه الصحابة ، ان أدركنا حكمة ذلك التشريع أو لم  
نقدر على ادراكها وأن نترك ما يتشابه به علينا من القرآن (٣) فنقول فيه (أما  
به ، كل من عند ربنا ) ( وما يعلم تأويله الا الله ٠٠٠ ويل البشر ، يغلب  
عليهم الاشرار بالله ، فيخصصونه تعالى شأنه بتدبير الأمور الكسبية والشئون  
العظام كالخليقة وتقسيم الأرزاق والآجال ، وكأنهم يجلبونه عن تدبير الأمور  
الجزئية ويتوهمون أن تحت أمره مقربين وأعوانا ووسطاء من ملائكة وجن

---

(١) الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي تحقيق محمد عمارة مع  
دراسة له عن حياة الكواكبي وآثاره - القاهرة ١٩٧٠ - القسم المتضمن كتاب  
الكواكبي « أم القرى » ص ١٦٠ - ١٦٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٣ .

(٣) يقصد الكواكبي ترك الخوض فى المتشابه لا ترك اعتقاده والايمان به .

وأرواح وبشر وحيوانات وشجر وحجر ، وأنه جعل لهم وللنواميس الكونية وللحالات النفسية من سحر وتوجه فكر دخلا وتأثيرا فى الأمور الجزئية ايقاعا أو منعا ، واعطاهم شيئا من القوة القدسية وعلم الغيب ! وتوهم هذا ناشئ عن قياسهم ملكوت ذى الجبروت على ادارة الملوك فى اختصاصهم بتدبير مهمات الأمور وتقويضهم ما دون ذلك للعمال والأعوان واستعانتهم بالأخصاء والخدام ٠٠٠ ومن تتبع تواريخ الأمم الغابرة وأفكار الأمم الحاضرة لا يستريب فيما قرناه أن آفة البشر الشرك ٠٠٠ وكفى بالقرآن بهانا ، فقد قال تعالى : ( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ) ، وقال تعالى : ( بل اياه تدعون ) . وقال تعالى : ( فلا تدعوا مع الله أحدا ) ، وقال تعالى : ( من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه ) - الى غير ذلك من الآيات البينات المثبتة أن زيغ البشر هو الاشراك من بعض الوجوه فقط لا الانكار واشراك المطلق ٠٠ فالناس سارعوا الاعراض عن ذكر الله الى ذكر من يتوهمون فيهم أنهم شركاء وأنداد الله ، فيعبدونهم - أى يعظمونهم - ويخضعون لهم ويدعونهم ويستمدون منهم ويرفعون حاجاتهم اليهم ويرجون عند ذكر أسمائهم الخير ويتوقعون من سخطهم الشر . وقد قال تعالى ( ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ) والله صادق الوعد نافذ الحكم ٠٠٠ انه جلت قدرته لا يرضى أن يشاركه فى ملكه احد كما قال تعالى ( ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضللا بعيدا ) ٠٠ وأصل معنى مادة الشرك لغة الخلط ، واستعمالا اسم للاشراك بالله ، وفى اصطلاح المؤمنين الاشراك بالله فى ( ذاته ) أو ( ملكه ) أو ( صفاته ) « (١) ٠٠٠ وهكذا أسفر الكواكبى عن اعتقاده عقيدة السلف كاملة غير منقوصة صريحة دون أى لبس ٠٠٠ بل انه يقول : « ومن المعلوم عندنا أن نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام لبث عشرة أعوام يقاسى الأهوال فى دعوته الناس الى التوحيد فقط ، وسمى أمته المرشحين وأنزل الله القرآن ربه فى التوحيد ، وتأسس دين الله على كلمة ( لا اله الا الله ) وجعلت أفضل الذكر لحكمة أن المسلم مهما رسخ فى الإيمان يبقى محتاجا الى نفس الشرك عن فكره احتياجا مستمرا وذلك لما قلناه من شدة ميل الانسان الى الشرك ولشدة التباسه عليه فنسال الله تعالى الحماية ٠٠٠

(١) المرجع السابق ص ١٨٨ - ١٩٣ .

نجد أن الله تعالى قال فى حق اليهود والنصارى ( اتخذوا اُحبارهم ورهبانهم  
 اربابا من دون الله ) مع أنه لم يوجد ( منهم ) من ادعى الماثلة ونازع الله  
 الخالقية أو الاحياء والامامة ٠٠٠ انما شاركوا الله تعالى فى التشريع المقدس  
 فقط فقالوا هذا حلال وهذا حرام فقبل منهم اتباعهم ذلك فوصفهم الله أنهم  
 اتخذوا اربابا من دون الله ، ونجد أيضا أن الله تعالى سمي قريشا مشركين مع  
 أنه وصفهم بقوله ( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ) أى  
 يخصصون الخالقية لله ، ووصف توسلهم بالأصنام الى الله بالعبادة فحاكى  
 عنهم قولهم ( ما نعبدهم والا ليقربونا الى الله زلفى ) . والمعظمة من المسلمين  
 يظنون أن هذه الدرجة التى هى التوسل ليست من العبادة ولا من الشرك  
 ويسمون المتوسل بهم وسائط ٠٠٠ ونجد أن الله تعالى قال ( فلا تدعوا مع الله  
 أحدا ) وأصل معنى الدعاء النداء ٠٠٠ والدليل الكاشف لهذا المعنى هو قوله  
 تعالى ( بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون ) ٠٠٠ وبما ذكر وغيره من الآيات  
 البينات جعل الله هذه الأعمال لقريش شركا به ، حتى صرح النبى صلى الله  
 عليه وسلم فى الحلف بغير الله أنه شركا ٠٠٠ فلينظر الآن : هل فشا فى  
 الاسلام شئ من هذه الأعمال وأشباهاها فى الصورة أو الحكم ؟؟ ومن لا تأخذه  
 فى الله لومة لائم لا يرى بدا من التصريح بأن حالة السواد الأعظم من أهل  
 القبلة فى غير جزيرة العرب تشبه حالة المشركين من كل الوجوه ، وأن الدين  
 عندهم عاد غريبا كما بدأ كشأن غيرهم من الأمم فمنهم الذين استبدلوا  
 بالأصنام القبور فبنوا عليها المساجد والمشاهد وأسرجوا لها وأرخوا عليها  
 الستور ، يطوفون حولها مقبلين مستلمين أركانها ، ويهتفون بأسماء سكانها فى  
 الشدائد ، ويذبحون عندها القرابين يهل بها عمدا لغير الله وينذرون لها الذور،  
 ويشدون للحج اليها الرحال ، ويعلقون بسكانها الآمال يستنزلون الرحمة  
 بذكرهم وعند قبورهم ويرجونهم بالحاح وخضوع ومراقبة وخشوع أن يتوسطوا  
 لهم فى قضاء الحاجات وقبول الدعوات ، وكل ذلك من الحب والتعظيم لغير  
 الله والخوف والرجاء من سواه ٠٠٠ ومنهم ناس يجتمعون لأجل العبادة بذكر  
 الله ذكرا مشويا بانشاد المدائح والمغالات بشعراء المتأخرين التى أهون ما فيها  
 الاطراء الذى نهانا عنه النبى عليه الصلاة والسلام حتى لنفسه الشريفة فقال :  
 ( لا تطرونى كما اطرت اليهود والنصارى انبياءهم ٠٠٠ ومنهم جماعة لم  
 يرضوا بالشرع المبين فابتدعوا احكاما سموها علم الباطن أو علم الحقيقة أو

علم التصوف - علما لم يعرف شيئا منه الصحابة والتابعون وأهل القرون الأولى المشهود لهم بالفضل فى الدين - علما نزعوا مسائل من تأويلات المتشابه من القرآن ٠٠٠ وانتزع هؤلاء المداخون أيضا بعض تلك المزيادات من مشكلات الأحاديث والآثار ٠٠٠ ومنهم فئة اخترعوا عبادات وقهريات لم يأت بها الإسلام فكان الله تعالى ترك لنا ديننا ناقصا فهم أكملوه ٠٠٠ أو كأن النبى عليه السلام لم يتم كما يزعمون تبليغ رسالته فهم أتموها لنا ، أو كتم شيئا من الدين وأسربه الى بعض أصحابه أبى بكر وعلى وبلال رضوان الله عنهم وهؤلاء أسروا به الى غيرهم وهكذا تسلسل حتى وصل اليهم فأفشوه لمن أرادوا من المؤمنين ! تعالى الله ورسوله عما يفتكون . وهل ليس من الكفر بإجماع الأمة اعتقاد أن النبى عليه السلام نقص التبليغ أو كتم أو أسر شيئا من الدين ؟؟ ومنهم جماعة اتخذوا دين الله لهوا ولعبا ، فجعلوا منه الغنى والرقص ونقر الدفوف ودق الطبول وليس الأخضر والأحمر واللعب بالنار والسلاح والعقارب والحيات يخذعون بذلك البسطاء ويسترهبون الحمقاء ٠٠ ومنهم قوم يعتبرون البلادة سلاحا والضمول خيرا والخيل خشوعا والصرع وصولا والهذيان عرفانا ، والجنون منتهى المراتب السبع للكمال !! ومنهم خلفاء كهنة العرب يدعون علم الغيب ٠٠ فهذه حالات السواد الأعظم من الأمة وكلها اما شرك صراح ، أو مظنات اشراك حكمها فى الحكمة الدينية حكم الشرك بالاشكال . وما جر الأمة الى هذه الحالات الجاهلية وبالتعبير الأصح رجع بها الى الشرك الأول الا الميل الطبيعى للشرك ، مع قلة علماء السدين وتهاون الموجودين فى الهدى والارشاد ٠٠٠ فالتبعة كل التبعة على العلماء الراشدين » (١) .

(١) المرجع السابق ص ١٩٤ - ٢٠٠ ويضيف الكوكبى على لسان الشيخ السندى فى الاجتماع السادس عن « صوفية الزمان الذين يهونون الدين كل التهوين » أنهم يقولون « ان العلم حجاب ، ويلمحة نفع الصالحة ، وبنظرة من المشد الكامل يصير الشقى وليا ، وبنفحة فى وجه المريد أو تقلة فى فمه تطيعه الأفعى وتخدمه العقرب وتدخل تحت أمره قوانين الطبيعة ٠٠٠ وان الولاية لا ينافيها ارتكاب الكبائر كلها الا الكذب ، وان الاعتقاد أولى من الانتقاد ، وان الاعتراض يوجب الحرمان ٠٠ الى غير ذلك من الأقوال المهونة للدين والأعمال التى تجعله نوعا من اللهو الذى تستأنس به نفوس الجاهلين » - المرجع السابق ص ٢٣٠ .

وهكذا يقدم الكواكبي صورة حية جليلة لبدع الشرك المعاصر ، أعطاها من تفاصيل الواقع ما جعلها صورة حقيقية ناطقة معبّرة ، - هي أبلغ في مخاطبة العقول والقلوب من أية تقارير نظرية جافة ، وقد كان هذا شأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حين ينعى على المسلمين ما تورطوا فيه من شرك ، فيسوق اليهم من وقائع حياتهم اليومية ما يبين ويقنع ويلزم الحجة كل ذى عقل سليم وفكر صحيح .

ثم نرى الكواكبي ينطق « المحدث اليمنى » فى الاجتماع الخامس بما يريد أن يوجه اليه قراءة فى شأن بدعة « التقليد » التقليد الفقهي ، بعد أن أفاض فى شأن بدع التصوف فى العبادة التى تجر الى الشرك والكفر . انه يقول : « العلماء عندنا لا يجسرون على أن يفتوا فى مسألة مطلقاً ما لم يذكروا معها دليلاً من الكتاب أو السنة أو الإجماع ، حتى ولو كان المستفتى أعجمياً أمياً لا يفهم ما الدليل ، وطريقتهم هذه هى طريقة الصحابة كافة والتابعين عامة والأئمة المجتهدين والفقهاء الأولين من أهل القرون الأربعة أجمعين ٠٠٠٠ فهذا الإمام مالك (١) رضى الله عنه يقول : ما من أحد الا وهو مأخوذ من كلامه ومردود عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠٠٠ وحكى فى ( اليواقيت والجواهر ) أن أبا حنيفة (٢) رضى الله عنه كان يقول : ( لا ينبغي لمن لا يعرف دليلى أن يأخذ بكلامى ) ٠٠٠٠ وروى الحاكم البيهقى أن الشافعى (٣) رضى الله عنه كان يقول : ( اذا صح الحديث فهو مذهبي ) ، وفى رواية : ( اذا رأيتم كلامى يخالف الحديث فاعملوا بالحديث وأضربوا بكلامى عرض الحائط ، وأنه قال يوماً للمزنى (٤) : ( يا ابراهيم لا تقلدنى فيما أقول وانظر

(١) هو الامام أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحى توفى سنة ١٧٩هـ / ٧٩٥م اضطلع بالتدريس فى المسجد النبوى فى ( المدينة المنورة ) وله ( الموطأ ) المعروف .

(٢) هو الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت توفى سنة ١٥٠هـ / ٧٦٧م اضطلع بالتدريس فى الكوفة .

(٣) هو الامام محمد بن ادريس الشافعى توفى سنة ٢٠٤هـ / ٨٢٠م وُلِدَ فى غزّة ونشأ فى مكة وتلقى من مالك وزار بغداد ثم قصد مصر وتوفى فيها وله « الرسالة » و « الأم » .

(٤) هو اسماعيل بن يحيى المزنى تلميذ الشافعى توفى بمصر سنة ٢٦٤هـ / ٨٧٨م .

فى ذلك لنفسك فانه دين ، وكان يقول : ( لا حجة فى قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ) ، ويروى عن أحمد بن حنبل (١) رضى الله عنه انه رأى بعضهم يكتب كلامه فانكر عليه وقال : ( تكتب رأيا لعلى أرجع عنه ) ! وكان يقول : ( ليس لأحد مع الله ورسوله كلام ) ! وقال لرجل : ( لا تقلدنى ، ولا تقلدنا لكما ولا الاوزاعى (٢) ولا أبا حنيفة ولا غيرهم ، وخذا الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة ) ، وأسس مذهبه على ترك التأويل والترقيع بالرأى واتباع الغير ٠٠٠ ونقل الثقات أن سفيان الثورى (٣) رضى الله عنه لما مرض مرض الموت دعا بكتبه فأغرقها جميعا ٠ وروى عن أبى يوسف وزفر (٤) رحمها الله تعالى أنهما كانا يقولان : لا يحل لأحد أن يفتى بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا ٠٠٠٠ نعم لم يبق فى الامكان أن يأتى الزمان بأمثال ابن عمر وابن عباس أو النخعى وداود وسفيان ومالك وزيير (٥) وجعفر (٦) أما النعمان والشافعى أو أحمد والبخارى رضى الله عنهم أجمعين ، ولكن متى كلف الله عباده بدين لا يفقهه الا أمثال هؤلاء النوابغ العظام ؟ أليس أساس ديننا القرآن وقد قال الله تعالى عنه فيه ( انا جعلناه قرآنا عربيا لعلمكم تعقلون ) ، وقال تعالى ( كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا ) ، وقال تعالى ( ولقد

- 
- (١) هو الامام أحمد بن حنبل المحدث الفقيه توفى سنة ٢٤١هـ / ٨٥٥م وهو صاحب « المسند » المشهور فى الحديث ، ولد وتوفى فى بغداد ٠
- (٢) هو الامام عبد الرحمن الأوزاعى المتوفى سنة ١٥٧هـ / ٧٧٤م ولد فى بعلبك ، وهو أقرب الى أهل الحديث كما يدل المنقول عنه ٠
- (٣) هو الامام عبد الله سفيان الثورى المحدث المجتهد الزاهد ولد بالكوفة وتوفى فى البصرة سنة ١٦١هـ / ٧٧٨م ٠
- (٤) من أتباع أبى حنيفة وأن خالفاه فى بعض المسائل ، وأبو يوسف هو يعقوب بن ابراهيم ولد بالكوفة وتوفى فى بغداد سنة ١٨٢هـ / ٧٩٨م ، وزفر ابن الهذيل توفى سنة ١٥٨هـ / ٧٧٥م ٠
- (٥) هو ابراهيم بن زيير النخعى من فقهاء الكوفة وأشهر تلاميذه حماد ابن أبى سليمان شيخ أبى حنيفة ٠
- (٦) هو الامام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب المتوفى سنة ١٢٢هـ / ٧٤٠م واليه ينسب المذهب الزييرى المعروف ٠
- (٧) هو الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب توفى سنة ١٤٨هـ / ٧٦٥م ٠



أنزلنا اليك آيات بينات ) ، وقال تعالى ( أفلا يتدبرون القرآن ) ، فما معنى دعوى العجز والتمثل حين قالوا ( قلوبنا غلف ) حمانا الله تعالى ٠٠٠ الأئمة المجتهدون والفقهاء الأولون علمونا طرائق الاستهداء والاجتهاد والاستنباط والتخريج والتفريع وقياس النظرير ٠٠٠ وما أحد منهم دعانا الى الاقتداء به مطلقا « (١) » .



فإذا ما انتقلنا الى جيل من المفكرين المسلمين أحدث عهدا وأقرب الى زمننا ، وجدنا أحمد أمين الكاتب المصرى الذى تخرج من مدرسة القضاء الشرعى واضطلع بالتدريس فى كلية الآداب بجامعة القاهرة وارتقى عمادتها وتوفى سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م بعد أن أخرج موسوعة معروفة فى تاريخ الفكر الاسلامى هى « فجر الاسلام » « وضحاها » « وظهره » ٠٠ وقد ألف كتابا عن زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ٠٠٠ وضع فى صدر كتابه فصلا عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهو يهش لدعوته ويقول فى أولى صفحات هذا الفصل : « ٠٠٠ وأهم مسألة شغلت ذهنه - ذهن الشيخ - فى درسه ورحلاته هى مسألة التوحيد التى هى عماد الاسلام ، والتى تبلورت فى ( لا اله الا الله ) والتى تميز الاسلام بها عما عداه ٠٠٠ ومن أجل هذا سمي هو وأتباعه أنفسهم ( بالموحدين ) ، أما اسم ( الوهابية ) فهذا اسم أطلقه عليه خصومهم واستعمله الأوربيون ثم جرى على الألسن ، وقد رأى أثناء اقامته فى الحجاز ورحلاته أن هذا التوحيد الذى هو مزية الاسلام الكبرى قد ضاع ودخله كثير من الفساد . فالتوحيد أساسه الاعتقاد بأن الله وحده هو خالق هذا العالم والمسيطر عليه وواضع قوانينه التى يسير عليها والمشرع له ، وليس فى الخلق من يشاركه فى خلقه ولا فى حكمه ولا من يعينه على تصريف أموره لأنه تعالى ليس فى حاجة الى عون أحد مهما كان من المقربين اليه ، هو الذى بيده الحكم وحده وهو الذى بيده النفع والضرر وحده لا شريك له ، فمعنى لا اله الا الله : ليس فى الوجود ذو سلطة حقيقية تسيير العالم وفقا لما وضع من قوانين الا

( ١ ) هو الامام الحافظ محمد بن اسماعيل البخارى وتوفى فى حرتك من أعمال سمرقند سنة ٤٥٦هـ / ١٧٠م .

هو ، وليس فى الوجود من يستحق العبادة والتعظيم الا هو ، وهذا هو محور القرآن ٠٠٠٠ اذن فما بال العالم الاسلامى يعدل عن هذا التوحيد المطلق الخالص من كل شائبة الى أن يشرك مع الله كثيرا من خلقه ، فهؤلاء الأولياء يحج اليهم وتقدم لهم النذور ويعتقد أنهم قادرون على النفع والضرر ، وهذه الأضرحة لا عداد لها تقام فى جميع أقطاره يشد الناس اليها رحالهم ويتمسحون بها ويتذللون لها ويطلبون منها جلب الخير لهم ودفع الشر عنهم ٠٠٠٠ ، وحين يذكر الكاتب ما كان من أمر « النخلة » فى منقوحة باليمامة التى كان يعتقد الناس فى قدرتها على تزويج العوانس ، و « الغار » فى الدرعية التى يحج الناس اليها للتبرك ، يذكر أمثال ذلك فى مصر من « شجرة الحنفى » التى يتبرك بها ، الى « نعل الكلشنى » وهى نعل قديمة فى تكية الكلشنى يتداوى الناس من العشق بالماء يضعونه فيها ويشربونه ، و « بوابة المتولى » التى تعلق بها الشعور والخيوط لينال الخير من علقها ٠٠٠٠ وهكذا ، فان الشجا يبعث الشجا ، والهم يثير الهم . يقول الكاتب « انها تصد الناس عن الله الواحد وتشرك معه غيره وتسىء الى النفوس وتجعلها وضيفة ممزقة ٠٠٠٠ وأساس آخر يتصل بهذا التوحيد كان يفكر فيه محمد بن عبد الوهاب وهو أن الله وحده هو مشرع العقائد وهو وحده الذى يحلل ويحرم فليس كلام أحد حجة فى الدين الا كلام الله وسيد المرسلين ٠٠٠٠ وهكذا اشغلت ذهنه فكرة التوحيد فى العقيدة مجردة من كل شريك ، وفكرة التوحيد فى التشريع فلا مصدر الا الكتاب والسنة ، هذا هو أساس دعوة محمد بن عبد الوهاب ٠٠٠٠ ثم يقول بالنسبة لما جاء على هذا الأساس « فكانت دعوة محمد بن عبد الوهاب حربا على كل ما ابتدع بعد الاسلام الأول من عادات وتقاليد ، فلا اجتماع لقراءة مولد ، ولا احتفاء بزيارة قبور ، ولا خروج للنساء وراء الجنازة ، ولا اقامة أنكار يغنى فيها ويرقص ، ولا محمل يتبرك به ويتمسح ٠٠٠٠ كل هذا مخالف للإسلام الصحيح يجب أن يزال ٠٠٠٠ والكتب المملوءة بالتوسلات ضارة بالعقائد كدلائل الخيرات وما فى البردة ٠٠٠٠ لقد كان محمد بن عبد الوهاب ومن نحا نحوه يرون أن ضعف المسلمين اليوم وسقوط نفسهم ليس له من سبب الا العقيدة ٠٠٠٠ وكانت لا اله الا الله معناها السمو بالنفس عن الأحجار والأوثان وعبادة العظماء ، وعدم الخوف من الموت فى سبيل الحق ،

ومن استنكار المنكر والأمر بالمعروف مهما تبع ذلك من عذاب ٠٠٠٠ ثم لم يتغير شيء إلا العقيدة فتدنوا من سمو التوحيد الى حضيض الشرك ، فتعددت آلهتهم من حجر وشجر وأعواد خشب وقبور وأولياء ، وركنوا الى ذلك فى حياتهم العامة فالزرع ينجح لرضا ولى ويخيب لغضبه ، والبقرة تحيا اذا نذرت للسيد البدوى أو مثله وتموت اذا لم تنذر ، وهكذا فى الأمراض والعلل والغنى والفقير ! ٠٠٠ ولا يصلح آخر الاسلام الا بما صلح به اوله ٠ ويذكر أحمد أمين أن دعوة الشيخ حيثما سادت « قلت السرقة والفجور وشرب الخمرور وأمن الطريق وما الى ذلك » ، كما يرى « ان الدعاية التى أحكمت ضدها ، وتعلق الناس بالدولة العثمانية ٠٠٠ » هما ولذان اثرا على رأى عامة الناس فيها « ولو لم يفهموا جوهر الدعوة » ، ومن دوافع الناس الى الحكم الخاطيء على تلك الدعوة فى رأى الكاتب انها « حيث استولت على بلد نفذت تعاليمها بالقوة ولم تنتظر حتى يؤمن الناس بدعوتها ٠٠٠ » ونسى أن ثمة أمورا ترسخت بالعامة ومرور الزمن لا يقلع الناس عنها فى يسر ولا يقتنع غالبيتهم بالحجة والموعظة بل لا بد من عمل حاسم سريع مهما كان مصادما لما توارثه الناس وألفوه ، بل ان فى هذه الصدمة وحدها قد يكون الشفاء بالنسبة لعامة الناس ٠ ولكن أحمد أمين ان كان له ذلك الرأى بالنسبة « لسياسة » الدعوة فان رأيه فى موضوعها أن الوهابيين ( مع أنه اعتبر هذه التسمية مرجعها خصومهم ) لم يعبأوا الا بإزالة البدع والرجوع بالدين الى أصله ٠ كذلك ارتأى أحمد أمين « أن محمد بن عبد الوهاب لم ينظر الى المدنية الحديثة وموقف المسلمين منها ، ولم يتجه فى اصلاحه الى الحياة المادية كما فعل معاصره محمد على » ، ويغفل الكاتب عن أن القياس مع الفارق وأن لكل مقام مقالا ، وأن الحاجات المادية لمجتمع ابن عبد الوهاب فى زمنه كانت محدودة ، وعدد سكان شبه الجزيرة كان محدودا ، وأن ترتيب أولويات الاصلاح يختلف حسب ظروف الواقع من جهة ، كما أن اصلاح العقيدة هو الأساس المتين لكل اصلاح آخر من جهة أخرى ، كذلك فان تتابع الأحداث على الدولة السعودية الأولى وحشد الدولة العثمانية القوى لحربها لم يمكنها من الاستقرار ومعالجة الاصلاح المادى فى مختلف جوانبه ، وحسبها عنايتها بتأمين الطرق ورفع المغارم والمظالم وتحقيق سعة الأقوات ورخص الأسعار كما شهد الجبرتى وغيره ، على أن أحمد أمين يحاول قدر طاقته ألا يكون متجنبا على الشيخ فهو يعقب على مقارنته بين الشيخ ومحمد على « فعنده أن العقيدة والروح هما

الأساس وهما القلب ان صلحا صلح كل شيء وان فسدا فسسد كل شيء ، وطبيعى أن يكون هذا هو الفرق بين رئيس الدين فى نجد ورئيس الحكم فى مصر ، ٠٠٠ وهو بطبيعة الحال لم يتصد لتقويم الاصلاح المادى لمحمد على فى مصر كما تصدى لتقويم الاصلاح الدينى لمحمد بن عبد الوهاب فى شبه الجزيرة ، فهو لم يؤرخ فى كتابه لمحمد على ، ولعله شاء أن يجنب نفسه مزالقي الفكر مع حكام مصر وقتذاك . ويذكر أحمد أمين أخيرا عن الحكومة السعودية المعاصرة أنها « اختطت لنفسها طريقا وسطا وشاقا بين القوتين ( قوة رجال الدين فى نجد ، وقوة التيار المدنى - على حد تعبير أحمد أمين ) ٠٠٠ وبدأت تنشر التعليم المدنى بجانب التعليم الدينى وتنظم الادارة الحكومية على شيء من النمط الحديث » (١) .

ولا يذكر أحمد أمين هنا أن « التيار المدنى » الذى يعنيه ليس تيارا بعيدا عن الدين متكررا له ، وأن الافادة من منجزات الحضارة هو من الحكمة التى انى وجدها المؤمن فهو أحق الناس بها - كما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، والحق أنه أخطأ فى تسميته هذا التيار « بالمدنى » وكان المدينة فى جانب والدين فى جانب ، ونفس الملاحظة تقوم بالنسبة لما ذكره أحمد أمين عن « التعليم المدنى » ، فتراث المفكرين والعلماء المسلمين حافل بمنجزاتهم ومؤلفاتهم فى الرياضيات وبخاصة الجبر والهندسة وحساب المثلثات وفى الفلك وفى الفيزياء والكيمياء والنبات والحيوان وفى الطب والجراحة والصيدلة ، وما الى ذلك . كذلك فان المسلمين ما فتئوا حريصين على تنظيم ادارتهم الحكومية منذ الدولة الاسلامية الاولى ، ولطالما أخذوا انفسهم بالتماس أسباب القوة لادارتهم وجيشهم باقتباس ما لا يتعارض مع دينهم عند غيرهم ، وليس استخدام « المنجنيق » و « الدبابة » و « الضببور » و « الكبش » و « النفط » فى ميدان الحرب ، وتنظيم « الديوان » و « الخراج » فى مجال الادارة الى عناوين ومؤشرات على طريق طويل سلكه المسلمون السابقون لاقامة صرح شامخ للحضارة الأصيلة المتكاملة الزاهدة .



(١) أحمد أمين : زعماء الاصلاح ص ١٠ - ٢١ .

والكاتب المصرى الآخر الذى عاصر أحمد أمين وعرف بكتاباتة عن « عبقریات » اعلام الاسلام وبغيرها من دراساته الاسلامیة فضلا عن شعره وهو : عباس محمود العقاد المتوفى سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م يبدو متعاطفا مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بل انه ممن يرى أن مصادماتها ومصادمة أعدائها لها كان مما أعان على انتشار خبرها بين الناس ، يقول فى كتابه « الاسلام فى القرن العشرين » : « النهضة فى مصر بدأت عند أوائل القرن التاسع عشر ( الميلادى ) ، ولكنها بدأت فى الجزيرة العربية قبل ذلك بنحو ستين سنة بالدعوة الوهابية التى تنسب للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وبدأت نحو هذا الوقت فى اليمن بدعوة الامام الشوكانى صاحب كتاب ( نيل الأوطار ) وكلاهما ينادى بالاصلاح على نهج واحد وهو العود الى السنن القديم ورفض البدع والمستحدثات فى غير هوادة . وانما تسامع الناس بحركة الشيخ محمد ابن عبد الرهاب وظلت الدعوة الشوكانية مقصورة على قراءة الفقه والحديث لأن الوهابيين اصطدموا بجنود الدولة العثمانية ٠٠٠ ولم تذهب صيحة ابن عبد الوهاب عبثا فى الجزيرة العربية ولا فى أرجاء العالم الإسلامى من مشرقه الى مغربه ، فقد تبعه كثير من الحجاج وزوار الحجار وسرت تعاليمه الى الهند والعراق والسودان وغيرهما من الأقطار النائية ، وأعجب المسلمين أن سمعوا أن علة الهزائم التى تعاقبت عليهم انما هى فى ترك الدين لا فى الدين نفسه ، وأنهم خلقاء أن يستجدوا ما فاتهم من القوة والمنعة باجتتاب البدع والعودة الى دين السلفى الصالح فى جوهره ولبابه » (١) .

وقد ينم كلام العقاد عن أن نجاح الدعوة السلفية هو فى استهوائتها الناس بما أعجبهم وأرضاهم عن دينهم وسهل أمامهم سبيل العودة الى مجدهم بالعودة الى دينهم وتجنب البدع والمحدثات ، لكن العقاد قد أكد صراحة فى كتبه المتعددة أن عقيدة التوحيد الخالص لله هى أساس الاسلام ، وأن هذا التوحيد هو الذى يكفل للمسلمين نقاء الفكر وقوة النفس . كذلك فان العقاد قد ذكر فى معرض كلامه أن « الوهابيين اصطدموا بجنود الدولة العثمانية فى ابان حربها مع الدول الأوروبية التى اتفقت على تقسيمها ٠٠٠ » ، فهل أراد العقاد أن يحمل أنصار الدعوة السلفية اثما فى حرب العثمانيين أثناء

(١) العقاد : الاسلام فى القرن العشرين حاضره ومستقبله - القاهرة -

مواجهتهم أعداء المسلمين من المستعمرين الأوربيين ؟ وهل خفى على مثل هؤلاء العقاد فى سعة قراءاته واطلاعاته حقائق التاريخ فى ان الدولة العثمانية هى التى أرادت أن تبادر الى استخدام القوة مع انصار هذه « الدعوة » مخافة ما قد يتعرض له حكمها فى شبه الجزيرة وما جاورها من بلدان كانت تحت نفوذها ؟؟



على ان الكاتب الباحث السعودى احمد عبد الغفور عطار يشهد لكاتب ومفكر مصرى آخر بأثره الكبير على قرائه عندما أبدى اقتناعه بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . يقول « كنت طالبا فى المعهد العلمى السعودى بمكة حرسها الله وكانت مؤلفات شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب وفقه الحنابلة من علومنا التى تدرس ، ولم يكن بيننا وبين الوهابية تعاطف . . . ولم نكن نقتنع بما يقوله ( أساتذتنا ) فى تبرئتها . وكانت مجلات مصر تهاجم الوهابية وتتجنى عليها ، واذا مقال لطف حسين ينشر فى مجلة ( الهلال ) عدد مارس سنة ١٩٣٣ م / ذى الحجة ١٣٥١ هـ بعنوان ( الحياة الأدبية فى جزيرة العرب ) يحدث تحولا خطيرا فى أفكار الشباب العربى بالنسبة للوهابية والشيخ محمد ابن عبد الوهاب . . . . وكنا قرأنا ما كتبه محمد كرد على وغيره فلم نتأثر نحن الذين اطلعنا على ما كتبوا الا يسيرا . . . وهؤلاء الكتاب لم يكونوا متمتعين بمكانة طه . . . . ولم يكن طه على وفئاق مع الأزهر والأزهريين المتعصبين ولم يقبل آراءهم فى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بل درس مؤلفاته ورسائله وما أحدثت دعوته من أثر قوى مشهود فى العقلية العربية والاسلامية دراسة حرة مجردة عن الهوى فاستبان له الحق فكتب عن الوهابية كتابة عادلة منصفة . وما أشك ان طه حسين أثر فى شباب العرب الذين يمشقون الأدب والعلم ، وفى المتأدبين والمثقفين ثقافة عصرية ، دون غيره أو أكثر من غيره ممن كتبوا فى الوهابية وأنصفوها انصافة . . . » وينقل احمد عبد الغفور عطار من مقال طه حسين فقرات منها « ان الباحث عن الحياة العقلية الأدبية فى جزيرة العرب لا يستطيع أن يهمل حركة عنيفة نشأت فيها اثناء القرن الثامن عشر ( الميلادى ) فلفتت اليها العالم الحديث فى الشرق والغرب واضطرت ان يهتم بأمرها ، وحدثت فيها آثارا خطيرة هان شأنها

بعض الشيء لكنه عاد فاشتد في هذه الأيام ، وأخذ يؤثر لا في الجزيرة وحدها بل في علاقاتها بالأمم الأوروبية أيضا ، هذه الحركة هي حركة الوهابيين التي أحدثها محمد بن عبد الوهاب شيخ من شيوخ نجد ، ويحمل طه حسين سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في معالمها البارزة حتى كان تحالفه مع أمير الدرعية محمد بن سعود « وعن هذا التحالف بين الدين والسياسة نشأت في الجزيرة العربية دولة سياسية عظم أمرها واشتد خطرها » . ثم يقول طه حسين في شأن الدعوة إلى عقيدة السلف « قلت : ان هذا المذهب الجديد قديم ، والواقع انه جديد بالنسبة إلى المعاصرين ولكنه قديم في حقيقة الأمر لأنه ليس إلا الدعوة القوية إلى الإسلام الخالص النقي المطهر من شوائب الشرك والوثنية ، هو الدعوة إلى الإسلام كما جاء به النبي خالصا لله وحده ملغيا كل واسطة بين الله وبين الناس . . . فقد أنكر محمد بن عبد الوهاب على أهل نجد ما كانوا قد عادوا إليه من جاهلية في العقيدة والسيرة ، كانوا يعظمون القبور ويتخذون بعض الموتى شفعا عند الله ويعظمون الأشجار والأحجار ويرون أن لها من القوة ما ينفع ويضر ، وكانوا قد عادوا في سيرتهم إلى حياة العرب الجاهلين فعاشوا من الغزو والحرب ونسوا الزكاة والصلاة وأصبح الدين اسما لا مسمى له . . . ومن الغريب أن ظهور هذا المذهب الجديد في نجد قد أحاطت به ظروف تذكر بظهور الإسلام في الحجاز ، فقد دعا صاحبه إليه باللين أول الأمر فتبعه بعض الناس ، ثم أظهر دعوته فأصابه الاضطراب وتعرض للخطر ، ثم أخذ يعرض نفسه على الأمراء ورؤساء العشائر ، ثم هاجر إلى الدرعية وبايعها أهلها على النصر . ولكن ابن عبد الوهاب لم يرد أن يشتغل بأمور الدنيا فترك السياسة (١) لابن سعود واشتغل هو بالعلم والدين واتخذ السياسة وأصحابها أداة لدعوته . . . فمن أحاب منهم قبل منه ومن امتنع عليه أغرى به السيف وشب عليه الحرب وقد انقاد أهل نجد لهذا المذهب وأخلصوا له وضحوا بحياتهم في سبيله . . . ولولا أن الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب وحاربوه في داره بقوى وأسلحة لا عهد لأهل البادية بها لكان من المرجو جدا أن يوحد هذا المذهب كلمة العرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة كما وحد ظهور الإسلام كلمتهم في القرن الأول . ولكن الذي يفيدنا من هذا المذهب أثره في الحياة العقلية والأدبية عند العرب وقد كان هذا الأثر عظيما خطيرا من نواح مختلفة فهو أيقظ النفس

(١) الأولى أن يقال : « ترك مناصب الحكم » .

العربية ووضع امامها مثلا اعلى احبته وجاهدت في سبيله بالسيف والقلم  
والسنان . وهو قد لفت المسلمين جميعا واهل العراق والشام ومصر بنسوع  
خاص الى جزيرة العرب ، ( ١ ) .

وطه حسين في ذلك الوقت من حياته الذي كتب فيه المقال ، يبدو كأنه قد  
أعجب بما يعجب كل مستنير وكل مثقف ( معاصر ) من الدعوة الى التوحيد  
الخالص الرفض البدع والتقليد والحرب على المتصوفة والقبوريين ، كما يبدو  
وكأنه قد تبين أثر التوحيد على فكر العرب وعلى أمة الاسلام من الوجهة  
الموضوعية وعلى نهج علمي ، كما لا يستغرب ما أشار اليه الأستاذ عطار من  
ان مهاجمة الأزهريين لدعوة محمد بن عبد الوهاب قد قريته الى ذهن طه حسين  
الذي هاجمه الأزهريون أيضا ، وكره فيهم التقليد والتعصب لما ألفوه حقا كان  
أم باطلا . . . ذلك أن طه حسين الذي درس في الأزهر وواجه في دراسته هناك  
مصاعب جمه ، أبرزها كتابه « الأيام » وهو سيرة حياته ، ثم واصل دراسته  
في الجامعة المصرية القديمة ثم استكملها في جامعة السربون بفرنسا حيث  
حصل على درجة الدكتوراه ، كان قد تعقد من الأزهر ومن الحياة الفكرية  
السائدة بمصر بتأثير الأزهر ، ولعل هذا التعقيد قد أصاب عقيدته ، أو لعل  
نزعتة في التجديد ومخالفة المألوف ومصادمة الأزهريين قد أدت الى انفلاته  
ومجاورته للحدود في كلامه عن القرآن ، كما أثر فيه كل التأثير تعلمه بفرنسا  
وتزوجه من فرنسية كما أظهرت ذلك بجلاء مذكراته زوجته التي نشرت  
بالفرنسية بعد وفاته ، وقد اضطلع بالتدريس في كلية الآداب وواجه ثورة الرأي  
العام عليه حين أخرج كتابه عن « الشعر الجاهلي » الذي بادر كثيرون بالرد  
عليه ( ٢ ) ، فأخرج من كلية الآداب التي وصل الى عمادتها ، على أن طه حسين

---

(١) أحمد عبد الغفور عطار : محمد بن عبد الوهاب - ط ٣ - بيروت

سنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ص ١٩٦ - ٢٠٠

(٢) انظر مثلا نقض كتاب الشعر الجاهلي لمحمد الخضر حسين وهو

عالم تونسي عاش بمصر ثم تولى مشيخة الأزهر بعد نهاية الحكم الملكي سنة  
١٢٧٢ هـ / ١٩٥٢ م ، وانظر من دراسات المحدثين رسالة الدكتوراه لناصر  
الدين الأسد وعنوانها « مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية » وقد كان  
سفير المملكة الأردنية بالمملكة العربية السعودية كما تولى رئاسة الجامعة  
الأردنية في عمان .



أخرج دراسات اسلامية عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر الراشدين ، هي « على هامش السيرة » و « الشيخان » - أى أبو بكر وعمر ، ثم « الفتنة الكبرى » وقد عرض الجزء الأول من هذا الكتاب الأخير لعهد عثمان رضى الله عنه ، أما عنوان جزئه الثانى فهو « على ونبوه » . وقد بدأ فى آخر حياته معنيا بسلامة اللسان العربى وهو الذى كان فى صدر حياته مفتوحا بالتجديد ، كما روى أنه كان يستمع وقتا طويلا من يومه للقرآن الكريم ، والله أعلم بنيته وما كان عليه حين لقى ربه . ولعله أن يكون قد تاب فى آخر عمره ، وهو الآن بين يدى ربه الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .



وقد كان لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أثرها فى نشر نهج السلف ونبذ التقليد فى تعليم الدين فى المعاهد ولا سيما المعاهد المتخصصة فى تعليم الدين ، ويتجلى هذا الأثر فى جانبى العقيدة والشريعة ، وإذا كنا قد ألفينا « رسالة التوحيد » التى جمعت دروس الشيخ محمد عبده فى العقيدة بالمدرسة السلطانية فى بيروت لم نستطع أن نتخلص من أسر نهج المتكلمين وأسلوبهم تماما ، فانه قد كان أكثر التزاما بنهج السلف وأكثر اصرارا على نبذ التقليد فى جانب الأحكام الشرعية ، وقد أبدى الشيخ محمد عبده اعجاباه بالشوكانى الذى تأثر بالدعوة السلفية وعمل على نشرها بكتاباتة فى اليمن موطنه وفى غيرها حيثما وصلت كتبه ، وإذا كانت ظروف مصر واشتداد عصبية التقليد المذهبى بالأزهر قد حالت زمتنا دون تقبل نزعة الشيخ محمد عبده الإصلاحية ، فان انشاء مدرسة القضاء الشرعى فى مصر على يد سعد زغلول - وهو أحد المتأثرين بالشيخ محمد عبده ، قد أعان على أن يجد النهج السلفى فى الفقه طريقه الى العقول والقلوب ، بحيث يرتبط المتفقهون بالكتاب والسنة بصورة أساسية ويلتمسون الحكم الشرعى بدليله حيثما وجد . وكان من نتيجة هذا الاتجاه الفكرى من جهة والحاجات العملية للمجتمع المصرى المسلم من جهة أخرى ، أن أخذت آراء ابن تيمية الفقهية طريقها الى التشريع فى مجال الأحكام الشخصية ، بعد أن دأب الأزهر قرونا على النفور من ابن تيمية والتنفير منه ، وتفرز النهج السلفى فى تعليم الفقه فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة التى اضطلع بتدريس الشريعة فيها فى صدر حياتها خريجو مدرسة القضاء الشرعى

وقد وجدت الدعوة السلفية طريقها الى بلاد المغرب ومراكزه العريقة للتعليم الدينى . وكان محمد بن على السنوسى الكبير ( ١٢٠٢ - ١٢٧٦ هـ ) ( ١٧٨٧ - ١٨٥٩ م ) الذى ولد بمستغانم بالجزائر قد رحل الى الحجاز وأقام بها سنوات يطلب العلم واستهل دعوته بها ، ولم ينقطع التأثير الفكرى لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الرغم من الظروف السياسية التى مرت بالدولة السعودية وقتذاك ، وقد انتقد فى كتابه « ايقاظ الوسنان » : « انحصار التقليد فى الأئمة الأربعة رضى الله عنهم ، لأنه لا واجب الا ما أوجبه الله ورسوله . . . وهذه بدعة قبيحة حدثت فى الأمة ، ولم يقل بها أحد من أئمة الاسلام » ، وقد تتابع على تأييد الدعوة السلفية فى المغرب علماء مغاربة أمثال محمد بن العربى العلوى وأبو شعيب الدكالى وعلال الفاسى ، وأعان تأثير الشيخ محمد عبده فى المغرب على تعزيز الدعوة السلفية هناك ، ووقوف علماء جامعة القرويين ضد بدع الطرقيين . يقول مؤرخ فرنسى معاصر : « كان علماء القرويين أصحاب القوامة الشرعية على الحياة الدينية وألد خصوم أهل الطرق الصوفية . . . لا يعارضون فقط تبجحهم وأدوارهم السياسية ، وإنما انهيأر المعايير الخلقية بينهم مما كان وصمة فى جبين الاسلام » . كما عرفت جامعة القرويين دراسة « الخلاف العالى » بين المذاهب أو ما يمكن أن يسمى « بالفقه المقارن » أصولا وفروعا ، ولم تحصر دراستها فى فقه الامام مالك السائد بالمغرب (١) .

وفى الهند تلمح روح الدعوة السلفية فى فكر ولى الله شاه بن عبدالرحيم الدهلوى ( ١١١٥ - ١١٧٧ / ١٧٠٣ - ١٧٦٣ م ) صاحب كتاب « حجة الله البالغة » ، وكتابه « الانصاف فى بيان أسباب الاختلاف » ، « عقد الجيد فى أحكام الاجتهاد والتقليد » ، وان كان للشيخ نزعاته وآراؤه الخاصة التى لا تتوافق مع الفكر السلفى وتبرز مكانة النهج السلفى فى « دار العلوم » بديوبند فى الهند . وبين المنتسبين الى ندوة علمائها . كما قامت معاهد وجامعات سلفية أحدث عهدا ، منها الجامعة السلفية فى بنارس وغيرها .

(١) روم لاندو : أزمة المغرب الأقصى ، ترجمة اسماعيل على وحسين الحوت ومراجعة عبد العزيز الأهوانى ص ١٢٨ - ١٣٦ ، وأنظر أيضا مصطفى المهماه : المرأة المغربية والتصوف ص ٢٧ - ٢٩ .

كذلك كان للدعوة السلفية أثرها فى كتابات مؤرخى دعوات الإصلاح الإسلامى المعاصرين من المسلمين على اختلاف بلدانهم ، وقد تقدم ذكر أحمد أمين الكاتب المصرى صاحب كتاب « زعماء الإصلاح فى العصر الحديث » الذى تصدره فصل عن « محمد بن عبد الوهاب » ، وقد كان هذا الكتاب مقررًا للمطالعة الثقافية بالمدارس الثانوية المصرية طوال عدة سنوات . وفى تونس ، تقرر لطلاب الثانوية العامة ( البكالوريا ) فى التربية الإسلامية كتاب « الاجتهاد والتجديد فى الإسلام » ، وقد تعاون على تأليف الكتاب عدد من المؤلفين هم مصطفى كمال التارزى ومحمد بن ابراهيم والبشير العريبي ومحمد المختار السلامى وعبد الرزاق المملوك ومحمد العلوينى وحسن المجيدى ومحمد على الخليفى . وكان مما استهدفه الكتاب فى تخطيط منهجه كما ضمنته مقدمته « الوصول الى أن حركة الاجتهاد قد امتدت وصاحبت تاريخ العلماء المسلمين على ما بين الفترات من قوة وضعف . . . ومن بين النماذج التى اخترناها : ابن تيمية وابن قيم الجوزية فى القرن السابع الهجرى ، ومحمد بن عبد الوهاب وجمال الذين الأفغانى ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا من رجال حركة التجديد فى القرن الثانى عشر والقرن الثالث عشر » . وقد تضمن الفصل المعقود للشيخ محمد بن عبد الوهاب فى هذا الكتاب أن « الإسلام لخص العقيدة السليمة ومبدأ التدين القويم فى كلمة : لا اله الا الله ، وهى تعنى : ليس فى الوجود كله من يستحق العبادة والتعظيم غير الله تعالى ، وليس فى هذا الكون كله قوة حقيقية قادرة على تدبير هذه الموجودات وتسيير هذه العوالم الظاهرة منها والخفية الا قوة الله . . . فهو الذى ينفع ويضر وهو الذى يفقر ويغنى وهو الذى يحيى ويميت . . . وان العقائد المزيفة نزعته من المسلمين فكرة التوحيد للخالق وذلك من شأنه أن يسلب من القلوب الأمن والاطمئنان ، وأساءت كثيرا الى نفوس المسلمين فجعلتهم بعيدين عن العزة التى دعاهم الإسلام إليها . وان الله تعالى هو المقرر للعقائد المشرع للأحكام فليس لأحد أن يحتج فى أى جانب من جوانب الدين بما يحدثه من بدع ، ولا شئ يخرج المسلمين مما هم فيه من الانحلال وضعف العقيدة الا الرجوع بهم الى الدين فى أصوله الصافية . . . » ويذكر الكتاب عن أثر الدعوة الوهابية أنها « بعد مبعث البيضة الإسلامية فى الحجاز ( الأصح فى شبه الجزيرة العربية ) عند ملتقى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، وهى وان ظلت مقصورة فى أول انبعاثها على حلفائها وأتباعها

من سكان شبه الجزيرة العربية حتى توطد بها الأمر للأسرة السعودية ، فقد توسعت فيما بعد وأخذت تنتشر شيئاً فشيئاً وأعانها على هذا التوسع موسم الحج . فقد كان كثير من رجال الدين (٩) يفتدون على مكة ويتصلون بالوهابيين فينقلون عنهم أصول دعوتهم الإصلاحية وأهدافها ثم يرجعون الى أوطانهم متأثرين ببعض تلك المبادئ محاولين تطبيقها ٠٠٠ « (١) .

وكتب أبو الحسن على الحسنى الندوى عالم الهند المعروف كتابه « رجال الفكر والدعوة فى الإسلام » وقد قرر فى مقدمته أن « من الحقائق التاريخية أن تاريخ الإصلاح والتجديد متصل فى الإسلام ، والمنقضى لهذا التاريخ لا يرى ثغرة ولا ثلثة فى جهود الإصلاح والتجديد ، ولا فترة لم يظهر فيها من يعارض التيار المنحرف ويكافح الفساد الشامل ويرفع صوت الحق ، ويتحدى القوى الظالمة أو عناصر الفساد ويفتح نوافذ جديدة فى التفكير » (٢) ويقول المؤلف فى الجزء الثانى من الكتاب الخاص بحياة شيخ الإسلام الحافظ أحمد بن تيمية : « ومن مآثر ابن تيمية التجديدية المستقلة أنه قام ببعث الفكر الإسلامى ٠٠٠ ومما لا يخفى أن الإسلام يمتاز بالنسبة الى النظم الفكرية الأخرى بأنه يقوم على أساس الوحي والنبوة المحمدية ، وأن عقائده وحقائقه لا تبتنى على القياس والتجارب والظن والتخمين والذكاء الانسانى والبحث والجدال ، بل تبتنى على تعليم الله تعالى وتبليغ رسوله صلى الله عليه وسلم ، والذى قاله صلى الله عليه وسلم وشرحه حول ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ، وعن بدء العالم ومنتهاه ومبدئه ومصيره وعن المعاد والآخرة وخواص الأعمال ونتائجها ، وعن الأمور مما وراء الطبيعة التى لها علاقة بالدين إنما هى العقائد والحقائق ولا سبيل الى معرفتها والايامن بها فى الحقيقة سوى الوحي والنبوة ٠٠٠ ومن مآثر ابن تيمية التجديدية أنه عندما دعا الناس بقوة الى اعتبار الكتاب والسنة مصدراً للعقائد وعمل بها نفسه فى غاية من الاهتمام ، كذلك دعاهم بقوة بالغة الى اتخاذ الكتاب والسنة مصدراً للأحكام ومقياساً للحق ، وقدم نموذجاً عالياً للعمل بهذه الدعوة ٠٠٠ وان دعوة ابن

(١) التارزى وزملاؤه : الاجتهاد والتجديد ص ٥ ، ٣٣٢ - ٣٣٥ .

(٢) أبو الحسن الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الإسلام - ط ٢ - داد

القلم بالكويت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م - ص ٢٦ .

تيمية هذه أثارت روحا ونشاطا من جديد فى اوساط الأمة الفقهية والعلمية التى كانت قد توقفت منذ مدة بعيدة عن دراسة الأحكام والمسائل والتفكير فيها ومقابلتها مع الكتاب والسنة ٠٠٠ وهكذا فانه قام ببعث الفكر الاسلامى الصحيح الذى وجد فى القرون الأولى وقامت عليه حياة المسلمين « (١) وفى ظنى أن من أجل مزايا الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنها بنشاطها العلمى وطاقتها الحركية قد أشاعت بين المسلمين فى العصر الحديث وقربت الى أذهانهم فقه ابن تيمية فى اقتدارات وتمكنه وقوة حجته ، وكان مهدر الاعتبار لغلبة التقليد أو مهملا منسيا على الرغم مما حبا الله به صاحبه فى فقه الاسلام من سعة علم واصابة حكم .

كذلك كتب أبو الأعلى المودودى مؤسس الجماعة الاسلامية فى الباكستان وأميرها الأول « موجز تاريخ تجديد الدين وحيائه » ، ذكر فيه أن الذين بلغهم تعليم الأنبياء وآمنوا بالوهية الواحد القهار « بحيث تجد سبيلها الى عقائدهم من طريق أو آخر الوهية الأنبياء والأولياء والشهداء والصالحين والمجانيب والأقطاب والأبدال والعلماء والمشايخ والملوك الملقبين بظل الله فى الأرض ٠٠٠ واتخذت العقول الجاهلية عباد الله الصالحين الذين صرفوا أعمارهم فى ابطال الوهية العباد واقرار الوهية الله تعالى وحده آلهة لها عوضا عن آلهة المشركين! فمن جانب ابتدعوا مكان شعائر المشركين وتقاليدهم شريعة جديدة من أعمال الفاتحة وزيارات القبور وتقديم النذور والصدقات والاحتفال بذكرىات الموتى ووضع الصندل والتحف على الأضرحة ورفع الرايات والأعلام على التوابيت ، ومن جانب آخر أنشأوا من غير بينة علم خرافات برأسه من أحوال موالد أولئك السلف الصالحين ووقياتهم وظهورهم وغيابهم وكلماتهم وخوارق عاداتهم وتصرفاتهم وتقربهم الى الله تعالى ، يضارع من جميع الوجوه خرافات المشركين وينظرهم . ومنهم من جعلوا كل ما يكون بين الله وعباده من المعاملات منوطا مرها بأولئك السلف الصالحين بعد أن موهوها بطلاء ذهبي من

(١) أبو الحسن الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام : الجزء الثانى خاص بحياة شيخ الاسلام الحافظ أحمد بن تيمية - تعريب سعيدة الأعظمى الندوى - دار القلم بالكويت ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ص ٢٨٩ ، ٣١٠ - ٣١١ .

المصطلحات كالتوسل والاستمداد الروحي واكتساب البركة والنفخ ، فأصبحت الحال عند هؤلاء فى واقع الأمر كما هى عند أهل الشرك الذين يعتقدون أن الملك الأعلى أبعد جدا من أن يصل إليه الانسان ، ولا تتصل جميع شئون حياة الانسان الا بعماله التابعين له ! ولم يعد بينهما من فرق سوى أن أولئك يصرحون بتسمية أولئك العمال آلهة وأوثانا أو مظاهر للاله أو أبناء لله ، وهؤلاء يخفون مكانهم من وراء حجب المصطلحات الأغواث والأقطاب والأبدال والأولياء وأهل الله وما شاكلها من القاب » . ويقول المودودى رحمه الله عن ابن تيمية شيخ الاسلام : « جاهد البدع وتقاليد الشرك وضلال العقائد والأخلاق جهادا قويا عنيفا ولاقى فى سبيل ذلك أعظم المصائب ولم يغادر شائبة كدرت صفو المعين الاسلامى حتى أتى عليها بنقده المرير وخلص منها سبيل الاسلام المحصن وعرضها مجلوة أمام أعين العالمين . وفى انتقاده وتنقيحه لم يجامل احدا أو يحابه ، بل تناول باحتسابه الكبير والصغير ، ولم يفته فيه حتى الجلة الذين كان صيتهم فى الفضل والكمال والتقديس قد ملأ الآفاق ، وكانت تخضع لهيبتهم الرؤوس . ثم توجه الى الطرق والأعمال التى كانت تعد من الأمور الدينية منذ قرون وكان الناس قد استخرجوا الأدلة لجوازها بل لاستحبابها والعلماء يداهنونهم فيها ، فوجدها ابن تيمية مضادة للاسلام فشدد فى مخالفتها » . وقد نشرت الجماعة الاسلامية كتابا مفردا عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ألفه مسعود الندوى (١) .

وهكذا كان للدعوة السلفية التى اضطلع بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله آثارها الموصولة المتجددة على المفكرين المسلمين المحدثين ، وعلى معاهد التعليم الدينى ، وعلى المؤلفات المعنية بالتاريخ لدعوات الاصـلاح الاسلامى . . . . . وعلى هذا النحو لم ينقطع ذكر الشيخ ودعوته وفضله قط بعد وفاته ، وتضاعف أجره بما أحيأ من دين الله ومن تعاقب على الانتفاع بذلك من علماء الاسلام ومتعلميه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ان شاء الله .

---

(١) المودودى : « موجز تاريخ تجديد الدين وحيائه » و « واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم » فى كتاب واحد - ط ٣ - دار الفكر بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م ص ٣٣ - ٢٥ ، ٨٩ . وانظر مقدمة خليل الحامدى ص ٧

## تأثير الدعوة السلفية على الحركات الإسلامية المعاصرة :

« نشرت الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية كتابا كبيرا عنوانه : دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة » وضع خطتها وقام بمراجعتها رائد المدرسة التاريخية المصرية الحديثة الأستاذ محمد شفيق غربال رحمه الله ، وتعاون على اعداد هذه الدراسات ثلاثة من الباحثين : أحدهم عراقي والثانى سورى والثالث مصرى . وقد تصدرت الكتاب دراسة عن « اليقظة الفكرية والسياسية فى القرن التاسع عشر ( الميلادى ) » اضطلع بها الباحث العراقى الدكتور محمد بديع شريف ، وقد قدمت الدراسة اشارة الى « نواة اليقظة العربية (!) بعد انهيار بغداد » وتمثلت هذه النواة فى نظر الباحث « ابن تيمية » الذى قال عنه « نزه ابن تيمية الاله عما يريده به الضالون ، وأكد على عقيدة التوحيد بما جاء فى القرآن والحديث ( أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء ، انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا ) . وقد صرح ابن تيمية فى مواضع كثيرة بما معناه : ان الاسلام جاء قويا شديدا يملأ القلوب نورا ويحرر النفوس من الذلة ، فحطم الأصنام وبعث فى الناس العزة والكرامة وساوهم وجعلهم اخوة وارتفع بهم من ذلة الأرض الى عزة السماء لكيلا يتمرغوا تحت قدم صنم ولا يسجدون للنصب ولا يخشون عبدا من عباد الله مهما كانت منزلته ، فالخشية لله وحده والرابطة به وحده ، وفى هذه الرابطة المقدسة تقذ النفوس وتسمو الكرامة وتبدو الحرية مجلوة . . . . » واختيار الباحث ابن تيمية ليكون « نواة اليقظة » اختيار له دلالة ، فهو ينبىء عن تأثر الباحث بالدعوة السلفية التى أعادت الى الأذهان فقه شيخ الاسلام ونشرت علمه ، وقد أفرد الباحث بعد ذلك مبحثا جعل عنوانه « محمد بن عبد الوهاب وحركته الإصلاحية » اختتمه بقوله : « وفى نظرنا لو تم لهذه الحركة سيرها لتغير وجه التاريخ فى الشرق الأدنى . ومع أن قوتها السياسية قد زالت زمننا ما ، فقد فتحت أفقا جديدا للمسلمين فى كافة أنحاء العالم الإسلامى فنكاد لا نجد حركة من حركات الإصلاح ، الا كان مرجعها لما نادى به محمد بن عبد الوهاب فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ( الميلاديين ) » ( ١ ) .

---

(١) محمد بديع شريف ، زكى المحاسنى ، أحمد عزت عبد الكريم : دراسات فى النهضة العربية الحديثة - وضع خطتها وقام بمراجعتها وترتيبها :

وما قرره الباحث العراقي ، قد أصاب به قلب الحقيقة التي يشهد بها تاريخ الحركات الاسلامية الحديثة والمعاصرة ، فى مختلف الأنحاء من ديار الاسلام .

وكتب لوثرروب ستودارد يقول : « ان خاتمة هذا الدور السياسى ( للدولة السعودية الأولى ) كانت خاتمة الدور الدينى ( أى دور انتشار الدعوة السلفية خارج شبه الجزيرة العربية ) ، فقد ظلت نجد بؤرة تشتعل فيها نار الغيرة الدينية ومنبثق نور تنبعث منه الأشعة الواجحة الى كل ناحية من نواحي الأرض . . وما فتىء الوهابيون منذ قضى على قوتهم السياسية يبيثون روح الحركة الدينية فى مئات الألوف من الحجيج الوافدين كل عام الى مكة والمدينة من كل قطر من أقطار العالم الاسلامى ، فيقتبس هؤلاء نارا وهابية ثم يعودون الى أوطانهم يشعلون بها ما استطاعوا اشعاله فى سبيل الاصلاح ، وهكذا استطاع الوهابيون أن يبدروا بذورا ملأها الاختمار الشديد للثورة الدينية فى كل فج اسلامى ، حتى بلغت دعوتهم الدينية أقصى المعمورة . فقام فى شمالى الهند السيد أحمد مستنقرا مسلمى بنجاب ونشأ دولة وهابية وكان يعد عدته لفتح سار شمالى الهند فحالت منيته دون ذلك . واطمحت الدولة الوهابية الهندية سنة ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م ، غير أنه لما جاء الانجليز يفتحون البلاد عانوا الأمرين من بقايا النار الوهابية الكامنة فى الرماد ، وظلت هذه النار مخبوءة الى ما شاء الله فكانت عاملا من عوامل الثورة الهندية ، ثم استطار من شررها ما تناول أفغانستان وسائر القبائل الهندية عند الحدود الشمالية الغربية فأشعلها أيما اشعال وفى تلك الغضون قام السيد محمد بن السنوسى فى الجزائر وأتى مكة ورضع أفاديق الوهابية فيها ، ثم أخذ يجاهد فى سبيل انشاء الطريقة الدينية المعروفة باسمه . . . » (١) وذكر أحمد أمين عن « السيد أحمد » الزعيم الهندى انه حج فى عام ١٢٣٧ هـ / ١٨٢٢ م حيث تعرف فى الحجاز على الدعوة

---

محمد شفيق غربال - نشر الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية مع مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ، انظر ص ٨ - ١٣ ، ١٨ - ٢١ والنص الأخير وارد فى آخر ص ٢١ .

(١) لوثرروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى - ترجمة عجاج نويهض

ج ١ ص ٢٦٣ .



السلفية (ويقول عنها المؤلف : المذهب الوهابي ! ) ، فأمن بالدعوة وعمل على نشرها في البنجاب عقب عودته ، وأنشأ بها شبه دولة وهابية ، وأخذ سلطانه يمتد حتى هدد شمال الهند ، وأقام حربا عوانا على البدع والخرافات ، وشملت الحرب كل من ظاهر البدع من علماء الدين ودعاته ، وأعلن الجهاد واعتبر الهند دار حرب ، ولقى الانجليز من الرجل وأنصاره كل عداء وعتناء حتى استطاعوا التغلب عليه ( ١ ) .

✽ أما محمد بن علي السنوسي الكبير ( ١٢٠٢ - ١٢٧٦ هـ / ١٧٨٧ - ١٨٥٩ م المولود في مستغانم من نواحي الجزائر فقد تعلم في مازوته بالجزائر في حدائته ثم درس بجامع القرويين في فاس . ورحل بعد ذلك الى الحجاز مارا بتونس وليبيا ومصر ، وقد أقام بالحجاز سنوات ، واستهل السنوسي دعوته بالحجاز فاعترضه رجال الحكم العثماني الذين كانوا يخشون تجدد الدعوة

(١) أحمد أمين : زعماء الاصلاح ص ٢١ ، وذكر أحمد عبد الغفور عطار في كتابه « محمد بن عبد الوهاب » عن « السيد أحمد الباريلي » الزعيم الهندي المولود في قرية راي باريلي انه استشهد في ميدان الجهاد سنة ١٢٤٦ هـ / ١٨٢١ م وذكر العقاد أن دعوة ابن عبد الوهاب « تردد صداها في البنغال سنة ٨٠٤ واتبعها جماعة ( الفرائضية ) بنصوصها الحرفية فاعتبرت الهند دار حرب الى أن تدين بحكم الشريعة . ثم تردد صدى الدعوة الوهابية بعد ذلك بزعامة السيد أحمد الباريلي في البنجاب وأوجب على أتباعه حمل السلاح لمحاربة الشيخ ( حلفاء الانجليز المستعمرين ) وتقدمهم في القتال حتى قتل ٠٠ ونهض من بعده تلميذه كرامة على فاتصل بالفرائضية وأفتى بأن البلاد الاسلامية تجب فيها صلاة الجمعة ولا تحسب من ديار الحرب وان كان الحكم فيها لغير المسلمين » ( الاسلام في القرن العشرين ص ٦٩ ) . ويقول توماس أرنولد « وفي القرن التاسع عشر ( الميلادي ) سنة ١٩٠٠ م حركة الدعوة الى الاسلام في البنغال بتأثير الحركة الوهابية الاصلاحية وكان الدعاة يبتنقلون لتطهير الاسلام من بقايا العقائد الهندوكية القديمة وايقاف الحماس الديني ونشر العقيدة الاسلامية بين الكفار ، وما يزال للوهابية في البنغال دعاة يفتقرون الى المال ومع فقرهم فانهم نشطون في الدعوة ، وعندما كنت في باكستان الشرقية في جمادى الآخرة سنة ١٢٨٩ هـ / أغسطس سنة ١٩٦٩ م لقيت بعضهم وذكروا أنهم تتلمذوا على علماء من البنغال درسوا على الشيخين عبد الله وعمر ابني حسن حفيدى شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ، ( الدعوة الى الاسلام - الترجمة العربية ص ٢٣٩ ) .

السلفية وجهاد محمد بن عبد الوهاب ، واختار السنوسى الصحراء الليبية منشطا لدعوته حيث اختار ( زواياه ) التى جعلها مراكز للتجمع والتعبس والتعليم وعلى رأسها زاوية جغبوب التى أسسها السنوسى ١٢٧١ هـ / ١٨٥٥ م وكانت ( الزاوية ) مسجدا تلحق به مساكن (للاخوان ) من أتباع الشيخ ، ومزرعة ومحلات للحرف والصناعات ، وكان السنوسى يختار مراكز زواياه فى مواقع ( استراتيجية ) قريبة من الآبار وطرق القوافل والأراضى الصالحة للزراعة ، ويستفيد من مراكز الرومان وآثارهم القديمة لهذا الغرض ، وكان يحصن الزاوية ومرافقها بسور خارجى ، وقد أكد السنوسى فى كتابته وجوب متابعة الكتاب والسنة دون سواهما ، وبين أنهما مقدمان على رأى كل مجتهد ، ونعى على التقليد ، وقد أنصى باللائمة فى كتابه ( ايقاظ الوسنان ) على الذين يوجبون « انحصار التقليد فى الأئمة الأربعة رضى الله عنهم ، لأنه لا واجب الا ما أوجبه الله ورسوله ٠٠٠ وهذه بدعة قبيحة حدثت فى الأمة ولم يقل بها أحد من أئمة الاسلام ، فيا لله العجب ! ماتت مذاهب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومذاهب التابعين وتابعيهم وسائر أئمة الاسلام وبطلب جملة الا مذاهب أربعة أنفس فقط بين الأئمة والفقهاء ؟ وهل بذلك قال أحد الأئمة أو دعا اليه ؟ » كذلك يذكر السنوسى فى كتابه ( بغية المقاصد و خلاصة المراد ) ان هدى الأئمة الراشدين فى الفتوى والتعليم والقضاء هو مجرد أداة لفهم المسلمين للكتاب والسنة ، كما ذكر أن السلوك الخلقى المستقيم هو الذى يتأيد بالكتاب والسنة ، على أن السنوسى مع ذلك سار على التربية الصوفية والتجمع الصوفى ، وقد أبان عن ( طريقته ) فى كتابه ( السلسبيل المعين فى الطرائق الأربعين » ، ويلاحظ أنه تجنب الحديث عن كرامات الأولياء وخوارق العادات وميزات ( المقدمين ) من المريدين ٠ وقد قدر للزوايا السنوسية أن تضطلع بدور بطولى فى مقاومة الغزو الايطالى الذى دهم ليبيا سنة ١٢٢٩ هـ / ١٩١١ م ، كما كان لها نشاط مشكور فى الدعوة الى الاسلام خلال الأرجساء الشاسعة الممتدة من شمالى افريقية الى اقاصى السودان (١) ٠

(١) أنظر محمد البهى : محاضرات فى الفكر الاسلامى الحديث - القاهرة  
محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين الدولة - القاهرة ٠ وانظر ايضا مقالات  
شكيب ارسلان المضافة الى حاضر العالم الاسلامى تأليف لوثرروب ستودارد  
وترجمة عجاج نويهض ج ٢ ص ١٣٠ - ١٦٥ ، ٢٩٨ ، ٤٠٧ وما كتبه المؤلف

وتغلغلت الدعوة السلفية داخل افريقية حتى بلغت نيجيريا ، وتم  
هناك فى حركة عثمان بن فودى الذى ينتسب الى شعوب الفولانى التى خرجت  
من موطنها فى منطقة السنغال وتسربت فى بطن نحو الشرق ، وقد أقامت أسرة  
عثمان بن فودى فى بلاد الحوصة ، وقد ولد عثمان سنة ١١٦٠ هـ / ١٧٥٦ م  
فى بيت علم ، أسلم أجداده منذ زمن طويل وتفقه أبوه فى الدين واشتغل بالعلم  
هو وزوجته وأولاده ذكورا وإناثا ، وقد رحل الى الحجاز وسمع فى مكة  
بالدعوة السلفية فنذت الى أعماق قلبه ، وظهرت آثارها واضحة فى مؤلفاته  
التي بلغت زهاء عشرين مؤلفا ومنها « احياء السنة واخماد البدعة ، بيان  
البدع ، تمييز المسلمين ، الجهاد ، نصائح الأمة ، الهجيرة ٠٠٠ » وكلها  
موضوعات لها دلالتها فى التأثير بالدعوة السلفية ، وكان من مؤلفات أخيه عبدالله  
« سبيل النجاة ، ضياء السياسة ، ضياء الحكام ، مصالح الانسان » كما ألف  
أيضا ابنه محمد بللو بن عثمان كتبا منها « الاعلام بما يجب على الامام من  
حفظ بيضة الاسلام ، قدح الزناد فى أمر هذا الجهاد ، الغيث الوابل فى سيرة  
الامام العادل ، التحرير فى قواعد التبصير للسياسات » . وتشهد روايات  
المعاصرين لهؤلاء السلاطين أو القريبيين من عهدهم بأثر الدعوة السلفية فى  
سيرهم وبخاصة ما ورد فى كتاب « تذكرة النسيان فى أخبار السودان » الذى  
أقره ذيل لتاريخ السلطان محمد بللو بن عثمان . فقد عرف عنه انكار بدع

---

ستودارد نفسه بنفس الجزء ص ٢٩٣ - ٣٠٠ ، ويقول شكيب أرسلان عن  
اختيار السنوسى الكبير لجغبوب مركزا له « ويقولون انه كان قد شعر بدنو  
استيلاء الأجنب على تلك الديار فاخترت الايغال الى الجنوب والاقامة بالصحراء  
فعمر زاوية جغبوب وتوفى فيها ٠٠٠ واختار ولده المهدي السنوسى الانزواء  
فى واحدة الكفرة ، وقال بعضهم انه لما استقرت قدم الانجليز بمصر أجفل  
السنوسى ووضع نصب عينيه الايغال فى الصحراء وانتجاع واحة تكون أقصى  
من جغبوب مكانا وأعز منالا ، وقال آخرون بل السنوسى منذ زمن بعيد يتكهن  
بوقوع الحرب مع ( الطليان ) فشرع يهئ أتباع طريقته للمقاومة ويعلم  
قضايا الجهاد مما ظهر أثره فى حرب ايطاليا سنة ١٩١١ م ظهورا أدهش  
الشرق والغرب ، وأثبت أن الطريقة السنوسية هى عبارة عن دولة بل كثير من  
الدول لا تملك ما ملكته الطريقة السنوسية من الوسائل الحربية وذلك بكونها  
طريقة عملية لا تعرف سوى العمل بالكتاب والسنة والاقتماد بسلف هذه الأمة »

ج ٢ ص ١٤٢ - ١٤٣ .

الماثم ، ورفض ما يحيط به الناس موتاهم الصالحين من قداسة تكاد أن تكون عبادة ، بل انتقد المبالغة فى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم ومدحه بما يخرج عن بشريته ، كما هاجم الفساد الأخلاقى فى مجتمعه وشرب الخمر . وقد حض على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حين تزايد أنصاره ، وشرع يتصل بالأمرء المعاصرين فى بلاده يحضهم على الإصلاح ومحاربة البدع والاتحاد لنشر الاسلام بين الوثنيين . وما فتىء عثمان وخلفاؤه يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحطمون دنان الخمر ويكسرون آلات الطرب . ولم يفز عثمان بن فودى بمناصرة أمير من أمرء الحوصة ، بل استعر العساء بين الفريقين سنة ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م وسارعت عشائر الفولانى الى تأييد ابنها الداعية المؤمن . وكانت جيوش عثمان وخلفائه تقرأ آيات الجهاد فى الكتاب انكريم مثل سورة براءة ، وتتسم حياتها بالخشونة والزهد . ولقد حققت انتصارات ساحقة متتابعة فى كانو وزاريا وسوكتوتو التى اتخذها حاضرة لدولته ودعوته وقد أعيد بناؤها فيما بعد فى عهد ابنه محمد بل سنة ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م ، وتحقق فتح امارات زنفير وغوبير وكب وخضعت امارات الحوصة كلها للدولة الفتية سنة ١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م ، وقد عمد عثمان الى قسمة حكم الدولة فى حياته بين ابنه محمد وأخيه عبد الله للأول شرقها وللثانى غربها وتوفى هو سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٧ م . وقد قام حكمه هو وخلفائه على الشورى . . . وقد كتب سلطان المغرب سليمان بن السلطان محمد ( الثالث ) من العلويين ( ١٢٠٦ - ١٢٣٦ هـ / ١٧٩٢ - ١٨٢٠ م ) الذى عرف بتدينه وحبه للعلم وحمایته للدين الى عثمان بن فودى « . . . الى السيد الذى فشا فى أقطار السودانين عدله ، واشتهر فى الآفاق المغربية ديانته وفضله ، العلامه البينة . . . ذو النورين : العلم والعمل اللذين هما منتهى الأمر - السيد عثمان ابن محمد بن عثمان بن صالح الفولانى نفع الله بعلومه القاصى والدانى ، وسلام منا عليه ما اشتد شوقنا اليه ورحمة من الله تغشاه حتى لا يخشى الا الله والله أحق أن تخشاه ، وبعد . فقد بلغنا من الثناء عليك والتعريف بأحوالك وافعالك ذلك ما أوجب محبتنا وتسليمنا اليك ، وذلك بلسان سلطان ناحيتكم أمير الطوائف الاسلامية بساحتكم المقر فى كتابه الينا بفضلك وأنت ناصح لله . . . فانه أخبرنا بما قمت به من الواجب من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . . . حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا . . . وهذا من أعظم المنح وأتم النعم

ولأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ، فالله تعالى يجازيكم عن الأمم خيرا ويديم دولتكم محفوظة محفوظة وبعين العناية ملحوظة ٠٠٠ قال الله تعالى : ( ولينصرن الله من ينصره ، ان الله القوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ) ٠ والسلام منا على جنابكم الذى صار للاسلام بخصوص نصيحتكم كالبيت المعمور ٠٠٠ « (١) »

وفى منطقة ماسنة بين السنغال والنيجر ، ظهر بين جماعة الغولانى التى سكنت هناك أحمد ولويو ( أحمد الرمح ) الذى تربى فى الدعوة الاصلاحية لعثمان بن فودى وكان يعمل له فى أرض صنفى بحوض النيجر ، وبعد نهاية الجهاد وقيام الدولن اتجه أحمد ولويو الى موطنه فى ماسنة واتخذت دعوته طابعا مهدويا ، وقد دخل مدينتى تنبكتو وجنى وطهرهما من البدع والمنكرات ومنع التدخين ، وأقام حاضرة له بالقرب من جنى أسماها ( حمد الله ) وكانت قاعدة لامارة اسلامية عظيمة فى منطقة ماسنة وقد توفى سنة ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤ م (٢) ٠ وبرز هذا الطابع المهدوى أيضا فى دعوة محمد أحمد بالسودان ٠ وقد ولد فى أحد أعمال دنقلة سنة ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٢ م واستهل جهوده فى جزيرة ابا ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م ، ثم اتجه الى غربى السودان ١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م وتسجل احدى رسائله معالم دعوته التى تستهدف « اماته ما حدث من البدع والضلال والانابة اليه تعالى فى كل الأحوال ، وقد تأكد فى هذا الزمان الذى عم فيه الفساد سائر البلدان ، فان دسائس اهل الكفر التى ادخلوها على اهل الاسلام وضلالانهم التى مكنوها من قلوب الأنام قد افضت الى اندراس السدين وعطلت أحكام الكتاب والسنة بيقين ، فصارت شعائر الاسلام غريبة بين الأنام وتراكت الظلمات وانتشرت البدع وأبيحت محارم الاسلام » وقد أهم محمد

(١) حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقية - القاهرة ١٩٦٣ م ص ٢٨٤ - ٢٩٣ وأنظر أيضا بحث د ٠ ابراهيم طرخان : امبراطورية الغولانيين الاسلامية (مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض - عدد العام الجامعى ١٣٩٨ - ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٨ - ١٩٧٩ م ) ٠

(٢) حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية ص ٢٩٤ - ٢٩٦ ، أيضا : ابراهيم طرخان : امبراطورية الغولانيين الاسلامية ٠

أحمد دخول الانجليز مصر ، ودعا الى « أن يكون الجميع يدا واحدة على اقامة الدين واخراج أعداء الله من بلاد المسلمين » . وعلى الرغم من حرص الرجل على انفاذ الأحكام والحدود الشرعية فى كل ما يغلب عليه من أرض السودان ، ودعوته لاستنباط الأحكام من الكتاب والسنة ، والنهى عن الاستعانة بالأولياء ، وزيارة قبورهم وعن شرب الدخان والمضى فى الجهاد ، فقد كانت له شطحاته التى لا يقره عليها أخذ بنهج السلف (١) .

### تأثير الدعوة السلفية فى الجماعات الاسلامية الحركية القائمة :

فإذا ما انتقلنا من الحركات التى تركزت غالبا حول شخص انتهت بنهاية حركته أو حياته ، الى الحركات التى كان لها الطابع الجماعى والاستمرار ، وجدنا تأثير الدعوة السلفية بارزا فى فكرها وحركتها . ونختار لبحثنا ثلاث جماعات معاصرة توزعت على أنحاء العالم الاسلامى : أولها فى الجزائر وقد قامت بجهود عبد الحميد بن باديس ، والثانية فى مصر وقد أقامها حسن البنا ، والثالثة فى شبه القارة الهندية والباكستان منها بوجه خاص وقد أسسها أبو الأعلى المودودى .

أما عبد الحميد بن باديس ( ١٣٠٦ - ١٣٥٩ هـ / ١٨٨٩ - ١٩٤٠ م ) فقد ظهر نشاطه فى مدينة قسنطينة بشرقى الجزائر بعد أن تلقى العلم فيها وفى

(١) حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية ص ٣٩٨ - ٤١٠ . ويقول عبد المجيد عابدين فى كتابه « تاريخ الثقافة العربية فى السودان » - ط ٢ - بيروت ١٩٦٧ م عن محمد أحمد المهدي أنه : « أبطل السحر والتعزيم وكتابة الأحجبة ونفذ حد الزانى والسارق وأبطل النياحة على الميت وجمع الزكاة وصار يأخذ من الغنائم الخمس وأمر بالمحافظة على الصلوات الخمس جماعة . أما الحج - وهو فى الشرع لمن استطاع اليه سبيلا - فقد قيل أنه منع السودانيين مؤقتا منه حتى يتقى شر الدسائس التى كانت تحسدق به خارج بلاده ، وقيل أنه كن يؤثر الجهاد عليه ولكنه لم يمنع منه أحدا » ويتفق عبد المجيد عابدين مع حسن أحمد محمود فى تأثر مهدي السودان فى مضمون دعوته بالشيوخ محمد بن عبد الوهاب ، مثلما تأثر بها محمد بن على السنوسى . وأن اختار كل منهما صورة المهودية أو الطريقة الصوفية . وروى أن مهدي السودان أحرق كتب الفقه وغيرها من كتب علوم الدين ولم يبق الا الكتاب العزيز وتفسير قليلة له وكتب السنة وكتب التصوف ص ١٣٢ - ١٣٩ .

جامع الزيتونة بتونس وقد رحل الى الحجاز سنة ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م وعمره اربعة وعشرون عاما هجريا ، ثم عاد الى موطنه فشرع يلقي الدروس بالجامع الكبير فى قسنطينة ولكن تصدى له المفتى المولود بن موهوب واستطاع أن يمنعه من التدريس هناك ، ولكن تمكن والد عبد الحميد بن باديس بمكانته ومساعدته من أن يستصدر اذنا لولده بالقاء الدروس فى الجامع الأخضر بقسنطينة وقد شرع يدرس به منذ سنة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٣ م ، ولم تكن السلطة الاستعمارية وقتذاك تتوقع أن ينجم عن ذلك الاذن اليسير ما هب على كيانها من خطر كبير . وقد انتصب عبد الحميد بن باديس بمفرده فى اول الأمر يعلم الدارسين ويثقف العامة ، ويخطب ويكتب فى الصحف ، ويعمل على ربط الأواصر مع نوى المكانة والعلم والرأى من مواطنيه المسلمين على مر الأعوام ، حتى استطاع أن يؤسس « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » سنة ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م . وقد استمرت الجمعية فى الدعوة للاسلام بين الجزائريين وربطهم بدينهم ولغتهم لمواجهة جهود السلطة الاستعمارية الفرنسية فى احتواء الجزائر أرضا وشعبا وعقيدة وثقافة ، وعملت الجمعية على انشاء المدارس الاسلامية العربية للحفاظ على عقيدة الأجيال الناشئة من الجزائريين ولغتهم والثبات أمام المحاولات الاستعمارية التى تريد أن تصوغ هذه الأجيال صياغة فرنسية . وقد قام على رأس الجمعية بعد وفاة عبد الحميد بن باديس سنة ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م وكيلها محمد البشير الابراهيى . وظلت الجمعية قائمة حتى قامت حرب التحرير الجزائرية سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م فحاضت غمارها فى نطاق الجبهة الموحدة التى ضمت الأحزاب والجماعات الجزائرية لأجل جهاد الاستعمار الفرنسى . وبعد الاستقلال ، اختارت الدولة الجزائرية المستقلة ألا تسمح بقيام أحزاب أو جماعات ، وأن يكون النشاط الشعبى السياسى مركزا فى جبهة التحرير الوطنى ، وهكذا استمر غياب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

وقد تصدى ابن باديس فى دروسه - وبخاصة دروسه فى تفسير القرآن - وفى مقالاته بالصحف ومحاضراته وخطبه لتصحيح العقيدة ، ودعوة المسلمين الى الرجوع للكتاب والسنة وترك ما عداهما مما تراكم على العقول والقلوب والسلوك من بدع وضلالات ، ويستشهد بمثل قوله تعالى : « ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتى ليتنى لم أتخذ

فلانا خليلا . لقد أضلنى عن الذكر بعد ان جاءنى ، وكان الشيطان للانسان خذولا ، ( الفرقان / ٢٧ - ٢٩ ) : « فالخسران الذى وعد به الله من يخالف الكتاب والسنة وان كان موجها للمشركين ، الا انه من نصيب أهل البدع والضلال فى المجتمع الإسلامى » « ٠٠٠ وضعنا أوضاعا من عند أنفسنا واصطلاحات من اختراعاتنا خرجنا فى أكثرها عن الحنيفية السمحة الى الغلو والتقطع ، وعن السنة البيضاء الى الأحداث والبدع ، وأدخلنا فيها من النسك الأعجمى والتخيل الفلسفى ما أبعداها غاية البعد عن روح الإسلام ، وألقى بين أهلها بذور الشقاق والخصام ٠٠٠ » ثم يشير ابن باديس الى أن هذه البدع المصطنعة قد ثقلت على المسلمين أخيرا حتى مضوا الى الانفلات من الدين جملة ان هم قد ظنوا أن هذه البدع هى الدين (١) .

هذه الدعوة الواضحة الصريحة الى تصحيح العقيدة ، يبدو فيها بجلاء أثر الدعوة السلفية . وقد كان على عبد الحميد بن باديس أن يواجه ضلالات الطرق الصوفية التى عششت فى بوادى الجزائر وأريافها فضلا عن مدنها ، فشن حربا عوانا على بدعهم من جهة وعلى مما لآتهم للسلطة الاستعمارية من جهة أخرى ، وعانى الرجل الكثير من مكائدهم التى استغلوا فيها انتشارهم الشعبى من جهة ومساندة السلطة الأجنبية الغاصبة من جهة أخرى ولكن الله أعانه على نصرته دينه وغلبة أعدائه ، وقد كتب يوما فى مجلته « الشهاب » : « كان الناس كأنهم لا يرون الإسلام الا ( الطرقية ) ، وقد زاد ضلالهم ما كانوا يرون من الجامدين والمغرورين من المنتسبين للعلم من القمىسك بها والتأييد لشييوخها . فلما ارتفعت دعوة الاصلاح فى ( جريدة المنتقد ) و ( مجلة الشهاب ) حسب الناس أن هدم تلك الأضاليل التى طال عليها الزمان ورسخها الجهل وأيدها السلطان محال ! ولقد صمد ( الشهاب ) للطرقية ، يحارب ما أدخلته على القلوب من فساد عقائد وعلى العقول من باطل أو هام وعلى الإسلام من زور وتحريف وتشويه ، الى ما صرفت الأمة عن خالقها بما نصبت من انصاب ، وشتتت من كلمتها بما اختلفت من ألقاب ، وقتلت من عزتها بما اصطنعت من

(١) تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام العليم الخبير - نشر محمد الصالح رمضان وتوفيق شاهين - دار الكتاب الجزائرى بالجزائر سنة ١٩٦٤ م - أنظر بوجه خاص ص ٢٢٧ - ٢٢١ .



ارهاب ، حتى حقت للحق على باطلها الغلبة ، ، فهي معروفة عند أكثر الأمة حقيقتها ، معلومة غايتها ، مفضوحة دوافعها ٠٠٠ » (١) ، ويذكر محمد البشير الابراهيمي أنه كان قد التقى بعبد الحميد بن باديس فى المدينة المنورة سنة ١٢٣٠ هـ / ١٩١٢ م وتشاورا فى شأن العمل للإسلام بالجزائر وانتهى بهما الرأى الى أن « البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين ( الشعب الجزائرى ) أت من جهتين متعاونتين عليه ، أو بعبارة أوضح من استعمارين مشتركين يمتصان دمه ويفسدان عليه دينه وديناه : استعمار مادي هو الاستعمار الاستعمار الفرنسى ، واستعمار روحانى يمثله مشايخ الطرق المؤثرون فى الشعب والمتغلغلون فى جميع أوساطه والمتجرون باسم الدين والمتعاونون مع عن رضا وطواعية ٠٠٠ والاستعماران متعاضان يؤيد أحدهما الآخر بكل قوته » وغرضهما معا تجهيل الأمة لتلا تفيق بالعلم ، وتفقيرها لتلا تستعين بالمال على الثورة ٠٠٠ ولقد كان من سداد الرأى أن يبدأ بمحاربة هذا الاستعمار الثانى ٠٠٠ » (٢) وقد تضمن القانون الأساسى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن « اعتقاد تصرف أحد من الخلق مع الله فى شىء ما شركه وضلال ، ومنه اعتقاد الغوث والديوان » ، وأن « بناء القبور ووقد السرج عليها والذبح عندها لأجلها والاستغانة بأهلها ضلال من أعمال الجاهلية ومضاهاة لأعمال المشركين » ، وأن « الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف ومبناها كلها على الغلو فى الشيخ والتحيز لأتباع الشيخ وخدمة دار الشيخ وأولاد الشيخ ، الى ما هنالك من استغلال واذلال واعانة لأهل الاذلال والاستغلال ، ومن تجميد للعقول وامانة للهمم وقتل للشعور » (٣) ، وقد حاولت السلطة الاستعمارية وأذئابها من الطرقيين اغتيال ابن باديس سنة ١٢٤٦ هـ / ١٩٢٦ م ثم عمد هؤلاء الى تلفيق التهم زورا لرجال حركة الإصلاح الإسلامى ، سواء الاتهامات فى ساحة القضاء أو الادعاءات التى تنشر بين الناس ، ومن ذلك أنهم قالوا ان ابن باديس وجماعته هم أتباع لمحمد بن عبد الوهاب ، كما قالوا أيضا

(١) مجلة الشهاب عدد المحرم ١٣٥٧ هـ / مارس ١٩٣٨ م .

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية ج ٢١ سنة ١٩٦٦ ص ١٤٣ وما بعدها .

(٣) القانون الأساسى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبخاصة

الفصل الرابع بعنوان ( دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائرية ) البنود من

رقم ١٤ الى رقم ١٦ .

انهم أتباع لمحمد عبده ، وكتب عبد الحميد بن باديس فى هذا الصدد مقالا بجريدة ( السنة المحمدية ) فى عددها الثالث سنة ١٣٥٢ هـ ( ٢٥ / ٩ / ١٩٣٣ م ) جعل عنوانه « عبدأويون ثم وهابيون ، ثم ماذا ؟ لاندري والله » ، بل ان نائباً من عملاء الوالى الفرنسى قد وصف « جمعية العلماء » بأنهم « مالكيون » ، وكان هذا الوصف تهمة أخرى !! ورد ابن باديس فى نفس العدد من الجريدة بقوله « ليت الناس كانوا مالكية حقا ، اذن لاطرحوا كل بدعة » ! والحق أن الذى يزور الجزائر المعاصرة ، يثلج صدره وتقر عينه الا يجد فى العامة من أهل مدنها وفى أهل بوادياها وأريافها ما يجده من نزعات قبورية وطرقية عند امثالهم فى كثير من المجتمعات الاسلامية الأخرى ، رغم تناثر قبور ( المرابطين - اى الأولياء الصالحين فى زعم الناس ، فى أنحاء البوادي والأرياف ، ممن يصعب تحقيق تاريخهم فى كثير من الأحيان ، فلا يعلم ان كانوا من مرابطين الجهاد أو العلم أو العبادة أو من الأفراد العاديين المغمورين أو من الأذعياء الزائفين ، بل انه ليس من المستبعد فى بعض الأحيان الا يكون تحت القبّة والضريح دفين على الاطلاق !! والذى يقارن حالة العامة الجزائيين بغيرهم فى بلدان المغرب والمشرق يستطيع أن يقدر العبء الجليل الذى نهض به الداعية الجزائرى المصلح واخوانه فى التمكين لعقيدة السلف من النفوس والعقول فى تلك البلاد المترامية الأطراف . وقد كتب مبارك الميلى أحد أعضاء الجمعية المبرزين كتابا موضوعه « الشرك ومظاهره » .



اما حسن البنا ( ١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ / ١٩٠٦ - ١٩٤٨ م ) فكان قد تأثر فى صباه بمؤثرات صوفية ، الا أنه حين أسس جماعته « الاخوان المسلمين » بمدينة الاسماعيلية الواقعة على ضفة قناة السويس سنة ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م كان قد تجاوز تأثير النزعة الصوفية على أنه كان يحرص منذ حداثته على التزام السنة حتى فى لباسه ، فكان يضع على رأسه وهو طالب بمدرسة المعلمين « عمامة ذات عذبة » ، كما كان يلبس نعلا كنعل الاحرام فى الحج ورداد فوق الجلباب ، وقد سأله عن زيه هذا مدير التعليم فأجابه كما يروى فى مذكراته « انه السنة » فقال له « وهل عملت كل السنن ولم يبق الا سنة الزى ؟ » لا ونحن مقصرون كل التقصير ولكن ما نستطيع أن نفعله نفعله »

وكان يطلق لحيته ، وقد واجه عند استهلاله دعوته فى الاسماعيلية انقساماً سابقاً بين « انصار السنة » و « الطرقية » فى المدينة ، فهو يروى فى مذكراته انه سئل ليلة فى أحد دروسه التى كان يلقيها بمسجد صغير عن « التوسل » وقد رأى امارات الفرقة والتحفز بين الناس فقال للسائل « يا أخى أظنك لا تريد أن تسألنى عن هذه المسألة وحدها ولكنك تريد أن تسألنى كذلك فى الصلاة والسلام ( على رسول الله صلى الله عليه وسلم ) بعد الأذان ، وفى قراءة سورة أهل الكهف يوم الجمعة ، وفى لفظ السيادة للرسول صلى الله عليه وسلم فى التشهد ، وفى أبوى النبى صلى الله عليه وسلم وأين مقرهما ، وفى قراءة القرآن وهل يصل ثوابها الى الميت أو لا يصل ، وفى هذه الحلقات التى يقيمها أهل الطسيق وهل هى معصية أو قرية الى الله ؟ » وهكذا كان الرجل واعياً بحقيقة الموقف ومواضع الخلاف والانكار ، وقد شاء أن يواجه الأزمة والخلاف بطريقة مرنة ٠ يروى فى مذكراته « ٠٠٠ وأخذت أسرد له ( للسائل ) مسائل الخلاف جميعاً التى كانت مثار فتنه سابقة وخلاف شديد فيما بينهم ، فاستغرب الرجل وقال : نعم أريد الجواب على هذا كله ، فقلت له : يا أخى انى لست بعالم ، ولكنى مدرس أحفظ بعض الآيات وبعض الأحاديث النبوية وبعض الأحكام الدينية من المطالعة فى الكتب وأتطوع بتدريسها للناس ، فإذا خرجت بى عن هذا النطاق فقد أخرجتنى ومن قال لا أدرى فقد أفتى ، فإذا أعجبك ما أقول ورأيت فيه خيراً فاسمع مشكوراً ، وإذا أردت التوسع فى المعرفة فسل غيرى من العلماء والفضلاء المختصين فهم يستطيعون افتاءك فيما تريد ، وأما أنا فهذا مبلغ علمى ولا يكلف الله نفساً الا وسعها ، فأخذ الرجل بهذا القول ولم يحر جواباً وأخذت عليه بهذا الأسلوب سبيل الاسترسال ، وارتاح الحاضرون أو معظمهم الى هذا التخلص ، ولكنى لم أرد أن تضيق الفرصة فالتفت اليهم وقلت لهم : يا اخوانى أنا أعلم تماماً أن هذا السائل وأن الكثير من حضراتكم ما كان يريد من وراء هذا السؤال الا أن يعرف هذا المدرس الجديد من أى حزب هو ؟ أمن حزب الشيخ موسى أو من حزب الشيخ عبد السميع ( وهما الرجلين اللذين كانا على رأس السلفيين والطرقيين فيما يبدو ) ، وهذه المعرفة لا تفيدكم شيئاً وقد قضيتم فى جو الفتنه ثمانى سنوات وفيها الكفاية ، وهذه المسائل اختلف فيها المسلمون مئات السنين ولا زالوا مختلفين ، والله تبارك وتعالى يرضى منا بالحب والوحدة ويكره منا الخلاف والفرقة ، فأرجوا أن تعاهدوا الله أن تدعوا هذه الأمور الآن وتجتهدوا فى أن

لتعلم أصول الدين وقواعده ونعمل باخلاقه وفضائله العامة وارشاداته المجمع  
 عليها ونؤدى الفرائض والسنن ، وندع التكلف والتعمق حتى تصفوا النفوس  
 ويكون غرضنا جميعا معرفة الحق لا مجرد الانتصار للرأى ، وحيثنأ نقتادوس  
 هذه الشئون كلها معا فى ظل الحب والثقة والوحدة والاخلاص ، وأرجو أن  
 تتقبلوا منى هذا الرأى ويكون عهدا فيما بيننا على ذلك ، وقد كان ، ولم نخرج  
 من الدرس الا ونحن متعاهدون على أن تكون وجهتنا التعاون وخدمة الاسلام  
 الحنيف والعمل له يدا واحدة وطرح معانى الخلاف واحتفاظ كل برأيه فيها  
 حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا . واستمر درس ( الزاوية ) بعد ذلك بعيدا  
 عن الجو الخلقى فعلا بتوفيق الله . . . . « على أن حسن البنأ كان يحاول  
 أن يصوغ فكر المستمعين اليه وأعضاء جماعته فى تدرج وبطء نحو العقيدة  
 الصحيحة ، وينزع بالناس نحو فهم السلف لحقائق الدين فى يسر ، ويحرص  
 على ألا تكون جماعته « طريقة » أخرى من طرق الصوفية ويأخذ بأيدى الناس  
 بعيدا عنها وان لم يشأ أن يصطدم مباشرة بها لتغلغلها وتأثيرها بمصر فى  
 العامة والخاصة على السواء . يقول فى مذكراته « ولكن الحق أننى لم أكن  
 متحمسا لنشر الدعوة على أنها طريق خاص لأسباب أهمها أننى لا أريد الدخول  
 فى خصومة مع أبناء الطرق الأخرى ، وأننى لا أريد أن تكون محصورة فى نفر  
 من المسلمين ولا فى ناحية من نواحي الاصلاح الاسلامى ، ولكنى حاولت جاهدا  
 أن تكون دعوة عامة قوامها العلم والتربية والجهاد وهى أركان الدعوة  
 الاسلامية الجامعة » . على أن حرص الرجل على ألا يتصادم هو مع الطرق  
 أو غيرهم من الجماعات الدينية لم يمنع غيره من أن يبدأ هو النزال والصدام  
 . . . . فانه ما كان يظهر اعجاب الناس بها ( بالدعوة ) والتفافهم حولها  
 وتقديرهم للعاملين لها حتى أخذت عقارب الحسد والضغينة تدب فى نفوس  
 نوى الأغراض ، وراحوا يصورون الدعوة والداعين للناس بصور شتى : فهم  
 قارة يدعون الى ( مذهب خامس ) ، وهم أحيانا شباب طائش ، وهم أحيانا  
 نفعيون مختلسون يأكلون أموال الناس بالباطل وهكذا ، « . . . وكتبوا عريضة  
 الى رئيس الحكومة ( وقتذاك ) ضمنوها أمورا غريبة منها أن هذا المدرس  
 شيوعى متصل بموسكو ويستمد المال من هناك . . . ومنها أن هذا المدرس  
 وفدى ( أى منتم للحزب المعارض للحزب الحاكم وقتذاك ) ويعمل ضد النظام  
 الحاضر . . . » وزعموا أن حسن البنأ يعرض فى دروسه ومحاضراته سيرة  
 أبى بكر الصديق أو سيرة عمر بن عبد العزيز ليغمز حكام مصر فى ذلك الوقت ،

وفشلت هذه المكائد ، وبدأ من الرجل حرصا على التزام السنة عملا وان شاء . أن يتوقى الجدال القولى على الملأ ، فقد حدث أن زار القاضى الشرعى لمدينة الاسماعيلية مع غيره من كبار الموظفين والوجهاء بالمدينة فى احدى ليالى رمضان « ٠٠٠ فقدم الينا فى أكواب من الفضة وجاء دورى فطلبت كوبا من زجاج فقط ، فنظر الى فضيلته مبتسما وقال ان المسألة خلافية فيها كلام طويل ونحن لم نفعل كل شىء حتى نتشدد فى مثل هذا المعنى ، فقلت يا مولانا انها خلافية الا فى الطعام والشراب فالحديث متفق عليه والنهى شديد ٠٠٠٠ ولا مناص من الامتثال ، وتدخل القاضى الأهلئ فقال « يا فضيلة القاضى ما دام هناك نص فالنص محترم ، ولسنا ملزمين بالبحث عن الحكمة وأيقاف العمل بالنص حتى تظهر ، فعلينا الامتثال أولا ثم ان عرفنا الحكمة فيها والا فذاك تصور منا والعمل على كل حال واجب » يقول صاحب المذكرات « فانتهزتها فرصة وشكرت له ، وقلت له مشيرا الى اصبعه : وما دمت قد حكمت فاخلع هذا الخاتم فانه من ذهب والنص يحرمه ٠٠٠٠ ( وبعد حوار قصير ) خلع خاتمه وكانت جلسة لها صداها فى جمهور يرى مثل هذا الموقف العادى أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو نصيحة فى الله » وحين فكر حسن البنا اخوانه فى احياء السنة بصلاة العيد بالصحراء « ٠٠٠ اذا بى أفاجا بحملة عنيفة من المتربصين بالدعوة بأن هذا ابتداء فى الدين وتعطيل للمساجد وافتاء بالباطل ، ومن ذا الذى يقول أن الشارع أفضل من الجامع ٠٠٠ وتصادف ائى كنت حينذاك معتكفا العشر الأواخر من رمضان بالمسجد العباسى ، فكان الناس يتقاطرون على عقب كل صلاة ويسألوننى عن هذه ( البدعة ) الجديدة !! فأنا استغرب هذه الحملة التى لا أساس لها وأقرر حكم الدين بكل بساطة وبراءة وأطلع الناس على النصوص الفقهية فى هذا المعنى وأتجنب الجدل والمراء وأوصى بجمع الكلمة والبعد عن الخصومة « ٠ وقد كان الرجل رسم لنفسه وجماعته خطة معينة فى هذا الأمر « مراعاة لما أعلم من سرعة انقسام الآراء فى هذا البلد حول المسائل الدينية لشدة حساسيته ولقرب عهده بالخلافات الماضية ، اشترطت ألا نخطو خطوة حتى نستشير العلماء ونتفق معهم على أسلوب التنفيذ ، فان وافقوا فذاك والا فان اجتماع الآراء على خلاف الأولى أفضل من افراقها وتشتيت الكلمة على ما هو أفضل » ، لكن جمهور المسلمين اذا بصر بالحق جند نفسه للدفاع عنه واتخذ هو المبادرة « وتجمع الجمهور للحق والسنة وأعلنوا أن الصلاة ستكون بظاهر البلد وأعدوا المصلئ لذلك فعلا » .

ويتوقى فى ذلك المصادمة والمهاجمة قدر طاقته « ٠٠٠ » وخلال كل مجلس من مجالسه تطرق باب العقيدة الصحيحة فينميها ويقويها ويثبتها بما ورد من آيات الكتاب الحكيم وأحاديث الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم وسسير الصالحين ، ولا يعمد كذلك الى نظريات فلسفية أو فقهية منطقية وإنما يلفت الأنظار الى عظمة البارئ فى كونه والى جلال صفاته ويذكر بالآخرة لا يعدو جلال القرآن الكريم فى هذه المعانى كلها ، ثم لا يحاول هدم عقيدة فاسدة الا بعد بناء عقيدة صالحة وما أسهل الهدم بعد البناء وأشق قبل ذلك « ٠٠٠ »

وكلما مرت الأيام ازداد فكر الرجل تبلورا لا بشأن الحرص على التزام فهم السلف للإسلام فحسب ، بل بشأن « المواجهة » الصريحة للمخالفين قولاً وعملاً ، فهو يشير فى آخر ما نشر من مذكراته التى انتهت عند وقائع سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م الى حضور شخص الى الاسماعيلية « يدعو الى الطريقة ٠٠٠٠ وأنا انما وقفت نفسى لدعوة أرى أنها خير السبل للإصلاح الإسلامى ، وأمثال هؤلاء يريدون تحويلها وتشكيلها بشكل دعواتهم وذلك ما لا أريده ٠٠ لقد أن الأوان الذى أعزّل فيه عن كل هذه الدعاوى المشتبهة ، واكشف فيه عن الغاية للإصلاح الإسلامى الذى يتلخص فى الرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله وتطهير العقول من هذه الخرافات والأوهام وارجاء الناس الى هدى الإسلام الحنيف » (١) ٠

وقد أوضح حسن البنا كتابة الأصول العقيدية فى رسالته « التعاليم » التى يبدو أن تاريخ صدورها مقترن بيوم بيعة الصف الأول من الاخسوان المسلمين فى ٥ من ربيع الأول سنة ١٣٥٩ هـ أو قريب منه وقد جاء فيها ضمن ركن « الفهم » من أركان البيعة العشرة : « الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء وهو مادة وثروة أو كسب وغنى بسواء ، والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم فى التعرف على أحكام وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة كما عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء

(١) حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية - ط ٢ بيروت سنة ١٣٦٦هـ/

١٩٦٦ م ص ٢٠ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٢٦

بسواء ، والقرين الكريم والسنة المطهرة مرجع لكل مسلم فى التعرف على أحكام الاسلام ويفهم القرآن ( والسنة ) طبقا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف ويرجع فى فهم السنة المطهرة الى رجال الأحاديث الثقات . وللايمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله فى قلب من يشاء من عباده ، ولكن الالهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية ولا تعتبر الا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه . والتمايم والرقى والودع والرمل والكهانة وادعاء معرفة الغيب وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته - الا ما كان من آية من قرآن أو رقية مأثورة . . . وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك الا المعصوم صلى الله عليه وسلم ، وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقا للكتاب والسنة قبلناه والا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع ، ولكننا لا نعرض للأشخاص فيما اختلف فيه بطعن أو تجريح ونكلهم الى نياتهم وقد أفضوا الى ما قدموا ، ولكل مسلم يبلغ درجة النظر فى أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع اماما من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع فى تعرف أدلته وأن يتقبل كل ارشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده . . . وأن يستكمل نقصه العلمى ان كان من اهل العلم حتى يبلغ درجة النظر . والخلاف الفقهى فى الفروع لا يكون سببا للتفرق فى الدين ولا يؤدى الى خصومة ولا بغضاء ولكل مجتهد أجره ولا مانع من التحقيق العلمى التنزيه فى مسائل الخلاف فى ظل الحب فى الله والتعاون على الوصول الى الحقيقة من غير أن يجر ذلك الى المراء المذموم والتعصب . وكل مسألة لا يبنى عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذى نهينا عنه شرعا من ذلك كثرة التفريعات للأحكام التى لم تقع والخوض فى معانى الآيات القرآنية الكريمة التى لم يصل إليها العلم بعد والكلام فى المفاضلة بين الأصحاب رضوان الله عليهم وما شجر بينهم من خلاف ولكل منهم فضل صحبته وجزاء نيته وفى التأول مندوحن ومعرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الاسلام ، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يتعلق بذلك من المتشابهة تؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء ويسعنا ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ( والراسخون فى العنم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ) . وكل بدعة فى دين الله لا أصل لها استحسناها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التى لا تؤدى الى ما هو شر منها . والبدعة الاضافية والتركين والالتزام فى العبادات المطلقة خلاف

فقهى اكل فيه رأيه ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان . ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة الى الله تبارك وتعالى ، والأولياء هم المذكورون فى قوله تعالى ( الذين آمنوا وكانوا يفتقون ) والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فى حياتهم أو بعد مماتهم فضلا عن أن يهبوا شيئا من ذلك لغيرهم ، وزيارة القبور أيا كانت سنة مشروعة بالكيفية المثورة ، ولكن الاستعانة بالقبورين أيا كانوا ونداءهم لذلك وطلب الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشديد القبور لهم وسترها واضاعتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كـبائتر تجب محاربتها ، ولا نتأول لهذه الأعمال سدا للذريعة . والدعاء اذا قرن بالتوسل الى الله بأحد من خلقه خلاف فرعى فى كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة ، والعرف الخاطيء لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية بل يجب التأكيد من حدود المعانى المقصود بها والوقوف عندها كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظى فى كل نواحى الدنيا والدين فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء ، والعقيدة أساس العمل ، وعمل القلب ؟ هم من عمل الجارحة وتحصيل الكمال فى كليهما مطلوب شرعا وان اختلفت مرتبة الطلب » (١) .

رواضح من هذه « التعاليم » التى وجهها حسن البنا الى جماعته حرصه على تثبيت الاعتقاد على منهج السلف ، ولا يغضن من ذلك ايثاره الحكم على « الاستعانة بالمقبورين والنذر لهم وسترها واضاعتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات » بأنها « كبائتر » وليست شركا أو كفرا ، فلعله راعى تفتشى الأمية والجهالة بين الواقعيين فى ذلك من بنى قومه وقتذاك بحيث أنهم لا يدركون المعنى الحقيقى والدلالة الصريحة الصحيحة لما يقولون أو يفعلون ، وقد الحق بذلك ذكر معايير وضوابط دقيقة للتحرى والحكم ، حيث أعقب ذلك مباشرة بقوله « والعرف الخاطيء لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية بل يجب التأكد من حدود المعانى المقصود بها والوقوف عندها كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظى فى كل ناحية من نواحى الدنيا والدين فالعبرة

(١) مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا - مؤسسة الرسالة :



بالمسميات لا بالأسماء » . كذلك لا يغضن من حرص الرجل على نهج السلف في الاعتقاد أنه ذكر أن « الدعاء اذا قرن بالتوسل الى الله بأحد من خلقه **خلاف فرعى في كيفية الدعاء** وليس من مسائل العقيدة » ، فيبدو أنه قد أثر أخذ الأمر على أيسر وجوهه وما يجمع الناس ولا ينفهم من القول بالتكفير ، ولا سيما أن ظلمات الجهل والتقليد كانت تخيم على العقول والقلوب ، حتى غابت دلالات العقل ومعاني الألفاظ وحقائق آيات الكتاب التي تتلى بين الناس بكرة وعشيا .

ولحسن البنا رسالة مفردة في « العقائد » لم تتم فصولها ونلاحظ فيها انه عرض عرضا مجملا صفات الله في القرآن ، واعتمد على ذكر آيات الكتاب الكريم التي وصف الله بها نفسه ، مع تعقيب بذكر ما ورد من صفات اصطلاحية عند الأشاعرة وغيرهم من المتكلمين ، فهو يورد مثلا قوله تعالى « **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** » ( الحديد/ ٣ ) وقوله تعالى « **كل شيء هالك الا وجهه** » ( القصص/ ٨٨ ) ثم يقول « وفي هذه الآيات الكريمة إشارة الى صفتي **القدم والبقاء لله تعالى** » ، ويورد قوله تعالى « **يأيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد** » ( فاطر/ ١٥ ) وقوله تعالى « **ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا** » ( الكهف/ ٥١ ) ثم يقول « وفي ذلك إشارة الى قيامه تعالى بنفسه واستغنائه عن خلقه . . . » . وقد أورد الكاتب في رسالته مذهبي السلف والخلف في آيات الصفات وأحاديثها فقال عن مذهب السلف « أما السلف رضوان الله عليهم فقالوا نؤمن بهذه الآيات والأحاديث كما وردت ونترك بيان المقصود منها لله تبارك وتعالى ، فهم يثبتون اليد والعين والأعين والاستواء والضحك والتعجب . . . الخ ، وكل ذلك بمعان لا ندرکها ونترك الله تبارك وتعالى الاحاطة بعلمها » ثم يقول بعد ايراد آراء الخلف « **ونحن نعتقد أن رأى السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني الى الله تبارك وتعالى أسلم وأولى بالاتباع حسما لمادة التأويل والتعطيل ، فان كنت ممن أسعده الله بطمأنينة الايمان وأثلج صدره ببرد اليقين فلا تعدل به بديلا** » ونعتقد الى جانب هذا أن تأويلات الخلف لا توجب الحكم عليهم بكفر ولا فسوق ولا تستدعى هذا النزاع الطويل بينهم وبين غيرهم قديما وحديثا ، وصدر الاسلام أوسع من هذا كله . وقد لجأ أشد الناس تمسكا برأى السلف رضوان الله عليهم الى التأويل في عدة مواطن ، وهو الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه من ذلك تأويله لحديث ( الحجر الأسود

يمين الله فى أرضه ) وقوله صلى الله عليه وسلم ( قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن ) ٠٠٠ وقد بانث للامام النووى رضى الله عنه ما يفيد قرب مسافة الخلاف بين الرأيين ٠٠٠٠٠ وخلاصة البحث أن السلف والخلف قد اتفقا أن المراد غير الظاهر المتعارف بين الخلق وهذا تأويل فى الجملة ، واتفقا كذلك على أن كل تأويل يصطدم بالأصول الشرعية غير جائز فأنحصر الخلاف فى تأويل الألفاظ بما يجوز فى الشرع ٠٠٠ وأهم ما يجب أن تتوجه اليه هم المسلمين الآن توحيد الصفوف وجمع الكلمة ما استطعنا الى ذلك سبيلا . على أن حسن البناء يورد فى هذه الرسالة عقب نقل أقوال السلف فى آيات الصفات وأحاديثها « اعلم رحمك الله أن العصمة فى الدين أن تنتهى حيث انتهى بك ولا تجاوز ما قد حد لك ، فان من قوام الدين معرفة المعروف وانكار المنكر ، فما بسطت عليه المعرفة وسكنت اليه الأفئدة وذكر أصله فى الكتاب والسنة وتوارث علمه الأمة فلا تخافن فى ذكره وصفته من ريك ما وصف من نفسه عينا ولا تكلفن بما وصف من ذلك قدرا ، وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره فى كتاب ريك ولا فى الحديث عن نبيك من ذكر صفة ريك فلا تتكلفن علمه بعقلك ولا تصفه بلسانك واصمت كما صمت الرب عنه من نفسه ، فان تكلفك معرفة ما لم يصف به نفسه مثل انكارك ما وصف منها ، فكما أعظمت ما جمع الجاحدون مما وصف من نفسه فكذاك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها ٠٠٠٠٠ » (١)

وبعد ، فالحق أن اهتمام حسن البناء بتصحيح الاعتقاد ، ووجوب انتهاج نهج السلف فيه ، وعدم الانشغال عن ذلك بالدعوة العامة للإسلام دون تفصيل وبيان أو بتنظيم الجماعة والاستكثار من فروعها وأنصارها أو بجهد الاستعمار ومواجهة الأحداث السياسية فى مصر والعالم الإسلامى ، يومية الى فطنة الرجل وحسن معرفته بالإسلام وأهمية العقيدة فيه وأهميتها لكل اصلاح يدعى اليه بين المسلمين ، كما يومية الى دوى الدعوة السلفية للشيوخ محمد بن عبد الوهاب الذى ولا يزال يتردد ويتجدد عبر السنين والأجيال .

كذلك فان دعوة أبى الأعلى المودودى ( ١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ / ١٩٠٣ - ١٩٧٩ م ) فى شبه القارة الهندية على شمول مقاصدها فى اصلاح جوانب الحياة جميعا بهدى الاسلام الشامل الكامل كما ورد فى كتاب الله الكريم وسنة نبيه المبعوث رحمة للعالمين ، قد أسست بناءها على العقيدة الصحيحة ، وأقامت عليها « الجماعة الاسلامية » التى تكونت فى لاهور سنة ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م وما زالت قائمة حتى الآن فى دول شبه القارة الهندية ٠٠٠٠ يقول المودودى فى مستهل رسالته « مبادئ الاسلام » : « الكفر جهل ، بل الجهل الحقيقى هو الكفر ! أى جهل أكبر وأدهى من جهل ما لا يعرف ربه ، يشاهد هذا الكون دائبا على عمله ليل نهار ثم لا يعرف من خلقه وأوحى اليه الدأب على عمله ؟ ٠٠٠٠ الكفر ظلم ، بل أعظم الظلم وأشنؤه هو الكفر ٠٠٠ وقد عرفت أن كل ما فى السموات والأرض من شىء مذعن لأمر الله ، والذى يكفر بالله انما يتصرف فى أعضاء جسده على وجه لا يوافق فطرتها ٠٠٠ ليس الكفر بظلم فحسب بل هو بغى وعدوان وجحود وكنود أيضا ، أو ترى الانسان مالكا لشىء مما يجده بين يديه ؟ من ذا الذى خلق عقله ودماعه ؟ ٠٠٠٠ فقل لى بالله : هل هناك كفر أقطع من كفر من لا يؤمن بالله ويأبى أن يقر له بالألوهية والربوبية ويعرض عن طاعته وامتنال أمره ؟ ٠٠ » ثم يقول الكاتب فى الفصل التالى « ان أول ما يجب على الانسان بهذا الصدد أن يكون موقنا من قلبه بوجود الله تعالى ٠٠٠ وكذلك يجب عليه أن يعرف صفات الله تعالى ، فانه اذا لم يعرف أن الله واحد لا شريك له فى ألوهيته ، فكيف يتردد عن طأطأة رأسه ومد يده أمام غير الله ؟ ٠٠٠ فكل من عرف توحيد الله وصفاته الحقيقية وقانونه ومجازاته لعباده على أعمالهم يوم القيامة ثم كان موقنا بكل ذلك من قرارة نفسه هو المؤمن ، ومن نتائج الايمان أن يكون الانسان مسلما أى مطيعا لله ومتبعيا لقانونه » . ويوضح المودودى أهمية العقيدة الصحيحة فى تمييز المؤمنين فيذكر أن « الذين لا يؤمنون بالله ولكنك تراهم ظاهرا يأتون بأعمال تشابه أعمال المسلمين فهم البغاة فى حقيقة الأمر ، وأما أعمالهم التى تراها صالحة فى الظاهر فليست بطاعة لله ولا باتباع لقانونه فلا عبرة بها » ، فى حين أن أصحاب العقيدة الصحيحة « الذين يؤمنون بالله ولكن لا يجعلهم ايمانهم مطيعين له متبعين لأحكامه اتباعا كاملا ، فهؤلاء وان كان ايمانهم لم يبلغ درجة الكمال لكنهم مسلمون على كل حال يعاقبون بقدر معصيتهم » . ثم يعود الكاتب فى فصل لاحق لذكر الايمان مفصلا « فلما لم يكن هناك من سبيل الى معرفة ذات

الله تعالى وصفاته والطريق الذي يرضاه من عباده لقضاء حياتهم والكيفية الصحيحة لما يحصل لهم فى الآخرة من ثواب أو عقاب على أعمالهم الا بالنبي المبعوث من عند الله تعالى كان التعريف الصحيح لدين الاسلام أن تؤمن بتعاليم النبي ونعبد الله وفقا لهديته ٠٠٠٠ وأول وأهم ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تؤمن به هو لا اله الا الله ، وهذه الكلمة هى التى يقوم عليها بناء الأسس وهى التى تميز المسلم من الكافر والمشرك والملحد وهى التى تحدث الفرق العظيم بين الانسان المؤمن بها والانسان المعرض عنها ٠٠٠ ولا يأتى هذا هذا الفرق العظيم بين الرجلين بمجرد نطق أحدهما بكلمة ٠٠٠ الحق أن الفرق الحقيقى لا يحصى الا اذا نزل معنى هذه الكلمة فى سـويداء قلبك وأيقنت بصدقها كل الايقان ٠٠٠ وعليك أن تعرف الآن ما هو ( الاله ) ، فمعناه لغة المستحق للعبادة أى من كان من حيث كبريائه وجلالة شأنه وعلو منزلته جديراً بأن يعبده الناس ويطنطئوا له رعوسهم فى العبادة ، وكذلك يشمل معنى الاله أنه القوى قوة جبارة يتحير العقل الانسانى فى ادراك مداها ، وكذلك يتضمن من كان غير محتاج الى أحد وكان الجميع محتاجين اليه مضطرين الى الاستعانة به فى جميع شئون حياتهم ٠٠٠٠ فمعنى لا اله الا الله انه ليس فى هذا الكون أحد جدير بأن يعبده الناس ويسجدوا له بالطاعة والعبادة الا الله ٠٠٠ وتعال نبين لك كيف يؤثر الاقرار بالتوحيد فى حياة الانسان ولماذا يكتب الاخفـاق والخسران لمن لا يؤمن بهذه الكلمة ٠ لا يمكن أن يكون المؤمن بهذه الكلمة ضيق النظر فانه يؤمن بالذى خلق السموات والأرض ويملك مشـارق الأرض ومغاريها. وهو رب العالمين يرزقهم ويربيهم ٠ فهو لا يستغرب شيئاً فى هذا الكون بعد هذا الايمان ٠٠٠ وليس فى هذا الكون شىء يقوم فى وجهه ويحد عليه عاطفة الحب والمواساة وخدمة الناس ، بل هو واسع النظر لا يضيقه شىء كما لا يضيـق شىء ملك الله تعالى ٠٠٠ والايمان بهذه الكلمة ينشئ فى الانسان من الألفة وعزة النفس ما لا يقوم دونه شىء ٠٠٠ فهذا العلم اليقيني يغنيه عن غير الله وينزع من قلبه خوف سواه فلا يطأطئ رأسه أمام أحد من الخلق ولا يتضرع اليه ولا يرتعب منه ٠٠٠ وفى الوقت نفسه ينشئ الايمان بهذه الكلمة التواضع فى الانسان ، فالذى يقول بأن لا اله الا الله لا يمكن أن يكون بطرا متكبرا ، ٠ ثم يذكر المودودى فى فصل عن « العبادات » : « العبادة هى العبودية معنى وحقيقة ، فكل ما يأتى به العبد فى طاعة معبوده هو العبادة ٠٠٠ ان خوفك الله تعالى فى كل شأن من شئون

حياتك وفى كل حين وجعلك مرضاة الله نصب عينيك واتباعك لقانونه ورفضك لكل منفعة تنالها أو يمكن أن ينالها بمعصيته وصبرك على كل مضرة تصيبك أو يمكن أن تصيبك بطاعته ذلك كله من عبادتك لله تعالى . وحياتك بهذا الطريق من أولها الى آخرها عبادة ٠٠٠ وقد افترض الاسلام على الانسان مجموعة من العبادات تهيئه لهذه العبادة الكبيرة ( الشاملة ) « . ثم يعرض الكاتب لأنحرافات التصوف ويقول « لا يحل لصوفى أن يتحلل من الصلاة والحج والزكاة ، ولا يحق له أن يخالف حكما بينه الله ورسوله الكريم فى شأن من شئون الاقتصاد والاجتماع والمعاشرة والأخلاق والمعاملات والحقوق والواجبات وحدود الحلال والحرام ٠٠٠ انما التصوف فى حقيقة الأمر حب صادق لله ورسوله وولوع بهما وتفان فى سبيلهما والذى يقتضيه ذلك كله ألا ينصرف المسلم قيد شعرة عن اتباع أحكام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وانما القيام بأحكامها بغاية من الاخلاص وصفاء النية وطهارة القلب » . ويعمد المودودى حترق الله عز وجل « أولها أن يؤمن به ولا يشرك به ولا يتخذ غير اله والاريا ، والثانى أن يذعن اذعاننا تماما لما جاء به سبحانه من عنده من الحق والهداية ويؤدى هذا الحق بالايمان بمحمد رسول الله صلوات الله عليه ، والثالث أن يطاع عز وجل ويؤدى هذا الحق باتباع شريعته كما بينها كتاب الله المجيد وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والرابع أن يعبد بأداء الفرائض والواجبات ٠٠٠ » وينكر الكاتب على من زعم « أنه لابد عند الله من شفاعة الشافعين من الأولياء والأرواح المقدسة واتخاذهم اليه وسيلة فهكذا يبقى فى الذهن كثير من الأوهام الواهية على الرغم من اعتقاد التوحيد ولأجلها يتورط فى أحوال الشرك والكفر . وذلك من نتائج الجهالة » (١)

وقد أجملت « الجماعة الاسلامية » دعوتها فى خطاب ألقاه المودودى فى اجتماع لها بقرية دار الاسلام فى الهند فى شهر ابريل سنة ١٩٤٥ م وكان عنوانه « الدعوة الاسلامية فكرة ومنهجها » ، وجاء فى بيان أصول هذه الدعوة « دعوتنا للبشر كافة والمسلمين خاصة أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئا ولا يتخذوا اله والاريا غيره ، ودعوتنا لكل من أظهر الرضا بالاسلام

(١) المودودى : مبادئ الاسلام - طبعة الاتحاد الاسلامى العالمى للمنظمات وطلايبية سنة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ص ١٠ - ١٣ ، ٦٥ - ٢٦ ، ٢٨ - ٣٠ ، ٧٨ - ٨٢ ، ٨٨ ، ٩٢ - ٩٣ ، ١٢٨ ، ١٣٠ - ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٥

دينا أن يخلصوا دينهم لله ويزكوا أنفسهم من شوائب النفاق وأعمالهم من التناقض » . ويذكر المودودي في خطابه سالف الذكر « ان العبودية لله الواحد الأحد التي ندعو اليها ليس المراد بها أن يقر العبد بعبوديته لله تعالى شأنه ثم يبقى في حياته العملية حرا طليقا كما كان من قبل في حياته الجاهلية ، وكذلك ليس المقصود من عبودية العبد لله أن يعتقد كونه تعالى خالقا للكون رازقا لمن في الأرض مستحقا للعبادة من جميع خلقه من غير أن يكون له سلطان في هذه الحياة الدنيا ومسائلها وشؤونها المتعددة المتشعبة ٠٠٠٠ والذي نراه ونجزم به ونعقله وندعو الناس اليه أن العبودية التي دعا اليها رسل الله الكرام من لدن أبى البشر آدم عليه السلام الى سيدنا وسيد المرسلين وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم المراد بها أن يقر العبد ويعتقد أنه ما من اله الا الله الفرد الصمد الحاكم بين عباده السيد المطاع فى خلقه المالك لأموارهم المتصرف فى شئونهم المجازى على أعمالهم المشرع لهم وأن يسلم نفسه لله العزيز المقتدر ويخلص دينه له تعالى وحده ويذعن لعبوديته فى كل شأن من شئون حياته الفردية منها والجماعية ٠٠٠ » كما يقول فى خطاب آخر بالاجتماع السنوى للجماعة بكراتشى فى نوفمبر سنة ١٩٥١م « ليس لتوطيد العلاقة بالله الا طريق واحد هو أن يؤمن الانسان به وحده ربا والها لنفسه ولسائر المخلوقات فى السموات والأرض ، ولا يعتقد صفات الألوهية وحقوقها وصلاتها الا مختصة به سبحانه وأن يطهر قلبه من كل شائبة من شوائب الشرك » (١) .

ويذكر المودودي فى « موجز تاريخ تجديد الدين وحيائه » : « ان الذين بلغهم تعليم الأنبياء وآمن أهلها بألوهية الواحد القهار قد زال عنهم الاعتقاد بسائر أنواع الالهة ولكن بقيت ألوهية الأنبياء والأولياء والشهداء والصالحين والمجاذيب والأقطاب والأبدال والعلماء والمشايخ والملوك الملقبين بظل الله فى الأرض - بقيت ألوهية كل أولئك تجد سبيلها الى عقائدهم من هذا الطريق او ذاك . واتخذت العقول الجاهلة عباد الله الصالحين الذين صرفوا أعمارهم فى ابطال ألوهية العباد واقرار ألوهية الله تعالى وحده آلهة لها عوضا عن آلهة المشركين . فمن جانب ابتدعوا مكان شعائر المشركين وتقاليدهم شريعة

(١) المودودي : تذكرة دعاة الاسلام - مطبوعات الجماعة الاسلامية

بباكستان - لاهور - ط ٢ سنة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

جديدة من أعمال الفاتحة وزيارات القبور وتقديم الذنور والصدقات والاحتفال بذكرىات الموتى ووضع الصندل والتحف على الأضرحة ورفع الرايات والأعلام على توابيت الشهداء ، ومن جانب آخر أنشأوا من غير بينة علم خرافات قائم برأسه عن خوالد أولئك الصالحين ووفياتهم وظهورهم وغيابهم وكما لاتهم وخوارق عاداتهم وتصرفاتهم وتقربهم الى الله تعالى - يضارع من جميع الوجوه خرافات المشركين ويئاظرها ، ومنهم من جعلوا كل ما يكون بين الله وعباده من الأعمال منوطا أمرها بأولئك الصالحين بعد أن موهوها بطلاء من المصطلحات كالتوسل والمدد والتبرك ٠٠٠ فأصبحت الحال عند هؤلاء فى واقع الأمر كما هى عند أهل الشرك الذين يعتقدون أن الملك الأعلى أبعد جدا من أن يصل اليه الانسان ، ولا تتصل جميع شئون حياة الانسان الا بعماله التابعين له ، ولم يعد بينهما من فرق سوى أن أولئك يصرحون بتسمية أولئك العمال آلهة وأوثانا أو مظاهر للاله أو أبناء الله ، وهؤلاء يخفون مكانهم من وراء حجب المصطلحات الأغوات والأقطاب والأبدال والأولياء وأهل الله وما شاكلها من الألقاب ٠٠٠٠ وما زال هذا النوع من الجاهلية - جاهلية الشرك - يقارن الجاهلية المحضة ويظاهرها فى عصور التاريخ ٠٠٠ « (١) .

ويبين المودودى « ان القرآن قد بين فى مواضع كثيرة أن الكفار والمشركين الذين كانوا فى نزاع مستمر مع الأنبياء لم يكونوا من المنكرين لوجود الله ، بل كانوا يعترفون له بخلق السموات والأرض وبخلق أنفسهم وبأنه هو الذى يدبر الأمور ٠٠ ويوضح لنا القرآن أن الرسل كانوا يقولون فى دعوتهم لهم : ان الذى خلق السماء والأرض وخلقكم إنما هو ربكم والهكم فلا تجعلوا لكم الها وربا من دونه ولا تجعلوا له أندادا ، ولكنهم لم يكونوا مستعدين لقبوله ٠٠٠ والعبادة ليست بمعنى الشعائر والمناسك فحسب بل العبد الذى يعيش عيشة العبودية لله فحياته كلها عبادة ، سواء الصلاة والركوع والسجود والجد والسعى فى طاعته والقيام بكل ما يأمر وينهى والانقياد له والطاعة فى

---

(١) المودودى : موجز تاريخ تجديد الدين وحيائه ، وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم فى مجلد واحد - دار الفكر - بيروت ط ٣ سنة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م ص ٢٣ - ٢٥ .

كل ما سن من شرع وانماصبه لكل ما يخالف أمره وتضحية النفس وبذل المهج فى سبيل رضاه - هذه كلها عبادة وهذا هو المعنى الحقيقى للعبادة ٠٠٠٠ وان نوعا من البشر يدعى الألوهية والربوبية بشرا من غير استخفاء ، وهناك نوع آخر لم يتهياً له مثل تلك القوة والوسائل ، فهم يتسلحون بأسلحة من الشعوذة والدجل ٠٠٠٠ ومنهم رجال يحترفون الكهانة والتنجيم واستخراج الفآل وكتابة التعاويذ والرقى ، ومنهم من يعترفون بأنهم عباد لله ولكنهم يرون أنه لا يمكن الوصول اليه تباركت أسماؤهم مباشرة من دون وساطة ٠٠٠٠ فقد تبين لك أن ألوهية الناس على الناس انما هى أصل جميع ما منى به البشر اليوم من البؤس والشقاء ٠٠٠٠ وليس لهذا بالألوهية والربوبية فهذا هو الطريق الوحيد لنجاة البشر من براثن نئاب الانسانية وقطاع سبيل البشرية « (١) » .

ولقد دأب المودودى على اطلاق وصف « الجاهلية » على كل مجتمع يسوده تأليه غير الله أو اشراك آلهة أخرى معه سبحانه ، ولو كان أفراده يتسمون بأسماء المسلمين ويتخذون مظاهر سلوكهم . ويشهد هذا بتأثير عميق للدعوة السلفية فى فكر هذه الجماعة القائمة فى الهند - الأرض التى تزخر من قديم بعقائد متباينة وتراث من أفكار ورياضات روحية تسرب الى عقائد المسلمين وشعرائهم فى بعض الأحيان .

### صور أخرى لتأثير الدعوة السلفية فى الجماعات الإسلامية المعاصرة :

وثمة صور أخرى لتأثير الدعوة السلفية التى اضطلع بها الشيخ محم ابن عبد الوهاب فى الجماعات الإسلامية المعاصرة وأولى هذه الصور قيام جمعيات أنصار السنة بوجه خاص والجمعيات السلفية بوجه عام فى أنحاء العالم الإسلامى ، تدعو الى التمسك بالكتاب والسنة وتحارب ما طرأ على العقيدة الإسلامية من انحرافات تصل الى الشرك أحيانا ، وما طرأ على شعائر العبادة من بدع ، وتوجه الى التزام السنة فى القول والمظهر والسلوك ، وتكاد أن تحصر نشاطها فى هذا المجال فلا تشغل نفسها بغير ذلك من المشكلات

(١) رسالة « نظرية الاسلام السياسية » للمودودى ، وانظر رسالته

« الدين القيم » .



الاجتماعية والسياسية العامة للمسلمين بل تركز جهودها على تصحيح العقيدة والعبادة وتؤمن بأن هذا سوف يكون أساسا لاصلاح آخر . ومن ذلك جماعة أنصار السنة بمصر التي أسسها محمد حامد الفقى رحمه الله ، كما قامت جماعة أنصار السنة بالسودان سنة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م تدعو الى التوحيد الخالص المطهر من جميع أنواع الشرك والتزام صريح الكتاب وصحيح السنة ومجانبة البدع ومحدثات الأمور والقضاء على الخرافات والتقاليد المخالفة لهدى الاسلام (١) .



بل أن تأثير الدعوة السلفية قد وصل الى الطرق الصوفية نفسها ، فقامت محاولات لاصلاح الطرق الصوفية من داخلها ، يقول الشيخ محمد رشيد رضا « لما هاجرت الى مصر سنة ١٣١٥ هـ / ١٨٩١ م كان أول اصلاح سعيت اليه أن حاولت اقناع مشايخ الطرق الصوفية ( الشيخ البكرى ) بالقيام بهذا الاصلاح ، كلمته بذلك قبل اصدارى ( المنار ) ثم ما زلت ألح عليه فى ذلك وهو يسوف مع الاستحسان ، حتى عمد الى وضع لائحة رسمية ولائحة داخلية ثم وضع كتابا فى الاخلاق والآداب . ثم انه سألنى عن رأى فقلت : أن الاصلاح لا يقوم الا برجال من أهل العلم الصحيح والأخلاق والغيرة يناط بهم أمر هذه الطرق كلها ، ثم علمت بعد طول السعى أن ما حاولت من الاستعانة بهذه السلطة الرسمية على هذا الاصلاح الروحى يكاد يكون من محالات العادات ! » (٢) .

والشيخ محمد توفيق البكرى كان نقيب الأشراف وشيخ مشايخ الطرق الصوفية بمصر وكان شاعرا اديبا ( ١٢٨٧ - ١٣٥١ هـ / ١٨٧٠ - ١٩٣٢ م ) ولم تكن الطرق الصوفية مهيئة لأى اصلاح بحكم أصول قيامها وكيانها ، وتصور قابليتها للاصلاح بحيث تكون الطرق الصوفية سلفية هو تصور لاجتماع

---

(١) عبد المجيد عابدين : الثقافة العربية فى السودان ص ١٧١ .  
(٢) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام - دار المنار بالقاهرة

المتناقضات أو لمحاولات العادات - كما عبر الشيخ محمد رشيد رضا بعد تجربة ! وإنما موضع الملاحظة والدلالة أن الطرق الصوفية ذاتها ومشيختها قد شعرت بحاجتها الى الإصلاح تحت وطأة النقد الذى أثارته الدعوة السلفية ٠٠٠٠ وما زال شيوخ مشايخ الطرق الصوفية المتعاقبين فى مصر يبحثون فى اصلاح الطرق أو تحقيق المجال حتى اليوم !!



وثمة نزوع عند البعض الى اقامة جماعات صوفية سلفية مستحدثة النشأة ، وأصحاب هذه النزعة آمنوا باستحالة اصلاح الطرق وهم يميلون الى التربية الصوفية ، لكن تأثير الدعوة السلفية على عقولهم وقلوبهم قد دفعهم الى محاولة اقامة جماعات صوفية جديدة على غير قواعد الطرق ، تركز على اصلاح النفوس بالتربية الصوفية بشرط أن يمحص كل ما يبذل من محاولات لتزكية النفس بالصلاة أو الصوم أو الدعاء أو غير ذلك فيأتى موافقا للكتاب والسنة وتزكى العلاقة بين المريد والشيخ أو بين المريى والمربى ، اذا تجنبنا المصطلحات الصوفية المتعارف عليها وكذلك العلاقات بين أعضاء الجماعة بحيث تقوم على أخلاق الاسلام وأدابه ، وبالنسبة للثقافة الصوفية أو كتب الوعظ والتذكير يعتمد هؤلاء على ما ينسب للحسن البصرى ، وكتاب عبد الله بن محمد بن على الهروى الأنصارى ( ت ٤٨٢ هـ ) « منازل السلف » وشرحه « مدارج السالكين » لابن القيم وبعض كتابات عبد الرحمن بن الجوزى ( ت ٥٩٦ هـ ) وبعض كتابات ابن القيم ( ٧٥٠ هـ ) مثل « الروح » أو « حادى الأرواح الى بلاد الأفراح » .

ومن أمثلة هذه الجماعات : العشيرة المحمدية فى مصر التى أنشأها أحد علماء الأزهر الذى كان من أوائل الذين حصلوا من الجامع الأزهر على درجة العالمية من درجة أستاذ هو الشيخ محمد زكى ابراهيم ، وللجماعة صحيفة تسيير على منهجها فى التوجيه هى مجلة المسلم ، كما تنظم المحاضرات العامة (١) .

(١) لعل أبرز مثال لهذه الجماعات « جماعة التبليغ » التى قامت أول أمرها فى شبه القارة الهندية ثم انتشر نشاطها خارجها ووصلت بلدانا عربية ، ولكن

ولا تزال الكتب تخرج تدعو الى الاهتمام **بالعنصر الشخصى** فى التوجيه والارشاد - وهو الأساس فى التربية الصوفية ، ومن أحدثها كتاب يقول صاحبه فى فصل عنوانه ( تجديد الدين ) كثيرا ما يتحدث مفكرو الاسلام المعاصرون عن ( **المنهج** ) الاسلامى فى تربية الفرد واقامة الجماعة ، ولعل أكثرهم ولو عا بذلك سيد قطب رحمه الله ، وهو رجل عاش ( فى ظلال القرآن ) كما قال بضعا وعشرين سنة وتجد فيما كتب بركة ذلك ونور كتاب الله ، بيد أنه رحمه الله لا يذكر نقطة البدء فى حركة الاسلام الأولى على كثرة ما كتب ٠٠٠ الا وهى لقاء الانسان بنور الهداية فى شخص حامل الهداية ، ويبدو الأمر وكأن مفكرو الاسلام نسوا هذه الظاهرة التى فتنت معاصرى الرسول الكريم : ظاهرة الاهتداء المفاجىء والتحول الغريب الذى يطرأ على المفكر بمجرد اتصاله بحامل الرسالة الالهية ٠٠٠٠ والطاقة التى تحول الناس بهذا المقدار وبهذه السرعة وتلفت كل همهم من قيمهم الموروثة الى قيم جديدة لا تكمن فى فصاحة الداعى الى الله المرسل من عنده ولا فى رغبة المدعو وحنينه الى تغيير ما كان فيه من عقائد وأحوال ، انما تكمن فى شخص الداعى الى الله باذنه الذى أنزل معه نور ٠ وهذه الطاقة هذا النور ، هذا المغناطيس للروحى للداعى الى الله الأكبر عليه صلوات الله وسلامه كانت المحرك الأول للاسلام وهى نفسها التى تعيد الى الاسلام حيويته كلما برز الى الناس رجل صادق يدعو الى الله وهو على بصيرة من أمره ورضا من ربه ٠ هذه الطاقة هى مناط الوراثة النبوية فى قول الرسول الكريم ( العلماء ورثة الأنبياء )

---

ليس عندى الكثير من المعلومات عنها ، يقول عنها الشيخ على الطنطاوى فى مقال بمجلة ( المسلمون ) فى عددها العاشر من سنة ١٩٥٦ م ( أما دعوة رجال التبليغ فقد أسسها الشيخ الياس وألزم فيها تلامذته أن يبذلوا لها قليلا من أوقاتهم يسيحون فيها فى البلاد على نفقة أنفسهم لا يسألون أحدا معونة بل لا يقبلون المعونة من أحد ، يدعون الى الله ويبلغون المسلمين رسالة الاسلام ) ويقول عنهم أحد الكتاب ، يعمل رجال التبليغ عملا جماعيا فيصحب المتطوع الجديد من لهم القدم فى الدعوة وتتخذ المبايعة عندهم شكل النذر المتجدد للخروج فى سبيل الله ولهم أذكار مرتبة وهم أشد الناس تعلقا بالسنة وبأعمال الرسول ( ص ) وأحواله وقد ألف لهم الشيخ محمد يوسف كتاب ( حياة للصحابة ) ومن مبادئهم الأساسية ترك ما لا يعنى ، - عبد السلام ياسين : الاسلام بين الدعوة والدولة - الدار البيضاء ١٣٩٢ هـ ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

باقية فى هذه الأمة تفعل فعلها متى تمت شروط وجود الداعى الى الله الوارث الصادق ٠٠٠٠ ان الذى يبحث عنه مفكرو الاسلام ليس ( منهجا ) قوامه دعوة وجهاد وصبر فقط ، لكنه ( منهاج ) قوامه الدعوة المؤيدة من الغيب المركزة فى شخص الداعى المشرع المرسل أو المتبع على بصيرة ، ثم يأتى جهـد المدعى وصبره وجهاده ٠٠٠٠ انبعاث الأمة اذن رهن ببروز المجدد رجل الدعوة الصادق « ٠ كما يقول الكاتب فى موضع آخر عن فكر سيد قطب « ولعل رحمه الله حسب أن الفكر يغنى عن الصحية السنوية التى سموها متوفية « « الاسلام كما هو فى حقيقته تجربة انسانية يتعرض لها الفرد ثم يسرى مفعولها من الأفراد الى الجماعة » ويصف الاسلام أيضا على أنه « لقاء بين الانسان وعالم الغيب ، بين العقل وما فوق العقل ، بين ارادة الانسان و ارادة الله « ٠ على أن المؤلف واع بالسلبيات القائمة للفكر الصوفى والسلوك الصوفى فى صدد تعريف الولى وفى صدد العلاقة التى تربط المريـد بشيخه حيا وميتا ، وهنا يظهر اثر الدعوة السلفية فى محاولته تصحيح تلك العلاقة التى يؤمن بها أساسا للتغيير سواء بالنسبة للفرد أو الجماعة ، استمع اليه يقول « الأولياء والصالحون هم زبدة الأمة ، وهم الذين آمنوا وكانوا يتقون ، وهم الذين أحبهم الله تعالى ، كإفاهم بأن أصبح لهم عينا ويدا وعونا ومؤيدا ٠ ولكن المسلمين فى تدهورهم العقدى والتاريخى اتخذوا قبور الأولياء الأموات أوثانا ، ونسوا طريق السعى الى تحقيق قابلياتهم للكمال كما حقق رجال الله العاملون « ٠٠ ويقول الكاتب « والذكر باللسان والقلب يجدد الولاء لله و ارادة التقرب منه ٠٠٠٠ ومن بين الحرفين من ينكر أن يكون فى القرآن امر بالذكر باللسان واتخاذ ورد عندهم كفر ٠ ولسنا نحب أن نعود الى جدل مزق أوصال الاسلام ، لأن الورد أو اللا ورد واتخاذ الشيخ والاستغناء عنه أمور احسانية ، فمتى كانت همة من يجادلك لا تتجاوز النطق الاسلامى الى العمل الاسلامى ثم الى التزكية الروحية التى هى طريق الفلاح قال بهواه ورأيه ، ولا نسمع الا لمن قال عن تجربة ومعاناة ٠٠٠٠ وفى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم حث على صحبة الأخيار ومجالسة الذاكرين والصبر معهم ٠٠٠٠ ابتداء من المسلم الغائر أو المسلم الجغرافى أو المرتد تبدأ عملية تربية أساسها الصحبة وقوامها ذكر الله ، ومجالها وقت المريـد تستغرقه كله بالعبادات والأوراد ، وأخص مجال هذه التربية مجالس الذكر لأن بذكر الله تطمئن القلوب ٠٠٠٠ العملية عملية تربية بمعنى المعالجة الدائمة ، بمعنى التزكية « ٠ ويرى المؤلف - وهو مغربى -

أن « جماعة الاخوان السنوسيين على عهد الامام محمد بن علي الشيخ  
المؤسس حامل السر كانت أقوى بنية وأكثر تمكنا في ميادين التربية العملية  
والسلوك الصوفى السائر بالمريد لكماله الروحي ، وكانت بنية الجماعة تعتمد  
على تصنيف صوفى : فهناك العامة والخاصة وخاصة الخاصة ، أو قل بلسان  
نبوى : مسلمون ومؤمنون ومحسنون » . وهو يقول « على رجال الدعوة أن  
يشرحوا للمسلمين أن لله أولياء جعلهم رحمة فى خلقه ويدلوهم على الصحبة  
ويدلوهم على المحبة الالهية ٠٠٠٠ فى دنيا العنف والكراهية ينبغى لرجال  
الدعوة أن يدلوا على المحبة وعلى المودة والرفق ، قيمة الانسان لا يعثر عليها  
الا فى المحبة ولن تقنعه القيم الاقتصادية والاسترواحية التى تقوم عليها  
الحضارة المادية . ان طلبه الانسانية فى الاسلام عند المسلمين ، وأن أول خطوة  
للتأكد من ذلك أن تصحب وليا لله عارفا بالله يسلك بك الى المنهاج النبوى  
طريق معرفة الله والايمان اليقينى بغيبه وأخرته ورضوانه » . وللكاتب آراء  
يذهب فيها مع صوفيته الى ما يصدم السلفى الذى تربى شعوره وفكره على  
الدعوة السلفية ، لكن تأثر الكاتب بالدعوة السلفية يبدو فى تأكيده أن الولى  
العارف بالله انما يسلك بالمريد « على المنهاج النبوى » ، كما يبدو تأثره جليا  
فيما يكتبه عن الدعوة السلفية التى اضطلع بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب  
والحركة التى أزره عليها الامام محمد بن سعود . يقول : « ان الحركة  
السعودية الوهابية كانت فى هذا القرن أروع صفحة فى التجديد والجهاد  
الاسلاميين ٠٠٠٠ وتحرك الموحدين السعوديين وأسندوا ظهرهم لله بينما كان  
غيرهم يستند الى دعوة الكافرين ، ونصرهم الله وكاد بهم لأعداء الاسلام ٠٠٠  
ان لقاء الدعوة الموحدة الوهابية بالأسرة السعودية كان واحدا من هذه  
اللقاءات المباركة التى جمعت صدق رجال الدعوة بصدق القيادة الجهادية ،  
ولما أثمر هذا اللقاء بعد قرنين خرج نتاجه طيبا . وكانت الدعوة الوهابية رد  
فعل ضد انحدار الاسلام الصوفى الذى أصبح عبادة للقبور ، فلما بلغت الدعوة  
مداها أصبحت فعلا ومبادرة فى بناء دولة مسلمة هى اليوم معقل من معاقل  
الاسلام تعقد عليه الآمال وينصب له أعداء الاسلام العداء ويطوقونه » (١)

(١) عبد السلام ياسين : الاسلام بين الدعوة والدولة ، المنهاج النبوى  
لتغيير الانسان - الدار البيضاء سنة ١٣٩٢ هـ ص ١٨ - ٢٣ ، ٥٥ ، ٦٣ ، ٦٦ -  
٦٩ ، ٣١٤ ، ٣٢٦ ، ٣٤٠ ، ٤٥٦ - ٤٥٧ ، ٤٧١

ولست بصدد تقويم هذه المحاولات لايجاد « صوفية سلفية » فى هذا المقام على كل حال لا أرى امكانا للخلاص من الركام التاريخى للصوفية لمن سلك مسلكهم وولج الى مآتهم ، وأرى المحاولة قائمة على تناقض أصيل وأمل واهم موهوم .



وثمة قائل سلبى بالدعوة السلفية هى منه براء ، ولكن لا تخلو دعوة أيا كانت من اعتساف المعتسفين فى فهمها والتوائهم بمعانيها وحقائقها ، ولقد قال عز وجل عن كتابه العزيز « يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين . الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون (البقرة/ ٢٦-٢٧) ، وقال عز من قائل عن أنبيائه الأكرمين صلوات الله عليهم « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانسان والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ، ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون » ( الأنعام / ١١٢ - ١١٣ ) .

ان بعض المسلمين من مختلف البلدان لم يفهم من الدعوة السلفية الا أنها « رفض » مستمر « للواقع المعاصر » أيا كان ، « وتصلب على القديم » أيا كان ، وانطلاق فى وصف الأفراد والمجتمعات القائمة بالكفر والشرك والجاهلية .

ولم يفهم الرجوع الى الكتاب والسنة الا على انه اهدار لكل فئة ولو كان لا يقوم الا على الكتاب والسنة ، واقتناص لأحاديث متفرقة ، دون تكلف مشقة متابعة الأحاديث الواردة فى موضوع ما وتحقيق مدى قوتها والجمع بينها للاستنباط منها جميعها دون مخالفة شىء منها اذا أمكن ، أو الترجيح بينها اذا تعذر الجمع وفقا للمناهج والقواعد المتبعة فى ذلك .

و « الرفض » المطلق يسير ٠٠٠٠ و « الانكار » الدائم يسير ٠٠٠٠  
و « الشكوى » المطردة من فساد الزمان وعصيان المسلمين يسيرة ٠٠٠٠ وانما  
العبء الذى لا ينهض به الا اولو الألباب والبصائر والعزائم هو فى النظرة  
الفاحصة المحصنة للواقع والجديد ، والتميز البصير الرشيد لما يتفق مع  
الاسلام وما يخالفه ، والاستفادة من الحكمة ضالة المؤمن واتباع أحسن  
القول والعمل ٠٠٠ وقد فرق ديننا بين ما لا يكون فيه الا الاتباع المحض من  
أمر العقيدة والعبادة والشريعة ، وما يكون محل الاجتهاد والاباحة وليس  
بشروط فيه أن يكون كل قديم أفضل من أى جديد .

يقول كاتب مغربى مثلا « ٠٠٠ الذاتية الاسلامية والاستقلال فى الرأى  
والرجولة فى الميدان ، لا تقاس بأعراض التفتح الثقافى الذى يفتقده المثقفون  
عند فقهاء نجد فيسخرن من ضيق نظرة المشايخ البادين . ولو تأمل المثقفون  
لعرفوا أصالة الذى يلعن شيطان المخترعات ولترأى لهم ما كان يمكن أن  
تعطيه هذه الأصالة من فاعلية أمام عدو غاز مكفر لهم فهل ترى لا بد أن تكون  
« الاصالة » فى « لعن شيطان المخترعات » ؟؟ ٠٠٠٠ وهب كان ذلك مقبولا  
عندما يظهر فى صورة انفعال طارئ ورد فعل موقوت ، فهل يكون هو الأصل  
الثابت والقاعدة المطردة ؟؟

لم يقبل رسول الاسلام صلوات الله عليه مشورة حفر « الخندق » يوم  
الأحزاب من سلمان الفارسى ٠٠٠٠ واستعمل « المنجنيق » فى حصار  
الطائف ؟؟

جاء فى « الطبقات » : « فكان جميع القوم الذين وافوا الخندق ممن ذكر  
من القبائل عشرة آلاف وهم الأحزاب وكانوا ثلاثة عساكر وعناج الأمر الى أبى  
سفيان بن حرب . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فصولهم من مكة  
غذب الناس وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم فى أمرهم ، فأشار عليه سلمان  
الفارسى بالخندق فأعجب ذلك المسلمين ، وعسكر بهم رسول الله صلى الله  
عليه وسلم الى سفح سلع وجعل سلعا خلف ظهره ٠٠٠ وعمل رسول الله صلى  
الله عليه وسلم معهم بيده لينشط المسلمين ووكل بكل جانب منه قوما » (١) .

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى - دار صادر بيروت - ج ٢ ص ٦٦

وفى حصار الطائف جاء فى « الطبقات » ، « ونصب - صلى الله عليه وسلم - عليهم المنجنيق ونثر الحسك سقيين من عيدان حول الحصن ٠٠٠٠ »  
 « عن مكحول : أن النبى صلى الله عليه وسلم نصب المنجنيق على أهل الطائف أربعين يوما (١) وروى ابن هشام : « وراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق ، حدثنى من أثق به : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى فى الاسلام بالمنجنيق - رمى به أهل الطائف ، قال ابن اسحاق : حتى اذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابه ثم زحفوا بها الى جدار الطائف ليخرقوه فأرسلت عليهم ثقيف سلك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل » (٢)

وروى القاضى أبو يوسف فى كتاب « الخراج » عن أبى هريرة . « قال : قدمت من البحرين بخمسائة ألف درهم فأتيت عمر بن الخطاب ممسيا فقلت : يا أمير المؤمنين اقبض هذا المال ، قال : وكم هو ؟ قلت : خمسمائة ألف درهم ٠٠٠٠ . قال : أنت ناعس ، اذهب فبت الليلة حتى تصبح ، فلما أصبحت أتيته فقلت : اقبض منى هذا المال ، قال : وكم هو ؟ قلت : خمسمائة ألف درهم ، قال : أمن طيب هو ؟ قلت : لا أعلم الا ذلك ، فقال عمر : أيها الناس انه قد جاء مال كثير فان شئتم أن نكيه لكم كلنا وان شئتم أن نعد لكم عددنا وان شئتم أن نزن لكم وزنا لكم ، فقال رجل من القوم : يا أمير المؤمنين دون للناس دواوين يعطون عليها فاشتهى عمر ذلك ، فعرض للمهاجرين خمسة آلاف خمسة آلاف وللأنصار ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ولأزواج النبى صلى الله عليه وسلم اثنى عشر ألفا ٠٠٠٠ وجعل عمر الى زيد بن ثابت عطاء الأنصار فبدأ بأهل العوالى فبدأ ببني عبد الأشهل ثم الأوس لبعده منازلهم ثم الخزرج حتى كان هو آخر الناس وهم بنو مالك بن النجار وهم حول المسجد ٠٠٠٠ عن السائب بن يزيد عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول : والله الذى لا اله الا هو ما أحد الا وله فى هذا المال حق أعطيه أو منعه ، وما أحد أحق به من أحد الا عبد ملوك وما أنا فيه الا كأحدكم ، ولكننا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من

(١) المصدر السابق ص ١٥٨ - ١٥٩

(٢) سيرة ابن هشام : تحقيق مصطفى السقا وزملائه - ط ٢ القاهرة

١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م - القسم الثانى ص ٤٨٢ - ٤٨٣



رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالرجل وتلاؤه فى الاسلام ( وفى رواية : وبلاؤه ) والرجل وقدمه فى الاسلام والرجل وغناؤه فى الاسلام والرجل وحاجته فى الاسلام ، والله لئن بقيت لياتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه قبل أن يحمر وجهه يعنى فى طلبه ٠٠٠٠ وكان يفرض لأمرأء الجيوش والقرى فى العطاء ما بين تسعة آلاف وثمانية آلاف وسبعة آلاف على قدر ما يصلحهم من الطعام وما يقومون به من الأمور . قالوا : وكان للمنفسوس اذا طرحته أمه مائة درهم فاذا ترعرع بلغ به مائتين فاذا بلغ زاده ، قال ولما رأى المال قد كثر قال : لئن عشت الى هذه الليلة من قابل لألحقهم آخر الناس بأولادهم حتى يكونوا فى العطاء سواء ٠٠٠ فتوفى رحمه الله قبل ذلك « (١) . وهكذا انتقل الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من كَيْل المال وتفريقه على المسلمين الى فرض الرواتب المقدرة وحفظ السجلات المنظمة فى الدواوين بمشورة واحد من المسلمين ، ومن المعروف أن كلمة ديوان أصلها فارسى ، والتنظيم كله جديد على العرب المسلمين « قال على بن أبى طالب لعمر : تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال ولا تمسك منه شيئا ، وقال عثمان : أرى ما لا كثيرا يسع الناس وان لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ حسبت أن ينتشر الأمر ، فقال الوليد هشام بن المغيرة : قد جئت الشام فرأيت ملوكها ( أى ملوك الروم ) قد دونوا ديوانا وجندوا جندا فدون ديوانا وجندا جندا فأخذ بقوله ٠٠ (٢) « فلما وضع عمر الديوان قال أبو سفيان بن حرب : أديوان مثل ديوان بنى الأصفر ؟ انك ان فرضت للناس اتكلوا على الديوان وتركوا التجارة ، فقال عمر : لابد من هذا فقد كثر فىء المسلمين » (٣)

« ٠٠٠ عن عقبه بن نافع عن ابن عمر أن عمر كان لا يفرض للمولود حتى

(١) أبو يوسف : كتاب الخراج - المطبعة السلفية بالقاهرة - ط ٤ سنة

١٣٩٢ هـ ص ٤٨ - ٥٠

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان مراجعة رضوان محمد رضوان - القاهرة

ص ٤٣٥ - ٤٣٦ ( رواية محمد بن سعد عن الواقدى ) .

(٣) المصدر السابق ص ٤٤٤ ( رواية الشعبى ) .

يفطم ، ثم نادى مناديه : لا تعجلوا أولادكم عن الفطام فانا نفرض لكل مولود  
فى الاسلام » (١) .

يقول ابن خلدون : « ٠٠٠ واعلم أن الدنيا كلها وأحوالها عند الشارع  
مطية للأخرة ، ومن فقد المطية فقد الوصول ، وليس مراده فيما ينهى عنه أو  
يؤممه من أفعال البشر أو يندب الى تركه اهماله بالكلية أو اقتلعه من أصله  
وتعطيل القوى التى تنشأ عنها بالكلية ، انما قصده تصريفها فى أغراض الحق  
جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقا وتتحد الوجهة كما قال صلى الله  
عليه وسلم ( من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن  
كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه ) .  
فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعه من الانسان ، فانه لو زالت منه قوة الغضب  
لفقد منه الانتصار للحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله ، وانما يذم الغضب  
للسيطان وللأغراض الذميمة ، فاذا كان الغضب لذلك كان مذموما واذا كان  
الغضب فى الله ولله كان ممدوحا - وهو من شمائله صلى الله عليه وسلم .  
وكذلك ذم الشهوات أيضا ليس المراد ابطالها بالكلية ، فان من بطلت شهوته  
كان نقصا فى حقه ، وانما المراد تصريفها فيما أبيض له باشماله على المصالح  
ليكون الانسان عبدا متصرفا طوع الأوامر الالهية . وكذا العصبية حيث ذمها  
الشارع وقال ( لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم ) فانما مراده حيث تكون  
العصبية على الباطل وأحواله كما كانت فى الجاهلية وأن يكون لأحد فخر بها  
أو حق على أحد ، لأن ذلك مجافة فى أفعال العقلاء وغير نافع فى الآخرة التى  
هى دار القرار . فأما اذا كانت العصبية فى الحق واقامة أمر الله فأمر مطلوب  
ولو بطل لبطلت الشرائع ان لا يتم قوامها الا بالعصبية كما قلناه من قبل .  
وكذا الملك لما ذمه الشارع لم يذم منه الغلب بالحق وقهر الكافة على الدين  
ومراعاة المصالح ، وانما ذمه لما فيه من التغلب بالباطل وتصرف الأدميين طوع  
الأغراض والشهوات كما قلناه ، فلو كان الملك مخلصا فى غلبة للناس أنه لله  
ولحملهم على عبادة الله وجهاد العدو لم يكن ذلك مذموما . وقد قال سليمان  
صلوات الله عليه ( رب هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى لما علم من نفسه أنه  
بمعزل عن الباطل فى النبوة والملك . ولما لقى معاوية عمر بن الخطاب عند  
قدومه الى الشام فى أبيهة الملك وزيه من العديد والعسدة استنكر ذلك وقال :

أكسروية يا معاوية . فقال : يا أمير المؤمنين انا فى ثغر تجاه العدو وبنا الى مياهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة ، فسكت ولم يخطئه لما احتج عليه عبرة من مقاصد الحق والدين . فلو كان القصد رفض الملك من أصله لم يقنعه هذا الجواب فى تلك الكسروية وانتحالها بل كان يحرض على خروجه عنها بالجملة وانما أراد عمر بالكسروية ما كان عليه أهل فارس فى ملكهم من ارتكاب الباطل والظلم والبغى وسلوك سبيله والغفلة عن الله ، وأجابه معاوية بأن القصد بذلك ليس كسروية فارس وباطلهم وانما قصده بها وجه الله ، فسكت . وهكذا كان شأن الصحابة فى رفض الملك وأحواله وتسيان عوائده حذرا من التباسها بالباطل . . . . . وأكد ذلك لديهم ما كانوا عليه من غضاضة الاسلام وبدعوة العرب فقد كانوا أبعد الأمم عن أحوال الدنيا وترفها ، لا من حيث دينهم ( فقط ) الذى يدعوهم الى الزهد فى النعيم ، ( بل ) من حيث بداوتهم ومواطنهم ( أيضا ) وما كانوا عليه من خشونة العيش وشظفه الذى ألفوه . فلم تكن أمة أسغب عيشا من مضر لما كانوا بالحجاز فى أرض غير ذات زرع ولا ضرع . . . . . حتى اذا اجتمعت عصبية العرب على الدين بما أكرمهم الله من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم زحفوا الى أمم فارس والروم وطلبوا ما كتب الله لهم من الأرض بوعد الصديق فاتبزوا ملكهم واستباحوا دنياهم ، فزحرت بحار الرفه لديهم حتى كان الفارس الواحد يقسم له فى بعض الغزوات ثلاثون ألفا من الذهب أو نحوها ، فاستولوا من ذلك على ما لا يأخذه الحضر وهم مع ذلك على خشونة عيشهم . . . . . وكانت المناخل مفقودة عندهم بالجملة وانما كانوا يأكلون الحنطة بنخالها ومكاسبهم مع هذا أتم ما كانت لأحد من أهل العالم ، قال المسعودى : فى أيام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال ، فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم ، وقيمة ضياعه بوادى القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار وخلف ابلا وخيلا كثيرة . وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف ألف فرس وألف أمة ، وكانت غلة طلحة من العراف ألف دينار كل يوم ومن ناحية السراة أكثر من ذلك ، وكان على مريط عبد الرحمن بن عوف ألف فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته أربعة وثمانين ألفا ، وخلف زيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفئوس غير ما خلف من الأموال والضياع بمائة ألف دينار ، وبنى الزبير داره بالبصرة وكذلك بنى بمصر والكوفة والاسكندرية وكذلك بنى طلحة داره بالكوفة وشيد داره بالمدينة وبناها بالجص والآجر

والساج ، وبنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقبة ورفع سمكها وأوسع فضاءها وجعل على أعلاها شرفات ، وبنى المقداد داره بالمدينة وجعلها مجصصة الظهر والباطن ٠٠٠ انتهى كلام أنسعودي . فكانت مكاسب القوم كما تراه لم يكن ذلك منعيا عليهم في دينهم إذ هي أموال جلال وغنائم وفيوء ، ولم يكن تصرفهم فيها باسراف إذ كانوا على قصد في أحوالهم كما قلناه ، فلم يكن ذلك بقادح فيهم : وإن كان الاستكثار من الدنيا مذموما فانما يرجع الى ما أشرنا اليه من الاسراف والخروج به عن القصد ، وإذا كان حالهم قصدا ونفقاتهم في سبيل الحق ومذاهبه كان ذلك الاستكثار عونا لهم على طرق الحق واكتساب الدار الآخرة فلما تدرجت البداوة والغضاضة الى نهايتها وجاءت طبيعة الملك التي هي مقتضى العصبية كما قلناه وحصر التغلب والقهر ، كان حكم ذلك الملك عندهم حكم ذلك الزحف والاستكثار من الأحوال ، فلم يصرفوا ذلك التغلب في باطل ولا خرجوا به عن مقاصد الديانة ومذاهب الحق « (١) » .

وتحليل دقيق عميق للواقع مثل تحليل ابن خلدون رحمه الله أعسر كثيرا على العقول السانجة من « الرفض » المطلق ٠٠٠ والمسلمون محتاجون الى التحليل والتمييز والنسب العميق لفهم الواقع وتلبية الحاجات المشروعة بالوسائل المشروعة ، والانتفاع من مباحات الله وما أتاحه للناس من علم وحكمة وقوة واستثمار الطيبات لصالح المسلمين « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ، قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » ( الأعراف / ٣١ - ٣٣ ) ، « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون - متاع قليل ولهم عذاب أليم » ( النحل / ١١٦ - ١١٧ ) « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم

(١) ابن خلدون : المقدمة وهي المجلد الأول من تاريخه - ط ٣ - مكتبة

المدرسة ودار الكتاب اللبناني - بيروت سنة ١٩٦٧ م ص ٣٥٨ - ٣٦٤

الله حلالاتيا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون « ( المائدة ٨٧ - ٨٨ ) ، « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين « ( القصص / ٧٧ ) .

وأولى من الاسترخاء والسلبية فى مواجهة الواقع وترك الأمور تجرى فى أعتها دون توجيه أو ترشيد ، وأولى من الانطلاق وراء الوصف بالكفد والشرك والجاهلية والفسوق والمروق لكل وضع معاصر ، أولى من هذا وذلك الاجتهاد فى تمييز المقبول وغيره ، واقتراح البديل المحدد الملائم الموافق لمقاصد الشريعة وأحكامها اذا دعت الحاجة ، بدلا من الدعوة الى ترك الواقع المباح الذى قد يستلزم بذل الجهد لتحقيق بعض الضبط والتقويم - باسم الرجوع الى ما كان عليه السلف ، فانما الرجوع الى ما كان عليه السلف لازم فى أمور العقيدة والعبادة وأحكام الشريعة الثابتة الواجبة والمندوبة ، أما ما كانوا عليه من الأمور الجائزة أو المباحة فلا يلزم التأسى فيه ، ولكل ظروفه وأحواله وحاجاته ، والأولى الاجتهاد كذلك فى اقتراح وسائل استثمار نعم الله لتحقيق نفع عباده أفرادا وأمة ودولة بحيث ترشيد الانفاق وفق أوامر الله ومقاصد شريعته ، وتحقق العدالة للأفراد والقوة للمجموع ، وان هذا التمييز والاستيعاب للواقع الحضارى القائم ، هو مقدمة ضرورية للإسهام الإيجابى فى الحضارة العالمية وتقديم ما هو أفضل .

ان الاسلام يتطلب جهودا فكرية وعملية ، ايجابية جادة ، وانها لتستلزم عناء ودأبا واصرارا ، فى وقت تواجه فيه أمة الاسلام بدينها وبمواردها ومواقعها العواصف الهوج العاتية من مطاعم الخارج ، وتواجه رياح التغيير والتطور فى الداخل . . . . . وطوبى لأولى الألباب والبصائر والعزائم اذا كدوا للتماس سبيل الرشيد والتوجيه القصدى لكل طاقاتها اليه فلا تنفلت أو تتسرب أو تتبدد . . . . . وطوبى لمن جعل صلابة ايمانه واستقامة عقيدته قوة « موجبة » تضاعف طاقات أمته وتسارع خطوها وتثبتها على الحق والهدى حتى تكون أمة الاسلام فى هذا العصر دعوة حية لدين الاسلام ورحمة الله المهداة للعالمين .

« ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ، واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولك هم المفلحون » ( الأعراف / ١٥٥ - ١٥٧ ) .

« ٠٠٠ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » ( المائدة / ١٥ - ١٦ ) .



( يا أيها الذين آمنوا ان تقنوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ) الأنفال / ٢٩

( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأمنوا برسوله يؤتكم كفلين ومن رحمته يجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم ، والله غفور رحيم ) الحديد / ٢٨

( ربنا آتانا من لدنك رحمة وهىء لنا من أمرنا رشدا ) الكهف / ١٠

( ٠٠٠ ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير . ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم ) الممتحنة / ٤ - ٥

رحم الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثابه جزاء ما قدم من خير لدينه وأمته ، وكتب له أجر دعوته الى الحق والهدى وأجر من انتفع بها من المسلمين أفرادا وجماعات ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا - ان شاء الله - وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

د . محمد فتحى عثمان

## الفهرس

صفحة

- ٣ السلفية فى المجتمعات المعاصرة ●
- ٤ حقيقة السلفين
- ٦ معنى السلفية
- ١١ السلفية دعوة موافقة لكل عصر ومعاصرة دائما
- ٢٠ السلفية رجوع الى هدى السلف منذ عصر الرسالة
- ٢٢ صور من انحراف الاعتقاد والسلوك
- ٣١ الدعوة السلفية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ●
- ٣٢ دعوة وحركة
- ٤٠ متبع غير مبتدع
- ٤٣ رسائل الشيخ العامة والخاصة
- ٤٤ الجهاد
- ٤٨ الدعوة السلفين تكشف باطل القبوريين والمتصوفة
- ٦١ التأثير المستمر للدعوة فى المسلمين ●
- ٦٧ تأثير الدعوة السلفية فى المسلم المعاصر (الفرد المثقف العادى)
- ٧٣ تأثير الدعوة السلفية على علماء الدين والمفكرين المسلمين ●
- وعلى تعليم الدين فى المجتمعات المعاصرة
- ( الشوكانى - محمد عبده - رشيد رضا - الكواكبى - أحمد أمين - العقاد - طه حسين - تعليم الدين : الأزهر ومدرسة القضاء الشرعى بمصر ، فى المغرب ، فى الهند - مؤلفات فى تاريخ دعوات الاصلاح الاسلامى )
- ١١١ تأثير الدعوة السلفية على الحركات الاسلامية المعاصرة ●
- الحركات ذات الطابع الشخصى ( التى كان محورها شخصيات زعمائها : السيد أحمد الباريلى بالبنجاب - السنوسى بليبيا - عثمان بن فودى بغربى افريقية - الدعوات المهديّة )
- ١١٨ تأثير الدعوة السلفية فى الجماعات الاسلامية الحركية المنظمة القائمين ●
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - الاخوان المسلمون بمصر - الجماعن الاسلامية بشبه القارة الهندية - صور اخرى : أنصار السنة ، السلفية تسرى الى الجماعات الصوفية ، التأثير السلبى .